

اعترافات كسينجر

موسى صبرى



عرض
وقت
الذكرات
تبيل ركي

موسى صبرى

ثقافة اليوم وكلمات يوم
يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

كتاب اليوم

رئيس مجلس الإدارة :

موسى صبرى

مدير التحرير :

أمين محمد عدلى

نائب رئيس التحرير :

عبد العزيز عبد العليم

مدير التحرير :

مهاين فريد

محرر ١٢٠٠

العدد ١٦٠ ————— ٥١ ————— ١٩٧٩

كانون الأول

الإدارة : أخبار اليوم ٦ شارع
المحاذية ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط
نفس دوى ٩٢٢١٥ - محلى ٩٢٢٨٢

الاشتراكات

جمهورية مصر العربية : قيمة الاشتراك السنوى ٩,٥٠٠ جنيه مصرى

الشرق النهوى

دولة اتحاد البرند	٤,٠٠٠	جنيه مصرى
العربى والأفريقى	٩,٠٠٠	دولار أمريكى أو ما يعادله
باقى دول العالم (أوروبا	٩,٠٠٠	جنيه مصرى
والأفريقىين وآسيا وإسترا	١٥,٠٠٠	دولار أمريكى أو ما يعادله

• ويكون قبول نصف القيمة عن ستة شهور

• تزل القيمة إلى : الاشتراكات ٢٣ من المصادرة لقاها تبه ٧٥٨٨٨٤٤ (٥ خطوط)

موسی صبری

تعليق علی
اعترافات کسینجر^{الکیم}

عرض و تقدّم مذکرات کسینجر
عن الشرق الاوسط نبیل زکی

الاهداء



● نهدى سطور هذا الكتاب ، عن تاريخ مرحلة
من اخطر المراحل التي واجهت مصر .. الى الرجل
الذى صنع هذا التاريخ .. وصنع بذلك ادوار
امجاد مصر .

● ولم يكن الرجل ، بقادر على صنع التاريخ . الا
وهو على قمة الثقة والتأييد والمباركة .. من شعب
مصر ، الذى اقدم على التضحية بالروح والقوت .
بانتصار الايمان .. بانه يبني ويعمر .. وبان قيادته
تبر عن ايمانه .. وتسمى به الى الخير والامن والامان .

● وقد كان اجدر ان يكون عنوان الكتاب .. جبال
العقبات امام طريق السلام ، التى حطمها انور السادات
.. وشعب مصر يمسك معه كل معاول التحطيم ..
حتى تحققت المستحيلات .. تطهير الارض من استعمار
سوفيتى عسكرى واقتصادى وسياسى .. انتصار
الانسان المصرى والعربى فى حرب اكتوبر .. ثم
انتصار انسان العالم كله .. بقضية السلام .



بسعر الورق الأبيض والحبر فقط



● اتفقت ارادة كل من اسهم في اخراج هذا الكتاب ، حتى يصل الى يد القارى . . ان يكون العمل تطوعيا ، بلا اى ربح او كسب .

● ان اسعار الورق بالغة الارتفاع . . وتكلفة الطباعة من احجار ولوحات زنكغراف وتشغيل . . بالغة الارتفاع ايضا . . كما ان اجهزة التوزيع ، تتكلف ايضا الشئ الكثير مقابل خدماتها . . وهذه هي ازمة الكتاب المصرى القومى الذى تفرض علينا المسئولية القومية ان يصل الى اكبر عدد من المواطنين .

ولم يعد غريبا ان يكون سعر الكتاب المتوسط الصفحات ٣ جنيهات او اكثر . .

ولذلك قررنا ، بكل الرضا والارتياح ، ان يصدر هذا الكتاب ، بسعر الورق الابيض . . والحبر . . فقط . . ولم تتقاضى ادارة " اخبار اليوم " اى مقابل غير سعر الورق . . وكذلك ادارة المطابع لم تتقاضى غير سعر الحبر . . ادارة توزيع " اخبار اليوم " . . قلمت بخدماتها تطوعا . . وهذا ايضا موقف ادارة الاعلان .

وهكذا كان موقف موسى صبرى . . كاتب التعليق على اعترافات كسينجر . . وموقف نبيل زكى مترجم الفصول ومقدمها . . وموقف الفنان الكبير مصطفى حسين الذى رسم غلاف الكتاب بريشته المبدعة .

واشرف على اخراج الكتاب الاستاذ حسين فريد سكرتير عام التحرير بمؤسسة اخبار اليوم .

ولسنا فى حاجة الى القول ، بان هذا يحدث لأول مرة فى تاريخ الكتاب المصرى والعربى . . ولكن اقتناع الجميع ، بان اصدار هذا الكتاب هو اولا واخيرا مسئولية وطنية قومية . . دفننا الى انجاز هذه السابقة الاولى من نوعها .





الفصول .. والتعليق

اننا لا ننشر فصول كتاب كسينجر ، سنوات البيت الابيض ،
عن أزمة الشرق الاوسط .. كما جاءت في ترتيب الكتاب .. ولكننا
ننشر أهم الاحداث في هذه الفصول ، كما سجلها كسينجر .. لأن
هناك تفصيلات لا تهم القارىء في شيء ، كما أن بها كثيرا من الاحداث
الصغيرة التي لا تفيد في اعطاء الصورة الحقيقية .. ولعله لجأ الى
ذلك ، لكي يطفى بالتفصيلات التي لا تقدم ولا تؤخر ، على مسائل
بالغة الأهمية .. بالنسبة لنا ، نحن أبناء مصر وأبناء الأمة العربية .
أو لعله سجل كل التفصيلات الصغيرة .. لكي يكون كتابه معبرا
عن يوميات حياته في البيت الابيض .

وإذا كان كسينجر قد تحدث عن الشرق الاوسط ، ودوره حتى
نشوب حرب أكتوبر ، في أربعة فصول .. فإننا اخترنا أن تكون
في هذا الكتاب في أربعة عشر فصلا .. تجنباً لشيئين :

الاول : الاطالة على القارىء بما يعمد عن جوهر الاحداث .

الثاني : أن يكون تعليقنا على هذه الفصول وافيًا ومكتملا .
بحيث لا يضيع حدث هام .. في غمار الاطالة .

وتعليقنا على ، اعترافات ، كسينجر ، يعتمد على متابعتنا
الصحفية لكل تطورات الموقف في مصر يوما بيوم .. ثم الاجتماعات

المخلقة التي عقدها الرئيس السادات للقيادات السياسية ، ثم القيادات الصحفية والاعلامية ، وكان الرئيس يصارح فيها بكل حقائق العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتي ، وبين مصر والولايات المتحدة الأمريكية ..

كما اعتمدنا في التعليق في كثير من المواقع الهامة للاحداث ، على ما سجله الرئيس انور السادات في كتابه التاريخي ، البحث عن الذات ، ..

ولسنا ندعي أن تعليقنا على اعترافات كسينجر ، قد أوفى الموضوع الخطير من كل جوانبه .. ولكنه اجتهد صحفي مصري يعيش في قلب الاحداث .. وقد يخفى عنه بعض من جوانبها .. ولذلك فاننا ندعو أن يكون تعليقنا هو بداية لتعليقات أخرى ممن كانوا يجوار هذه الاحداث ، في مواقع رسمية أو صحفية .. حتي تكتمل الصورة امام القارىء المصرى والقارىء العربى .. لمرحلة عاشها شعب مصر ، هي في رأى من أهم مراحل كفاحه في سبيل الحرية والبناء .

وقد اجتهدت أن يكون التعليق على كل فصل ، شاملا أولا تلخيصا وافيا لما أورده كسينجر .. ثم التعليق عليه . فليس من المعقول أن يتابع القارىء التعليق دون أن يلم بأهم الوقائع التي تعلق عليها .. وعليه بعد ذلك أن يستزيد ، بقراءة الفصل الذي تعلق عليه .

ويجب أن أسجل ، الجهد المرهق ، الذي بذله زميلنا الاستاذ نبيل زكى ، في ترجمة وعرض وتقديم هذه الفصول من كتاب كسينجر . وقد لاحظنا أن كسينجر يجيد اختيار عباراته ، بما يحتمل أكثر من معنى في بعض الاحيان .. أو بما يحتمل اخفاء موقف معين يريد هو أن يخفيه . بل ان بعض العبارات التي استخدمها كسينجر لم نجد لها وجودا في القاموس الانجليزي .. ووجدناها في قواميس أمريكية .

موسى صبرى

هذه .. المذكرات

عندما كنت على فراش المرض في واشنطن .. لاحظت ضجة ضخمة في الصحف والإذاعات ومحطات التلفزيون حول كتاب هنري كيسنجر ، سنوات البيت الأبيض ، .. فما يزال كيسنجر حتى الآن نجما لامعا على المسرح السياسي رغم ابتعاده عن المناصب الرسمية .. وهذا أمر نادر في أمريكا .. وأمريكا بالذات .. لأن الأضواء لا تلقى إلا حول مصادر الأخبار والأفكار الكبرى .

ولذلك حرصت على أن استمعين ، وأنا في حجرة المستشفى ، بمن يساعدني على تجميع ما سمعنا في الكتاب بإذاعته وأرساله بالطائرة إلى ، الأخبار ، .. ثم استطعت بمعونة صديق أن أحصل على الكتاب قبل ظهوره في الأسواق . وإذا بالكتاب يحوى صفحات ممتعة عن أزمة الشرق الأوسط وحقيقة الدور الأمريكي قبل حرب أكتوبر .. وماذا كان يعرف كيسنجر والبيت الأبيض الأمريكي برئاسة نيكسون عن أنور السادات بعد وفاة عبد الناصر .. بل كيف كان كيسنجر يتوقع أن السادات لن يستمر رئيسا أكثر من ثلاثة أو أربعة أسابيع ! ثم يعترف كيسنجر أن هذه كانت أكبر وأفدح أخطائه في تقديره للأشخاص والأحداث في حياته السياسية .. ثم يسجل كيف استطاع السادات أن يقود بلاده ، وأن يصنع الأحداث الكبرى التي جعلته من أكبر قادة العالم في عالمنا المعاصر .

ولكن فصول هذا الكتاب التي ننشرها بالتعليق عليها - وهذا حق قانوني مشروع ، اقتصر على أحداث محدودة عن أزمة الشرق الأوسط والدور الأمريكي والموقف المصري الذي تمسك بأنه لا سلام مع احتفاظ إسرائيل بالأرض المحتلة وأنه لا سبيل إلا الانسحاب الكامل إلى حدود ١٩٦٧ .. والموقف الإسرائيلي الذي أعلن في المباحثات السرية مع ممثل أمريكا أنه يريد السلام والأرض معا ..

هذه الأحداث الهامة عن الشرق الأوسط حتى نهاية عام ١٩٧٢ ننشرها بالمرض والتقديم والتعليق ..

ولكن كتاب كسينجر ، سنوات البيت الأبيض ، هو الجزء الاول فقط . . . ونتوقع أن الجزء الثانى سيتناول الكثير من الاسرار . . . ومع ذلك فان هذا الجزء الاول يقع فى ١٥٢١ صفحة من الحجم الكبير . واهتمت الصحف حتى بوزن الكتاب فقالت انه يزن ٤ أرطال وخمس رطل !



وقد احتفل ناشرو الكتاب بصدور هذا الجزء قبل أن يغادر واشنطن فى الاسبوع الاخير من اكتوبر ١٩٧٩ وحضر الاحتفال عدد ضخم من السياسيين والكتاب والمشاهير والسفراء . . . وكان كسينجر أكثر ترحيبا بالسفير السوفيتى أناتولى دوبرينين الذى قال ضاحكا أمام جميع المدعوين - أنا شريك فى تأليف الكتاب . . . رود كسينجر - هذا حق . . . انه فعلا من الشخصيات الاساسية فى الكتاب .

فعلق دوبرينين - أنا موجود فى ربيع الكتاب . . . ومع ذلك ليس لى أى نصيب فى الارباح !

وضحك الجميع عندما قال له كسينجر : تستطيع ان تشارك فى الارباح عندما تطبع الكتاب فى الاتحاد السوفيتى !



ومعظم فصول الكتاب فعلا عن العلاقات الامريكية السوفيتية ، والعلاقات الجديدة مع الصين . . . وهو يتناول بالتفصيل أزمة فيتنام . . . ولذلك فان التعليقات على الكتاب ظهرت حتى فى حفل كسينجر بنشر كتابه . . . ومنها ما يؤيد كسينجر . ومنها ما يناقش ويعارض .

فمثلا قال « الزورث بانكر » الذى كان سفيرا لأمريكا فى فيتنام الجنوبية - عندما كان كسينجر فى البيت الأبيض : ان ما يحدث الآن قد توقعناه وحذرنا منه . . . لقد قلنا ان لاوس وكمبوديا ستصبحان ولايتين تابعتين لفيتنام الشمالية . . . ان البعض منّا الذى حذر من حمامات الدم اذا استولى الشيوعيون . . . لم يلق الا الهز والسخرية . ولكن الذى نراه اليوم حادثا . . . هو حمام دم ، لايمهم أن نغرق أو نقتل بالرصاص . . . ولكن المهم أننا موتى فى هذه المنطقة .



وصديق آخر لكسينجر ممن عملوا معه ، يدافعون عن دوره فى فيتنام . . . أن « وستمورلاند » رئيس اركان الجيش الأمريكى السابق

يقول : « ان توجيه اللوم الى كسينجر بسبب سياسته نحو كمبوديا .. هو تماما مثل توجيه اللوم لظهور هتلر في الحرب العالمية الاولى ، ليس احدا هو المسئول . ولكن جـون كـننـدى الرئيس الامريكى الاسبق هو الذى ادخل امريكا في التزام نحو جنوب شرق آسيا ، بطريقة كان من المستحيل ان نتخلص منها .. او نخرج ظافرين . كانت لنا فرصة واحدة بعد هجوم فيتنام الشمالية الضخم ، المشهور بهجوم ليلة رأس السنة القمرية .. ولو كنا قد هربنا من الموقف ، لكان الرئيس السابق جونسون مصلوبا من الامريكيين !



اما « هيلمز » رئيس المخابرات الامريكية الاسبق ، وسفير امريكا في ايران بعد ذلك فقد قال :

« لم اقرأ كل صفحات الكتاب .. ولكن الذى قرأته أعطاني فكرة طيبة .. ومن الطبيعي أن كسينجر أخفى الكثير » .



واما الجنرال « والترز » الذى كان ملحقا عسكريا لامريكا في باريس خلال المباحثات السرية التى أجراها كسينجر مع قادة فيتنام ، فقد سخر من الصورة التى رسمها له كسينجر فى كتابه . قال : اننى لم أتلق هذه التعليمات المعقدة من كسينجر التى ذكرها فى كتابه .. واذا كان هو قد عقد عدة اجتماعات سرية فى باريس ، فاننى تعاملت مع هؤلاء القادة ثلاث سنوات .. واى اجتماع كان يعقده كسينجر معهم ، كان يتبعه ١٥ اجتماعا منى معهم ..

وهكذا نرى أن البعض يرى ان كسينجر يحاول فى مؤلفه ان ينسب الفضل الاول والاخير له فى بعض الاحداث .



وتحدث السفير الاسرائيلى فى امريكا « افرايم افرون » عن أول مرة رأى فيها كسينجر يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ . كان كسينجر قادما من موسكو الى القدس . وكان هو المكلف باستقباله فى المطار .. وكان يفكر والطائرة تهبط على الارض : يهودى .. من اصل ألماني يمكن ان يؤدي هذا الدور فى السلام والحرب ؟! هذا لا يمكن أن يحدث الا فى امريكا !



صلمز

لم اقرأ كل صفحات الكتاب . من الطبيعي ان كسينجر اخفى الكثير



فولبرايت

كنت ساءاب بالجنون بسببه . لم يكن يحضر اجتماعات لجنة العلاقات الخارجية عندما كان مستشارا لشئون الامن القومي

فقد كان المفروض ان يتغذ وقف اطلاق النار في ذلك اليوم . .
٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ .



وكان في هذا الحفل أيضا الشريك المشاكس القديم لكسينجر وهو وليام فولبرايت الذي ظل يرأس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الى ان خسر معركة إعادة انتخابه في أركانساس . ويستعيد فولبرايت هذه الفترة فيقول :

• بالتأكيد انني كنت ساءاب بالجنون بسببه . لم يكن يحضر اجتماعات لجنة العلاقات الخارجية عندما كان مستشارا لشئون الامن القومي . وقال ان الرئيس لم يكن يسمح بذلك لانه يعتبر حضوره اعتداء على امتيازات السلطة .

وسوف يتضح من « اعترافات » كسينجر بعد ذلك ، انه استطاع ان يحوي كل جهود السلام التي تبنتها وزارة الخارجية الامريكية . . وكان السيناتور فولبرايت من المدافعين الشرفاء عن الحق العربي . .

وسئل احد ضيوف الحفل : • هل ترددت في حضور هذا الحفل الذي اقيم تكريما لرجل يعتبره البعض مسئولاً عن قصف فيتنام وكمبوديا ؟

فكان رده : هل نحن في حفل لتكريم مجرم حرب ؟ .. ان لدى
شكوكا عديدة تجاه تصرفات قام بها كسينجر ولكنه لا يتحمل
الذنب وحده .



انى اسجل هذه التعليقات على مؤلف كسينجر التى قيلت فى
احتفال الناشرين بصدور الكتاب . لكى أبرز أهمية هذا الكتاب ..
وكل ذلك نشر فى الصفحات الاولى من صحف أمريكا .. وما أسجله
قليل من كثير . ولهذا كان اهتمامنا أن نقدم عرضا وتعليقا على
مؤلف ضخيم يكشف كثيرا من اسرار المسرح الدولى .. وفيما نعرضه
ستظهر مواقف عديدة وجديدة عن أزمة الشرق الاوسط .. ودور
مصر التاريخى .



لقد قام الاستاذ نبيل زكى بترجمة وعرض وتقديم أهم الاحداث
فى الفصول الاربعة التى تحدث فيها كسينجر عن دوره فى توجيه
أحداث الشرق الاوسط ، عندما كان مستشارا للأمن القومى للرئيس
نيكسون .. ثم عندما أصبح وزيرا للخارجية بعد أن نجح فى
إخراج وزير الخارجية . روجرز ، الذى كان يسعى فعلا الى
إجراءات سلام حقيقية .. وحلت عليه لجنة كسينجر ولجنة اسرائيل
مما .. واستطاعت جولدا مائير أن تلغى وجوده من المسرح السياسى
.. رغم أنه اعتذر وتراجع .



وقمت بالتعليق على هذه الفصول . لكى اوضح الوجه الآخر
للعملة - كما يقولون - فليس من شك أن « قيصر » البيت الابيض
- كما أطلقت عليه - أخفى كثيرا من الحقائق عن عمد ، كما أنه
استخدم اسلوبا دبلوماسيا مجعرا فى اختيار كلماته ، لكى يدافع
عن مواقف له .. او لكى يضيف على نفسه كل حالات الأهمية ..
ولكى يقنع قارئه أنه كان كل شيء فى البيت الابيض .. مع وجود
وزير للخارجية .. وبعد أن تولى هو وزارة الخارجية .. بل أنه
أوحى فى الكثير مما كتب عن الشرق الاوسط ، أنه كان قادرا على
أن يضع الرئيس الأمريكى نيكسون فى جيبه ..



ومهما دافع كسينجر عن استراتيجيته القيصريّة .. فانه عوق
كل إجراءات السلام حتى قامت حرب أكتوبر مفاجأة مذهلة له ..

فليس من شك في أنه كان منحاذا انحيازا كاملا . للجانب الاسرائيلي
.. تحت تصور خاطيء . أن مصر المهزومة لن تقوى على أى انتصار
.. واذا هي فكرت في الحرب . فسوف تلحق بها كارثة كبرى
لا يمكن اصلاحها ..



وهو في هذه الصفحات ، يقدم الاعتذار ، بعد الاعتذار . لأنه
أخطأ فهم شخصية أنور السادات ، وأبعاد زعامته التاريخية ..
وهذا يؤكد لنا أن سيطرة فرد واحد ، على فرض استراتيجية
قوة عظمى مثل الولايات المتحدة الأمريكية .. يشكل خطورة فادحة
على مصير الشعوب الصغيرة ..

ان مذكرات كسينجر عن الشرق الاوسط ، هي اعترافات كاملة .
بأنه نجح في فرض سيطرته الكاملة على سياسة البيت الابيض تجاه
الشرق الاوسط .. رغم اعتراضات أجهزة وزارة الخارجية
الامريكية . ورغم اعتراضات قيادة الجيش الامريكي ووزير الدفاع .
وكانت نتيجة ذلك ، أنه أعدم كل فرص السلام .. مستغلا
أيضا ذبذبة الاتحاد السوفيتي ، واهتمامه الاول بمصالحه كقوة
عظمى على حساب حق الشعب العربي في أرضه وسيادته ..



وكل هذا يؤكد لنا ، الدور الجبار ، الذي أدته القيادة المصرية
في توجيه الاحداث ، ومقاومة تجميد الموقف في الشرق الاوسط
كما اتفقت عليه أكبر قوتين في العالم .. الاتحاد السوفيتي
والولايات المتحدة الأمريكية .. ثم اجبار كل الاطراف على موقف
السلام .

لقد تكبدنا في سبيل ذلك الكثير ، من الارواح والاموال ، وواجهنا
أزمة اقتصادية عاتية لانزال نماني من قسوتها على مطالب الميش
التواضعة للمواطن المصري .. الذي أعطى الروح .. وقدم التضحية
بالقوت .. ولكن استطاعت مصر .. الدولة النامية .. المحدودة
الموارد .. أن تقلب كل حسابات القوى العظمى رأسا على عقب ..
وأن تفرض ارادة السلام ، بالفهم الصحيح ، والادراك الواعي لكل
ما كان يختفى من مؤامرات ومناورات في كواليس القوى العظمى

.. ثم بالتصدي المدروس المحسوب ، الذى يملك شجاعة اتخاذ القرار .



ان ما كتبه ، قيصر ، البيت الابيض من اعترافات ، عن الدور الأمريكى - الذى فرضه - تجاه أزمة الشرق الاوسط .. وتجاه الحق المصرى والحق العربى والحق الفلسطينى .. جدير بأن يقرأ بامعان وتمحيص ، كل من يشتغلون بالعمل السياسى .. لكى يدركوا .. كم واجهت مصر ؟ .. وكيف تصدت مصر ؟ .. ولماذا حققنا المعجزة بفرض ، المستحيل ، ..

ان ممارسة العمل الايجابى ، على المسرح الدولى ، مع القوى العظمى التى تضع مصالحها قبل كل شئ ، ولان كل شئ ، لن يكون بالتهريج الخطابى ، ولن يكون بالموقف السلبي الجبان الهارب من التحدى والتحدى وممارسة المسئولية القومية التاريخية .. ولكنه اولاً وقبل كل شئ ، .. علم وفن .. ايمان وشجاعة .. حسابات دقيقة ومغامرات محسوبة .. ثم القدرة المتمكنة ، على اتخاذ القرار ، فى التوقيت الصحيح .

لقد استطاعت القيادة المصرية ، رغم كل مؤامرات كسينجر ومناورات .. ورغم التراجع السوفيتى المخجل .. ورغم التفكك العربى المفزع .. أن تجعل العالم كله .. مؤيداً لرسالة السلام .. ومدافعاً عنها .. وهكذا تحول التاريخ الى آفاق جديدة .. كانت هى المستحيل .



ولكن مصر التى حققت المعجزة .. وواجهت هذه العواصف العاتية من اكبر القوى الدولية .. ومن الاخطبوط الصهيونى المروع الذى سيطر ثلاثين عاماً على عقول الملايين فى أمريكا وأوروبا .. وفى كثير من دول العالم الاخرى .. مصر التى تصدت ، وقدمت أغلّ التضحيات .. هى مصر التى تنالها اليوم السنة المراحقين ، والمتنقمين ، والمرتعفين .. وحكام الحديد والنار على الارض العربية .

لماذا ؟ ..

لأنهم ، وبكل بساطة ، يصبرون عن جهل او خوف او منفعة ذاتية .

وما أسهل خداع الشعوب بالكلمات الجوفاء .
وما أصعب أن نخدم الشعوب ، بالحكمة والتضحية والمعرفة
وشجاعة القرار .

مصر .. اختارت الطريق الأصعب .
وقيادة مصر .. مؤيدة أروع التأييد من شعب مصر .. اقتضت
هذا الطريق الأصعب .. بالقرار الأصعب .



ومن لا يزال في شك ، من حقائق معجزة السلام ، عليه أن
يقرأ اعترافات كسينجر ، قيصر ، البيت الأبيض .. وعليه أن
يكشف بكل السهولة واليسر .. حقائق الدور الجبار .. الذي
قاده زعامة مصر .. لتضع الأمة العربية كلها ، على الطريق الصحيح
.. نحو الحرية والبناء .

مكي صبري

مهمة يارنج تمثيلية لإضاعة الوقت

● كان من اكبر اخطائي الطائشة في الحكم على الاشخاص والاحداث اننى تصورت ان انور السادات لن يبقى في الحكم اكثر من بضعة اسابيع ..

● لم اكن اتصور ان السادات سوف يبرز كواحد من اعظم زعماء العالم في عصرنا ..

● مهمة يارنج كانت تمثيلية لاضاعة الوقت ..

● مصر اكدت في مباحثات يارنج انه لا سلام بغير الانسحاب الكامل ..

● نيكسون وضع مشروع دوجرز على الرف ..

مهمة يارنج تمثيلية لإضاعة الوقت

قال كسينجر في كتابه « سنوات البيت الأبيض » :

كانت نهاية عام ١٩٧٠ نقطة تحول في الشرق الأوسط ولم تكن ندرك ذلك وقتها .

كانت الأزمة في الاردن والتوتر على طول قناة السويس بمثابة مراحل في تطور التفكير العربي .
أتجه هذا التفكير الى أن مفتاح التسوية في الشرق الأوسط يوجد في واشنطن .
ولكن . . ربما كان الحدث الحاسم - من بين جميع الاحداث - هو وفاة جمال عبد الناصر وتولى أنور السادات الحكم .



كانت معرفتنا بأنور السادات محدودة للغاية . انه ينتمي الى المجموعة الاصلية من ضباط الجيش الذين أطاحوا بالملك فاروق في عام ١٩٥٢ ولكن الخبراء عندنا لم يدركوا على مر السنوات أنه شخصية رئيسية .

وفي البداية لم يكن لدينا وضوح حتى فيما يتعلق بإمكانية أن يصبح رئيسا لمصر بحكم حقه الدستوري

ان أي شخص يتولى الحكم بعد وفاة شخصية ضخمة مثل عبد الناصر يمكن أن يواجه وقتا عصيبا لكي يملأ المكان الشاغر .

وبالإضافة الى ذلك .. فانه في حالة السادات .. أساء العالم الخارجي الحكم عليه بسبب تفضيله اللغة المصرية الدارجة في خطبه وأصله القسروي وأيضا بسبب دوره غير المعروف في السياسات المصرية خلال عهد عبد الناصر

بضعة أسابيع

مات عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠ عندما كنت مع الرئيس نيكسون في رحلته في البحر المتوسط
وبعد ما بيوم واحد .. سألني أحد الصحفيين عن السادات وقلت أنه شخصية مرحلية وانه لن يبقى في الحكم أكثر من بضعة أسابيع .
كان هذا أحد أفدح أخطائي الطائشة في الحكم على الاشخاص أو الاحداث .

ففي خلال عام ١٩٧١ تفوق السادات تدريجا في مواجهة مناورات خصومه . وفي شهر مايو انتهى من التخلص بصورة مذهلة من مجموعة قوية من المنافسين المواليين للسوفييت الذين كانوا يتآمرون للقضاء عليه .

وبصورة تدريجية ، قام بتوطيد دعائم مركزه في الداخل وتثبيت حريته في العمل على النطاق الدولي .

قلائل هم الذين أدركوا - لم اكن انا بين هؤلاء القلائل بكل تأكيد - انه سيدفع بلاده ومنطقته فيما بعد .. بهذا القدر من الشجاعة والرؤية البعيدة والتصميم نحو ثورة في الشئون الدولية ومن ثم يبرز كواحد من أعظم القادة في عصرنا .

● جهود السياسة الامريكية

ثم قال كسينجر :

.. السياسات المستقرة لدى حكومتنا تميل لان تبدو غير قابلة للتغيير وأحيانا ما تكون ذات مناعة، أو حصانة ضد التغيير .

ويكفي للتدليل على ذلك ان تغيير القيادة في مصر لم يؤثر فيما يبدو على رغبة وزارة الخارجية الامريكية في دفع المبادرة الدبلوماسية التي سبق لها ان طرحتها . وكانت جهود وزارة الخارجية قد وصلت الى طريق مسدود في عام ١٩٦٩ ، ثم جرى احياء هذه الجهود في شهر يونيو عام ١٩٧٠ باقتراح تقدمت به الولايات

المتحدة لوقف إطلاق النار على أساس تجميد الأوضاع القائمة على طول قناة السويس ثم انهارت المبادرة الأمريكية مرة أخرى بسبب انتهاكات اتفاقية تجميد أوضاع القوات في منطقة القناة وبسبب الازمة في الاردن .

وفي نهاية عام ١٩٧٠ تم التقاط المبادرة الأمريكية مرة أخرى وانعاشها . كما لو لم يكن قد حدث أى شئ خلال الفترة بين انهيار هذه المبادرة واعادتها الى الحياة .

لم ير البعض ان المواقف ربما تكون قد ازدادت تصلبا وانه لم يطرأ عنصر جديد . ولم يعتبر هؤلاء أن التصلب أو عدم توافر عنصر جديد يشكل أسبابا تكفى للامتناع عن الدبلوماسية المتحصة التواقفة الى عمل أى شئ .

● خطاب نيكسون الى جولدا مائير

في شهر ديسمبر عام ١٩٧٠ حث وليام روجرز وزير الخارجية الأمريكي . الرئيس نيكسون على توجيه خطاب بتاريخ ١٣ ديسمبر الى جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل لكن يشيع الاطمئنان لديها مما شجع وزارة الخارجية في نهاية شهر ديسمبر على أن تسمى لاقناع الاسرائيليين بالعودة الى المفاوضات التي كان يديرها الوسيط الدولى السويدى جوناثان يارنج . وكانت اسرائيل قد انسحبت من هذه المفاوضات في شهر سبتمبر من تلك السنة بسبب انتهاكات مصر لوقف إطلاق النار على اساس الأوضاع القائمة (وهي المشكلة التي اطلق عليها في ذلك الحين . مشكلة تحريك الصواريخ المصرية من مواقعها في اتجاه اقرب الى مواقع خط القتال) .

وقبل التأكد من موافقة اسرائيل على العودة الى المفاوضات . كان جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الأمريكية قد أرسل تعليماته بالفعل - دون تصريح من البيت الابيض - التي تحت جوناثان يارنج على أن يجدد مهمته في الوساطة على أساس مقترحاتنا التي قدمت في عام ١٩٦٩ حول الحدود النهائية وشروط السلام (وهي التي أطلق عليها مشروع روجرز) .

ولم يكن لدى جوزيف سيسكو أى مبرر يحمله على الاعتقاد بأن الاطسراف على وشك ان توفق بين مواقفها التي كانت حتى ذلك الوقت غير قابلة للتوفيق بينها . ولكن سيسكو قال لي في أوائل

شهر يناير من العام التالي . اننا لن نخسر الكثير اذا قام يارنج بالمحاولة على الاقل .

ان الدبلوماسى يجب الا يقع فى خطأ افساح المجال للخوارق والمعجزات . . لكى تتولى نيابة عنه تدبير الامور .

وكان لصفقة اسلحة أمريكية جديدة قدرها ٩٠ مليون دولار - وافق عليها نيكسون فى أكتوبر - أنزرها فى تهدئة الاسرائيليين . . وتجاوبوا مع المبادرة الامريكية فى اوائل عام ١٩٧١ عن طريق توجيه الدعوة لجونار يارنج لكى يبدأ مهمته بزيارة اسرائيل .

وعلى الفور . واجه يارنج نفس المشكلة التى أدت الى تعجيد المفاوضات فى العام السابق .

فقد أصرت اسرائيل على « السلام »

وأصرت مصر على الانسحاب .

وصلم الاسرائيليون فى ٨ يناير الى الوسيط السويدى ورقة تتضمن قائمة بما اسماه « العناصر الجوهرية للسلام » . ومن بين هذه العناصر انتهاء حالة الحزب والارهاب والحصار الاقتصادى والمقاطعة واقامة « علاقات حسن جوار وتعاون » . وفى مقابل ذلك اوضحت اسرائيل سعيها الى اقامة « حدود آمنة ومعترف بها ومتفق عليها » مع تدابير أمن مناسبة .

وبعبارة اخرى ، فان اسرائيل اقترحت الحصول على ارض مصرية كجزء من عملية السلام .

وباختصار . . فان الموقف الاسرائيلى لم يكن قد تغير فى شىء على الاطلاق . .

● حيلة من يلونج

ونقل جونار يارنج الوثيقة الاسرائيلية الى المصريين فى يوم ١٣ يناير . وردت القاهرة بعد أيام قلائل بوثيقة تؤكد من جديد على الموقف المصرى الذى يدعو الى الانسحاب الاسرائيلى الكامل الى حدود عام ١٩٦٧ كما يدعو اسرائيل الى الكف عن سياسة التوسع الاقليمى . .

وفى مناورة يائسة للتوفيق بين الموقفين المتعارضين . لجأ جونلج يارنج الى حيلة اجرائية اذ قام « بتخفيف لهجة » الورقة المصرية قبل ان ينقلها الى الاسرائيليين لسماع رأيهم . فقد حذف اللفظة

الهجومية التي وردت في المقدمة والتي رفضت الورقة الاسرائيلية باعتبارها « لا تصيف عنصرا جديدا » الى المواقف الاسرائيلية السابقة . كان يارنج يحاول تهدئة الشكوك . وقد اصفرت تكتيكاته عن النتيجة العكسية . اذ قامت كل من مصر واسرائيل كجزء من حرب الدعاية التي تشنها احدهما ضد الاخرى بتسريب وثيقتها الى الصحف . ولم يساعد ذلك على ايجاد الثقة لدى اسرائيل بعد ان رأت في الصحف صحيفة للورقة المصرية مختلفة عن تلك التي تسلمتها رسميا من يارنج

وكما توقعت . كانت نتيجة الحولة الاولى لحادثات يارنج هي الوصول الى طريق مسدود . وقال في ~~سبتمبر~~ ٢١ يناير انه لم يكن يتوقع شيئا اكثر من ذلك . ~~وهو ذا~~ ~~سبتمبر~~ ~~يوضح~~ الان ان الهدف من بذل ذلك الجهد هو تجديد فترة وقف إطلاق النار عندما تنتهي في بداية شهر فبراير . وقد حقق الجهد هذا الهدف . ولكن لم يكف يقضى اسوعان حتى قدم جوناثان يارنج بتشجيع من وزارة الخارجية الامريكية ، افكارا جوهرية - توصل اليها بنفسه - في محاولة لكسر الجمود .

● مشروعات على الورق

كان السيناريو الذي نشأه عساة عن نسخة طبق الاصل . مكررة لما حدث في عام ١٩٦٩ . أي نشاط لجرد النشاط وسط مواعيد نهائية ~~تخصص من تلقا~~ ذاتها ولا يمكن التوصل بها الا عن طريق التفاوض عن خلافات لا يمكن التوفيق بينها أو حلها . وبالتالي . فقد أدى ذلك لان يصبح الانفجار محتوما . ١٠٠ أكثر فاكثرا . واستمر تخطيط مشروعات على الورق خلال شهر يناير ، فقد قدم يارنج اقتراحا جديدا للطرفين في ٨ فبراير يطالب فيه اسرائيل بالانسحاب الى حدود عام ١٩٦٧ مع مصر . على أن يرتبط ذلك بترتيبات أمن عملية . ~~وطالب~~ مصر بتوقيع اتفاقية سلام مع اسرائيل .

● صاعى بريد فقط

وغضب الاسرائيليون بشدة . واعتبروا ان ورقة يارنج تستند على اساس مشروع روجرز لعام ١٩٦٩ (وكان ثمة ما يبرر موقفهم) الذي سبق لهم ان رفضوه في حينه . كذلك رفض الاسرائيليون ان تكون ليارنج سلطة تقديم افكار من عنده . وقالوا ان مهمته هي



جولما والير
خطاب اليها من نيكسون
لشبح الاطمئنان لديها



يارنج
لام بحيلة فاشلة
للتوفيق بين الاطراف

القيام بدور ساعي البريد وأن دوره يجب ان يقتصر على تسوية
الاسئلة .

ولم تكن ورقة يارنج بالنسبة لاسرائيل متبارا اعتراض في
جوهرها . فقط بل ان مجرد تقديمها كان يعني في اذهان
الاسرائيليين ان السبادات ليس في حاجة لان مجرد على الموقف
الاسرائيلي الذي كان يتركز على ~~ترسيخ السلام~~ فقط دون
الانسحاب .

● البيت الابيض . . لا يوافق . .

كانت تجري ممارسة كل هذا النشاط الدبلوماسي دون أي
تنسيق حقيقي مع البيت الابيض . وعلى سبيل المثال . فقد قدم
يارنج ورقته الى الطرفين في نفس اليوم الذي عقدت فيه اجتماعا
للمجموعة العليا لاستعراض المواقف ، وذلك لبحث الاستراتيجية
في المرحلة القادمة . كذلك جرى تبادل سلسلة من الرسائل الهامة
في شهر يناير بين روجرز ومحمود رياض وزير خارجية مصر .
لم يطلع البيت الابيض على هذه الرسائل الا بعد حدوث الواقعة .
وقد بذل هارولد سوندرز الخبير المقتدر في مكتبى جهده لاكتشاف
هذه الواقعة (تبادل الرسائل ومحتواها) .

وقد تضمنت هذه الرسائل تأكيد روجرز لمحمود رياض بأن
الولايات المتحدة ستبذل جهدا بكل طاقاتها ، لضمان التوصل

الى تسوية في عام ١٩٧١ وهو الجهد الذي لم يكن البيت يساعده على
الاطلاق على أساس مشروع روجرز .

واذا كان الاسرائيليون قد غضبوا بسبب مضمون عروض
يارنج ، فان المصريين سوف يعرفون حقيقة الموقف الامريكي عندما
تلقى المقترحات التي قمنا بتشجيع يارنج على تقديمها مساندة تافهة
من جانب الولايات المتحدة . واصبح الجانبان يشعرا الآن بالغضب
تجاهنا . فالمازق الذي وصلت اليه مفاوضات عام ١٩٦٩ تكرر مرة
اخرى . وفي اواخر شهر فبراير . انهارت العمليات الاستكشافية
التي يقوم بها يارنج بسبب رفض اسرائيل قبول مبدأ المودة الى
حدود عام ١٩٦٧ في جميع الارض العربية المحتلة واصرار مصر على
هذا المبدأ

ومع ذلك ، فقد احرز يارنج تقدما . . بموافقة مصر على فكرة
اتفاقية سلام وليس مجرد اعلان بانهاء الحرب وذلك في حالة عودة
اسرائيل الى حدود عام ١٩٦٧ . ولكن . لما كان هذا الموقف قد
قوبل بالرفض بضاد . . فان مهمة يارنج قد انتهت في حقيقة الامر .

● راي نيكسون

كان هناك بعض الميل داخل الحكومة الامريكية الى فرض مشروع
روجرز على الاسرائيليين . ولكن الرئيس نيكسون لم تكن لديه
الرغبة في ذلك في خضم أزمة لاوس . كما ان هذه الخطوة لم يكن
لها معنى من الناحية الاستراتيجية . وطالما اننا كنا نعتبر ان مصر
كانت قاعدة عسكرية سوفيتية في واقع الامر . لم يكن لدينا
الحافز لان نتصدى لمواجهة حليف (اسرائيل) لمصلحة مصر .

كان هذا هو سبب معارضة الدائمة لحلول شاملة يمكن ان
يرفضها كل من الجانبين ولا يمكن ان تخدم سوى الاهداف
السوفيتية سواء في حالة ظهور عجزنا أو في حالة تحولنا الى واجهة
معروضات لكل ما يمكن انتزاعه تحت ضغط موسكو .

● هدفى تجميد الموقف

كان هدفى هو تجميد الموقف لحين قيام موسكو بالمطالبة بحل
وسط أو لحين (وهذا أفضل) أن يقرر نظام حكم عربي معتدل ان
الطريق الى التقدم يكون من خلال واشنطن .
وفي الحقيقة . . اننا لو كنا نرغب السماح بصورة اكبر لدقائق

دبلوماسية الشرق الاوسط . لاستطعنا ان نتبين الاشارات الاولى لتغيرات أساسية في الموقف المصري . فقد طرح السادات في خطاب امام البرلمان المصري يوم ٤ فبراير - وافق فيه على مد فترة وقف اطلاق النار - فكرة اتفاقية مرحلية أو مؤقتة وانسحاب جزئى اسرائيل من قناة السويس يتيح إعادة فتح القناة وذلك كمرحلة أولى من جدول زمنى يتم وضعه فيما بعد لتنفيذ البنود الاخرى من قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وكما سبقت الاشارة فان رد مصر على يارنج بتاريخ ١٥ فبراير تضمن ، لأول مرة ، الرغبة فى توقيع اتفاقية سلام مع اسرائيل وهى مشروطة بطبيعة الحال بالانسحاب الاسرائيلى - من الارض العربية المحتلة - الى حدود ١٩٦٧ . الامر الذى لم تقبله اسرائيل .

واعتبر السادات ان هذه الخطوات التى حدثت فى فبراير عام ١٩٧١ هى البداية لرحلته الطويلة الشاقة الفريدة نحو السلام . واصبح اقتراحه بحث موضوع ابرام اتفاقية مرحلية حول قناة السويس بؤرة النشاط الدبلوماسى فى عام ١٩٧١ وصورة للفكرة التى انعكست فى النهاية فى اتفاقية فصل القوات فى يناير عام ١٩٧٤ وهى الاتفاقية التى استهلكت عملية السلام بعد حرب ١٩٧٣ ، وستصبح رغبته فى ابرام اتفاقية سلام مع اسرائيل حقيقة واقعة مثيرة بعد ثمانى سنوات .

تعاليم موسى صبرى

على الفصل الثانى

نعم.. ولا.. ياكسينجر

اعتقد أن قراء الصحف لاحظوا هذه الايام ظهور اسم المحامية الامريكية « ريتا هاورز » فى كثير من البرقيات التى تتناول الانتخابات الامريكية . انها عضو هام فى الحزب الجمهورى . وتقيم فى نيويورك وهى يهودية من دعاة السياسة الاسرائيلية ، وكانت صديقة حميمة لجولدا مائير . وقد رددت البرقيات اخيرا انها استقالت من لجنة ترشيح « كورنلى » بعد ان أعلن وثيقته المشهورة عن برنامجه بالنسبة للسلام لو أصبح رئيسا لامريكا .

قالت لى « ريتا هاورز » منذ أربعة أعوام .. بعد أن قدمنى اليها الدكتور عصمت عبد المجيد صغبرنا لدى الأمم المتحدة ، وكانا طرفى نفوذ سياسية دعت اليها مؤسسة أمريكية شعبية للشئون الخارجية .. قالت « ريتا هاورز » ، .. اننى صديقة حميمة لهنرى كسينجر .. وكثيرا ما يطلبنى بالتليفون فى ساعة متأخرة من الليل لكي يشكو لى همومه السياسية وما يعانيه فى البيت الابيض .. ولكن يجب أن أقول للحقيقة والتاريخ أن الرئيس نيكستون هو الصانع الحقيقى للسياسة الخارجية الامريكية .. وأنه أجاد اختيار هنرى كستشار ومنفذ .. ولكن: هنرى بارغ فى جنب الاضواء اليه .

واضيف من جانبى ان هنرى كسينجر يبلغ قمة البراعة فى مؤلفه
« سنوات البيت الابيض » فى اختيار الفاظه وعباراته الدبلوماسية ،
التي يحار قارئها - فى بعض المواقف - فى تحديد ما يقصده تماما -
من حيث المعنى الذى يريد اخفائه ، أو يريد ذكره بغير أن يلزم
بحرج أو حكم قاطع .. ولكن تعبيراته أولا وأخيرا ، هي تعبيرات
بالغة الدقة .. مع أن العادة فى مؤسسات النشر لكبار السياسيين ،
هي أن يخصص محررون ممتازون من اصحاب الاقلام ، لاعادة كتابة
ما يسجله السياسى .. ولكن الكلمة الاخيرة هي للمؤلف ..
وبالذات اذا كان هنرى كسينجر .



اقول هذا تعليقا على بعض ما ورد فى جانب من المذكرات فى هذا
الفصل .. فان هنرى كسينجر يسجل حقيقة وهي أن الرئيس
ديجول أعلن تأييده للموقف العربى بعد حرب ٦٧ . ولكن كسينجر
لا يذكر أن ديجول أعلن ذلك ، التزاما بكلمته قبل الحرب ، بأن
فرنسا لن تؤيد البادى بالضربة الاولى . وقد ثبت أن اسرائيل هي
التي بدأت الضربة الاولى وكسينجر - فى هذا - يتعاشى تماما أن
يلصق باسرائيل اتهام الضربة الاولى .. أنه يدافع بأسلوب ملتو عن
اضطرار اسرائيل للضربة الاولى !



ويتحدث كسينجر فى هذا الجانب من مذكراته عن موقف الرئيس
الامريكى الاسبق جونسون .. ويكشف أن جونسون كان يقدم
للعرب بعد حرب ٦٧ كلمات جوفاء لا معنى لها عن الجهود الامريكية
من أجل السلام .. وأن جونسون تجنب أى كلام محدد فى مناقشته
لجوانب الازمة .

ولكن كسينجر لا يذكر أن جونسون كان متآمرا ضد مصر ، فى
موضوع « الضربة الاولى » .. وأن السفير الامريكى أيقظ جمال
عبد الناصر فى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل لكي يحذره من
الضربة الاولى .. وكذلك فعل السفير السوفيتى .. وهذا هو الذى
أتاح لاسرائيل الضربة الاولى .. مع أن كسينجر يسجل فى هذه
المذكرات أن جمال عبد الناصر لم يكن يتصور أن الامر سوف ينتهى
الى صدام عسكري . ولم يذكر كسينجر أيضا أن اتصالات جرت بين
القاهرة والبيت الابيض ، وأنه اتفق على ارسال مبعوث مصرى الى

واشنطن للقاء جونسون ، وكان هذا المبعوث هو زكريا محيي الدين
وأعلن ذلك رسميا ٠٠ وقبل الموعد المحدد لسفره رسميا من
الجانبين بيومين ٠٠ بدأ العدوان الاسرائيل ٠٠ الذي كان يمسلم
جونسون مقدما بموعده ٠

وفي هذا يقول انور السادات :

« بعد هزيمتنا في يونيو ١٩٦٧ ووضوح دور جونسون رئيس
أمريكا في ذلك الوقت في خداعتنا لحساب اسرائيل ، عندما اتفق
مع عبد الناصر بعد اغلاق خليج العقبة في مايو ١٩٦٧ في وجه
الملاحه الاسرائيلية على أن يرسل نائبه همفري الى القاهرة ، أو
يرسل عبد الناصر احد نوابه الى واشنطن ٠ وبادر عبدالناصر باخطار
جونسون أنه سيرسل له احد نوابه الى واشنطن لحل مشكلة
مضائق العقبة ٠ وكانت المشكلة قد شدت انتباه العالم كله ، وكل
يوم تتطور الى الاسوأ ، واتفق رسميا بين عبد الناصر وجونسون
أن يتوجه احد نواب الرئيس عبد الناصر لمقابلة جونسون يوم
الاربعاء ٧ يونيو ١٩٦٧ في واشنطن ٠ وفي نفس الوقت كان
جونسون يستحث الاسرائيليين على المبادرة بالهجوم على سيناء ٠ بعد
أن قدم لهم صور القمر الصناعي الامريكى وأوضاع القوات المصرية
في سيناء ، ساعة بساعة ٠ بل وطلب من الاسرائيليين سرعة بدء
الهجوم قبل وصول نائب رئيس الجمهورية المصرى الى واشنطن
في ٧ يونيو ١٩٦٧ ، وخاصة عندما عرض الاسرائيليون خططهم
عليه في مكتبه بالبيت الابيض بحضور رئيس «C.I.A» واحد
القادة الكبار من البنتاجون » ٠

ثم يقول السادات :

« وقد نفذت اسرائيل فعلا كلام جونسون ، وهجمت يوم ٥ يونيو
١٩٦٧ أى قبل وصول نائب الرئيس المصرى بيومين ٠ وطبعا لم تتم
هذه الزيارة » ٠

ولم يكتف جونسون بهذه الخديعة لحساب اسرائيل ، بل أنه
استخدم أيضا الخط الساخن مع القادة السوفيت ٠ وأكد لهم أن
اسرائيل لن تبدأ بالهجوم ، وأن عليهم أن يخطرأ عبد الناصر
بذلك ، وقد استجاب السوفيت لهذه الخديعة أو اشتركوا فيها ٠
- لا أستطيع أن أجزم - ولكن ماحدث هو ان بادر السوفيت عقب

اتصال جونسون بهم . الى الاتصال بعبد الناصر . وأيقظوه في
الفجر ، ليبلغوه على لسان سفيرهم في القاهرة رسالة جونسون ،
وتأكيدهم وتأييدهم لها .



تجاوز كسينجر كل ذلك . وأعطى لاسرائيل تبرير الضربة الاولى
في عام ١٩٦٧ ، وان كنا نتفق مع كسينجر في قصة الزعم
السوفيتي بحشد قوات اسرائيلية لمهاجمة سوريا . فقد حدث
عندما ذهب الفريق محمد فوزي الى سوريا لاستطلاع الامر ، ان أكد
له العسكريون السوريون أنه لا يوجد أي حشد اسرائيلي . ولنا
نظم حتى الآن اذا كانت هذه احدي مراوغات البعث السوري . أو
انها كانت حقيقة . ولكن مؤرخا واحدا لا يستطيع ان يستجمع
كل وقائع الاحداث وان كان عبد الناصر قد أعلن في اجتماع
للحوك والرؤساء العرب الذي دعا اليه في القاهرة فيل وفاته .
ان مصر دخلت حرب ٦٧ بسبب سوريا ومن أجلها .



وقد تحدث كسينجر في هذا الفصل الذي نعلق عليه عن
المساعدات العسكرية السوفيتية . وتزايد الوجود السوفيتي .
ووجه اللوم الى الادارة الامريكية التي سحبت عرض السد العالي ،
ولكن كسينجر لم يسجل أن السياسة الامريكية تجاه عدم تسليح
مصر هي التي أدت الى هذا الموقف . ولم يسجل أن جمال عبد
الناصر بدأ ثورة ٢٣ يوليو بعلاقات طيبة مع الولايات المتحدة
الامريكية . ولكننا تعرضنا بعد ذلك لضربة عسكرية اسرائيلية
. ووعدت أمريكا بامدادنا بالسلاح . وذهبت بعثة مصرية
عسكرية الى واشنطن للاتفاق على الأسلحة ونوعها وكميتها .
وعادت البعثة المصرية من غير أن تحصل حتى على بندقية أو رصاصة
واحدة .



ولكننا نتفق مع كسينجر في أن الانتذار السوفيتي الذي وجهه
بولجانين رئيس الاتحاد السوفيتي بعد العدوان الثلاثي على مصر في
١٩٥٦ كان عملية تمثيلية خادعة . بعد أن اطمان الاتحاد السوفيتي
الى أن التدخل الأمريكي حسم الموقف . لقد قال كسينجر في ذلك
لقد نصرف السوفيت بجرأة متزايدة . ففي عام ١٩٥٦ تطلقوا

بصورة هامشية على دبلوماسية أزمة السويس ووجهوا تهديدات غامضة بالتدخل العسكري ، بعد أن أدى الضغط الذي مارسناه على بريطانيا وفرنسا الى جعل هذه التهديدات السوفيتية لا تعنى أية مخاطرة .

ونحن نضيف من جانبنا الى ما جاء في هذه المذكرات . قصة عن هذا «الإنذار» السوفيتي :

عندما بدأ العدوان الثلاثي على مصر .. طار شكرى القوتلى السورى حينئذ الى موسكو ، والتقى بزعماء الاتحاد السوفيتي : بولجانين رئيس الاتحاد السوفيتي ، وخرشوف سكرتير عام الحزب الشيوعي ، والمارشال زوكوف وزير الدفاع السوفيتي .. واجتمع بهم وقتا طويلا . وطلب منهم مساعدة مصر عسكريا . فكان رد الزعامة السوفيتية : انصح عبد الناصر أن يبحث عن حل سياسى ، لان الاتحاد السوفيتي لن يدخل حربا يحدد الغرب زمانها ومكانها . قل لعبد الناصر أن يحاول الاتفاق مع انجلترا .

وطلب منهم شكرى القوتلى المساعدة السياسية المعنوية .. ولو باصدار بيان .. فكان جوابهم هو الرفض أيضا .

وأسرع شكرى القوتلى وأبرق بكل ذلك الى جمال عبد الناصر . وقد احتفظ جمال عبد الناصر بهذه البرقية في جيبه . ولم يطلع عليها الا عددا قليلا جدا من أعضاء مجلس الثورة . بل قيل أنه لم يطلع عليها أحدا ، حتى لا تهبط المعنويات ، وحتى تحتفظ قيادة الثورة بازادة الصمود .

ولما اطمأن الاتحاد السوفيتي الى أن الموقف قد حسم .. أعلنوا انذارهم المشهور .. الذى يتفاخرون حتى اليوم بأنه هو الذى حسم الموقف .

وفي عام ١٩٥٩ ثارت خلافات بين مصر والاتحاد السوفيتي . ووجه خروشوف اتهامات الى مصر .. وكان جمال عبد الناصر في ذلك الوقت في دمشق .. وأعلن في إحدى خطبه تحذيرا للاتحاد السوفيتي بقوله : (اننى لا أريد أن أكتشف الآن سر البرقية التى تلقيتها من موسكو خلال المركة) .

وفي خطاب آخر لعبد الناصر فى بورسعيد .. أشار الى ذلك أيضا .

وقد تهرب كسينجر فى مذكراته من الحكم الصريح على العدوان

الثلاثي واستخدم عبارة (وبصرف النظر عن وجهة النظر بشأن
حكمة العمل العسكري البريطاني والفرنسي .. فقصد كنت مقتنعا
باننا سندفع ثمننا فادحا في السنوات القادمة ..) الى آخره .



بقيت ملاحظة عميقة نقر عليها هنري كسينجر كل الاقرار ، وهي
الايمان بأن السلام الدائم يعتمد أولا وقبل كل شيء على تسوية
المشكلات من جذورها ، وعلى وضع استراتيجية واضحة الاهداف
وعلى الثقة وتحطيم جدار الشكوك والكراهية والاحقاد .. لان معظم
الحروب التي وقعت في التاريخ كانت بين دول استهملت العلاقات
فيما بينها بالسلام .. وأنه لجئون خاص بالشرق الاوسط .
ان حروبه قد اشتملت بين دول كانت بالفعل في حالة حرب من
الناحية التكتيكية .

وهذه هي الاستراتيجية الجديدة التي خلقها أنور السادات ..
والتي غيرت وجه التاريخ في المنطقة العربية .. أن الاتفاقات تحدد
شروط تنفيذ السلام .. ولكن السلام الدائم الشامل لا يتحقق الا
بتحطيم كل جدر الكراهية والاحقاد والدماء والشكوك .. ولكن
كسينجر لم يفعل ذلك بكل أسف عندما كان صاحب خطوة ونفوذ
في البيت الابيض . لقد كان كل فكره منصبا على تعطيل أي خطوة
نحو ال سلام .. مع أمداد اسرائيل المستمر بالسلاح .. مما ضاعف
من فجوات الاحقاد .. وأكد لصر أنه لا سبيل الا القتال .. وحماية
شرف الارض بالدم والارواح .



وتؤيد فلسفة كسينجر أيضا في مذكراته . أن أنور السادات
كان محقا عندما رفض كل عروض السلام التفاوضية قبل حرب
أكتوبر .. لانها كما سجل أنور السادات، كانت ستكون مفاوضات
استسلام .. لا سلام . ونحن في موقف المهزومين على مائدة واحدة
مع المنتصرين . ولذلك كانت حرب أكتوبر من الجبل السلام ..
ولذلك كانت مبادرة السلام من موقع القوة .. ولذلك انتصر شعاع
فلتكن حرب أكتوبر هي آخر الحروب الذي أغلقته السادات بشجاعة
تاريخية .

ان كسينجر يظهر دهشته في مذكراته من أن عبد الناصر كان
يطالب أمريكا بالانسحاب الاسرائيل غير المشروط من جميع الاراضي
المحتلة .

مع ان التاريخ لا يذكر سابقة واحدة لتسوية سلمية تركز على انسحاب غير مشروط للمنتصر من الارض التي احتلتها ،

وهكذا كان ينظر اليها العالم حينئذ .

اننا في موقف الهزيمة .. وأرضنا محتلة . ونردده فقط شعارات الانسحاب الكامل . ونرفض التفاوض مع اسرائيل . وكانت اسرائيل تستثمر هذا الموقف ضدنا دعائيا .

ولكن هذه الحرب النفسية لم تؤثر في قرار انور السادات .. رفض التفاوض والمروء من موقف الهزيمة . ثم كان الاصرار على السلام ومصر في قمة انتصار حرب أكتوبر .

ان هذا الفصل من مذكرات كسينجر ، يستاهل كثيرا من الجدل والمناقشة في كثير من الاحداث التي سجلها . ولكنها في عمومها تسجيل تاريخي فلسفي للاستراتيجية الامريكية .. يعترف فيها بأمانة أنه لم يكن يعرف الا القليل من الشرق الاوسط عندما تسلم عمله الرسمي . ثم غاص في المسئولية حتى آذاته . وحتى استغرق في غوامض وانفعالات واحباطات تلك المنطقة التي تفيض باللامح .. والتي تمتع على الجنون والانتعاش !!



ولكن اذا كان كسينجر يعترف بأنه لم يكن يعرف الا القليل عن الشرق الاوسط .. فلا بد أنه عرف بعد ذلك كيف نشأت اسرائيل . ان سطوره عن نشأة اسرائيل تتجاهل تماما طرد الشعب الفلسطيني من أرضه .. وكان هذه القضية غير واردة على الاطلاق . كما أنه يتجاهل أعمال المصائب الصهيونية الارهابية، ومذابحها البشعة .. كل ذلك نسيه كسينجر وهو يلخص لقارئه قصة نشوء أزمة الشرق الاوسط .. ولكنه تذكر فقط ان ميثاق منظمة التحرير يهدف الى ازالة دولة اسرائيل !



ان هذا الفصل من مذكرات كسينجر يكشف الاتصالات السرية التي جرت بعد هزيمة ٦٧ بين الاردن واسرائيل . وهو يكشف أيضا أن الاردن وافق على قرار ٢٤٢ على أساس وعد من جولدبرج سفير أمريكا لدى الأمم المتحدة ، باعادة الضفة الغربية للاردن ، زالسي الأمريكي لكي يكون للاردن دور في القدس .. ولعل هذا يفسر موقف الاردن الآن .. من اتفاسق كامب دافيد الذي يضع الاطار للحكم الذاتي الفلسطيني على أرض الضفة الغربية وغزة

.. وهي أرض فلسطينية كما قال أنور السادات لبيجين في أول اجتماع عقد في كامب دافيد مع الرئيس الأمريكي كارتر .
فلم يمد سرا أن السادات قال لبيجين : أنت لا تستطيع أن تزعم
أي حق لإسرائيل على أرض الضفة الغربية أو غزة .. لأنها أرض
فلسطينية . ولا يستطيع الملك حسين أن يزعم أي حق للاردن على
أرض الضفة الغربية .. لأنها أرض فلسطينية .. وصاحب الحق
الأول والأخير على الأرض في الضفة الغربية وغزة .. هو الشعب
الفلسطيني .



وبعد .. فإذا كان كسينجر قد تعمد أن يسجل أن جمال عبد
الناصر قد اضطر الى أن يسحب اتهامه لأمريكا بالاشتراك في
حرب ٦٧ .. فإن المتابع لكل سطور كسينجر بعد ذلك عن أزمة
الشرق الأوسط .. يصل الى اليقين الكامل ، بأن إسرائيل كانت
تعتمد في كل مواقفها على التأييد الأمريكي الكامل عسكريا وسياسيا
واقتصاديا .. وقد أسهم كسينجر في هذا التأييد بباع كبير ..
فليس اتهام عبد الناصر لأمريكا ، بالاشتراك في حرب ٦٧ .. ثم
تراجعه عن هذا الاتهام .. هو الأمر الأساسي في مناقشة قضية
الحرب .. لأن إسرائيل لم تكن قادرة على الضربة الأولى .. إلا بالتأييد
الأمريكي الكامل . ولكن عبد الناصر كان يريد فعلا أن يجد سبيلا
للتفاهم مع أمريكا فاحتجت واشنطن بأنها لا تتفاهم مع من اتهمها
بالاشتراك في الحرب .. فسحب عبد الناصر هذا الاتهام .. ومع
ذلك فإن كل محاولات مصر لم تجد في تحييد الانحياز الأمريكي
الكامل لإسرائيل .

وهذه هي حقائق التاريخ .. التي استطاع أنور السادات أن
يفيرها فعلا .. وأن يفزو - إذا صح هذا التعبير - الرأي العام
الأمريكي الذي كان لا يعرف إلا دعاوى إسرائيل .. ولا يؤمن إلا
بكل ما تزوجه الدعاية الصهيونية .. بأن إسرائيل تريد السلام
.. ولكنها محاطة بوحوش يريدون القاءها في البحر ..
ولم يكن هذا التعبير بالأمر السهل .. وقد كان كسينجر أول
الموقنين لكل سبيل للسلام قبل حرب أكتوبر . وإذا كان يقول
في هذا الفصل أن دور القوى الكبرى في الأزمة ، كان أكثر تعقيدا
من دور أطراف الأزمة .. فإن المقبل من فصول هذه المذكرات
يكشف الكثير عن الأعياب هذه القوى العظمى .. التي عقدت الأزمة
.. وأرادت أن تتحكم فيها لصالحها .. وصالحها فقط .

كنتُ جاهلاً بمسألة الشرق الأوسط

● جونسون براوغ ويقود استخدام عبارات غامضة
عن قضية الشرق الأوسط ..

● اتصالات سرية ومباشرة بين الاردن واسرائيل
بعد ١٩٦٧ ..

● بدأت عمل في البيت الابيض جاهلاً بمسكلة
الشرق الأوسط .. ومع نهاية عمل عرفت أنها منطقة
الملاحم والانفعالات .. وأنها تبعث على الجنون

● عبد الناصر يعرض على أمريكا إعادة العلاقات
الدبلوماسية مقابل الضغط على اسرائيل .. وأمريكا
وأمريكا ترفض

● جساء الإنذار السوفيتي في عام ١٩٥٦ بعد أن
اطمانت موسكو إلى أن أمريكا حسمت الموقف ..

● الفصل الثاني ●

كنت جاهلاً بمحطة الشرق الأوسط

قال كسينجر

عندما تسلمت عمل الرسمى . كنت اعرف القليل عن الشرق الاوسط . . لم اكن قد زرت اية دولة عربية فى حياتى . ولم اكن معتادا على طبقوس مفاوضات الشرق الاوسط . وكانت اول مرة اسمع فيها احدى الصيغ المستقرة لدبلوماسية المنطقة فى حفل عشاء فى السفارة البريطانية فى فبراير عام ١٩٦٩ . فقد اثار احد الحاضرين موضوع اللغة التى تماثل لغة الاسرار المقدسة والتى صيغ بها القرار رقم ٢٥٢ الصادر عن مجلس الامن . . انه القرار الذى يتمم ويفهم بكلمات عن الحاجة الى سلام عادل ودائم داخل حدود آمنة ومعترف بها . كان ظنى ان هذه العبارة تافهة الى الحد الذى جعلنى اتهم المتحدث بأنه يتلاعب بى . كانت غلطة من جانبى لم اكررها .



مع نهاية فترة عمل فى منصبى أصبحت مثل جميع الآخرين المخضرمين فى شئون الشرق الاوسط .

وأصبحت الكلمة حقيقة واقعة . وامتزج الشكل مع الجوهر . لقد استفرقت فى غوامض وانفعالات واحباطات تلك المنطقة التى تفيض بالملامح . . تلك المنطقة التى تبعث على الجنون والانتعاش ! . واذا وجد القارىء أن الدبلوماسية كما يتعرض لها هذا الكتاب

عبارة عن مستنقع مؤلم من المناورة والغوص فانه سيعرف كيف
كان شعوري .

● ٣ زيارات سرية

ان معرفتي الشخصية بالمنطقة قبل عام ١٩٦٩ كانت مقصورة
على ثلاث زيارات خاصة سرية لاسرائيل خلال الستينات . ومازالت
حية في ذاكرتي بنوع خاص تلك الزيارة التي قمت بها لمستعمرة
جينو سار . . موطن ايجال يادين الذي كان طالبا في ندوتي عن
الشئون الدولية بجامعة هارفارد في عام ١٩٥٧ ثم أصبح فيما بعد
زعيلا يتولى منصب نائب رئيس حكومة ووزير خارجية اسرائيل .
وتقع مستعمرة على ضفاف بحر الجليل . وكل بوسة مربعة من
تربتها المزروعة بكثافة قد انتزعت بالايمان والمعاناة من الظروف
المعادية سواء الظروف الجغرافية أو الحرب . وعلى الضفة الاخرى
من البحر . . اذكرك انني رأيت زورق صيد يقف وحيدا عند أطراف
منحدرات مرتفعات الجولان . . على مدى قصير من البنادق السورية .

عاجلا أو آجلا يجب أن تجري مصالحة بين الرجال والنساء الذين
يوجدون على قمة هذه المنحدرات . . فالسلام في الشرق الاوسط
ليس فقط ضرورة مادية بل هو ايضا انجاز لتطلعات روحية ولم
يكن يخطر على بالي في وقت من الاوقات انني سأنضم في يوم ما
الى النضال من أجل هذا السلام . .

● فيضان من الكلمات

ولم اكن ايضا ادرك تماما حجم ذلك الفيضان من الكلمات الذي
يستخدم لتبرير المطالب المتعددة . . وكيف أن هذه الكلمات كانت
تزيد المواقف الاساسية غموضا بدلا من أن تزيدها وضوحا . تلك
المنطقة القاحلة من الصحراوات والجبال المقفرة التي انبثقت منها
ديانات العالم الكبرى . . يوجد ميل عميق الى المغالة والتضخيم . .
ويساعد على ذلك أن الجغرافيا لم تضع حدودا للخيال البشري .
والانسان الذي يكرس نفسه لخدمة مثل أعلى هو وحده الذي يستطيع
أن يبقى على قيد الحياة في ظل تضاريس وطقس من هذا النوع . .
كل منهما يتأصبه العداء . والعزاء الرئيسي للانسان في هذه الظروف
ليس الطبيعة بل الايمان والعلاقة الانسانية . .

ولا يمكن أن توجد في مكان آخر مثل هذه المجموعة من الزعماء
الذين تتميز سمات شخصياتهم بخطوط حادة . ولا تلعب في أي

مكان آخر معتقدات الساسة كأفراد مثل هذا الدور الحيوى .
الانسان هنا يتوحد مع أنصاره بالايمان وتلعب الكلمة دورا حاسما
فى أغلب الاحيان . . وسواء فى حالة تاويل التلود عند الاسرائيليين
او الميل العربى نحو الشعر الملحمى . . فان الذى يحدث ببساطة
هو تجاوز ما يعتبره الغرب ذو النزعة العملية . . حقيقة تجريبية
والانتقال الى مجال الرطانة الانفعالية وعالم الالهام البشرى . وويل
للجنبى المتهور الذى يأخذ هذا الفيض اللغوى الغزير بمعناه الحرفى
ويسمى الى الاطراف المتعادية حول حقيقة ما تريده .

● ظلال الكهف

وحقيقة ما تريده أطراف نزاع الشرق الاوسط . . يكمن فى اعماق
مزيج من المعتقدات وحالات الغضب والاحلام . . والمواقف الرسمية
تشبه الظلال فى الكهف الذى تحدث عنه الفيلسوف الاغريقى
أفلاطون . . فهذه الظلال التى نراها هى انعكاسات لحقيقة مثالية
متعالية أو سامية يكاد يكون من المستحيل الإمساك بها خلال القيود
الحرفية الجافة لعملية التفاوض .

وليس صحيحا أن النزاع دام آلاف السنين كما يقال فى معظم
الاحيان . فهو الى حد كبير نتاج هذا القرن العشرين . ومما لا شك
فيه أن ظهور الحركة الصهيونية وحركة القومية العربية كان فى
أواخر القرن الماضى ، ولكن كلا من الحركتين لم تكن موجهة ضد
الآخرى . وقد بدأ الصراع بينهما فقط بعد سقوط الحكم العثمانى
الذى دار قرونا (ليحل محله الانتداب البريطانى) وظهور آفاق
حق تقرير المصير لفلسطين . . هنا بدأت الحركتان صراعهما الرهيب
حول المستقبل السياسى لهذه الأرض . وأضفى العصر الحديث
– الذى خلق هذا النزاع الطائفى – كل امكانيات التقند لديه على
هذا الصراع . وكانت المجزرة التى أقامها النازيون سببا اضافيا
لظهور دافع معنوى ملج نحو السعى لاقامة دولة يهودية ولكن ما أن
تأسست هذه الدولة وحصلت على تأييد المجتمع الدولى فى عام ١٩٤٨
حتى اضطرت للدفاع عن نفسها ضد الجيران العرب الذين لم يروا
سببا يحدوهم الى ضرورة تقديم توضيحات للتكفير عن خطايا أوربية
لا ذنب لهم فيها .

وأدى انتصار اسرائيل فى حرب ١٩٤٨ – ١٩٤٩ الى اشغال لهيب
القومية العربية فى الوقت الذى وقعت فيه نظم الحكم التقليدية التى



ايغال دين
تلميذ كينجر في هاولاره
ثم نائب رئيس وزراء اسرائيل



جونسون
براونج ويستفلم
كلمات غير مفهومة

لحق بها عار الهزيمة تحت سيطرة أيديولوجية متطرفة - العربية والاشتراكية .

ثم أصبحت المنطقة بؤرة لمنافسات الحرب الباردة . . وكان هذان العاملان سببا في تفاقم النزاع المحلي واثارة خطر انزلاق دول شارجية الى مواجهة كبرى .

● نقطة البداية

في عام ١٩٦٩ كانت اسرائيل قد عاشت عشرين عاما دون اعتراف بها من جيرانها . وفي ظل مضايقات من غارات الفدائيين ، وهجمات عليها في المحافل الدولية ، وتحت ضغط مقاطعة اقتصادية عربية . . ان وضعها الجغرافي ذاته يوضح التوعية الضعيفة لكيانها كدولة لا يتجاوز عرضها تسعة أميال فقط عند أضيق نقطة بين ساحل البحر المتوسط والحدود الاردنية . . والطريق الرئيسي الذي يقع بين القدس المقسمة وتل أبيب يبعد في بعض الاماكن لمسافة تقل عن مائة ياردة عن المراكز العربية . . ومع وجود خصوم غير متسامحين على جميع جوانب حدودها . . أصبح من الصعب التمييز بين سياسة اسرائيل الخارجية وسياستها الدفاعية . . وكان هدفها الرئيسي والاقصى هو بالتحديد ما يمثل بالنسبة لمعظم الدول الاخرى نقطة البداية في سياستها الخارجية . . أي قبول جيرانها لحقها في الوجود .

وبطبيعة الحال فقد اعتبرت اسرائيل أن الاراضى التي احتلتها في عام ١٩٦٧ ضمان للامن الذي كانت تسعى اليه دون جدوى منذ

وجودها وسمت اسرائيل الى الحصول على الارض والاعتراف على
السواء ، وكرهت أن تعترف بأن كلا من الهدفين (الارض والاعتراف)
يتعارض مع الآخر .

● المذوات .. تفاقت

وكما يحدث في جميع المآسى فان هذه الفجوة التى تفصل بين
الافكار ، حيث يقدم كل طرف من الاطراف احدى الحقائق ، جعلت
النزاع العربى - الاسرائيل يتسم بصعوبة مريرة . ذلك أنه عندما
تتصادم الحقائق . يصبح الحل الوسط أولى الضحايا . ولا يمكن
التوصل الى اتفاقيات الا من خلال عمليات تنطوى على تجنب للمقد
أو تهرب منها . وتتلاشى فرص التقدم اذا اقترب الجانبان من
التفاصيل المحددة .

وأصبح ذلك واضحا بشكل متزايد عندما تولينا مهام مناصبنا
.. فقد كان الشرق الاوسط لا يزال يفوس فى الوحل فى أعقاب
حرب الايام الستة . وكانت المواقف قد تصلبت والدبلوماسية قد
تجمدت والعداوات قد تفاقت .

● تحذير كاذب

وفى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، تمددت اسرائيل عبر حدودها
فى ذروة من سلسلة أحداث متعاقبة ضاعت فيها الاهداف العربية
على مذبح اللغة الطنانة البلاغية العربية .

ففى شهر مايو عام ١٩٦٧ قام الاتحاد السوفيتى بتحذير مصر من
هجوم اسرائيل يوشك أن يقع على سوريا . وكان الزعم السوفيتى
غير صحيح . وبصرف النظر عما اذا كان ذلك التحذير كاذبا عن
قصد وتعمد بهدف اثارة التوتر واحراز مكسب رخيص أو كان
ذلك التحذير ناتجا عن سوء فهم متجرد من الفرض .. فقد دفع
الاحداث فى مسار مشئوم : أمر الرئيس جمال عبد الناصر
بطريقة متهورة بأن يتحرك جيشه الى سيناء التى كانت من الناحية
الصلىة منزوعة السلاح منذ عام ١٩٥٦ وأعلن اغلاق مضيق تيران
الذى يتحكم فى طريق الوصول الى ميناء ايلات الاسرائيل من
البحر الاحمر . وطلب من أوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة
سحب قوات الطوارئ الدولية التى كانت تفصل بين القوات
الاسرائيلية والمصرية على طول الحدود الدولية

ومن المشكوك فيه أن عبد الناصر كان يسعى وراء صدام عسكري بل يحتمل أن يكون قد أصيب بدهشة من السرعة التي استجاب بها أوثانت لطلبه . وربما لم يكن عبد الناصر يريد أن يفعل شيئا يتجاوز إطار اتخاذ موقف بطولي .

● الضربة الأولى

وفي بعض الأحيان يغفل زمام الأحداث . . تلك الأحداث التي تهازأ بنوايا الممثلين . وما أن حل الجيش المصري محل قوات الأمم المتحدة على حدود مصر حتى وجدت إسرائيل أنه لا مفر أمامها من تمبئة قواتها لأن أرض إسرائيل صغيرة المساحة إلى الحد الذي لا تستطيع فيه أن تحصل الضربة الأولى . وما أن تمت التنبئة في إسرائيل حتى كان قرارها بالقتال لا بد أن يتخذ خلال أسابيع . وذلك لأن اقتصادها لا يتحمل خسارة لا نهائية في الطاقة البشرية التي امتصتها عملية التنبئة العسكرية . ولم تكن لتستطيع تسريح قواتها بينما الجيش المصري على حدودها .

● دبلوماسية بطيئة

ولكن الدبلوماسية الدولية مارست عملها بخطى متهملة كما دتها . . فقد بدأت باستطلاع الآراء التي أعقبها إجراء مشاورات ثم إعادة التأكيدات . ناقش ساسة العالم الصيغ المتعددة للتغلب على الحصار الملن لمضيق تيران .

وجرى تبادل الآراء بصورة عقيم لم تسفر عن نتيجة إلى أن قامت إسرائيل بتعطيل القوة الجوية المصرية في هجوم مباغت في صبيح يوم ٥ يونيو . وانتهت الحرب التي استغرقت ستة أيام باحتلال إسرائيل لأراضي مصر وسوريا والأردن : سيناء ومرتفعات الجولان والضفة الغربية لنهر الأردن والأراضي الجديدة التي استولت عليها إسرائيل أكبر من مساحة إسرائيل ذاتها بثلاث مرات .

وإزداد التطرف العربي غداة حرب ١٩٦٧ . وكانت سياسة مصر الدولة العربية المحورية - والحقيقة أنها كذلك بالنسبة لمعظم العالم العربي - ما زالت تحت قيادة عبد الناصر المتقلب . وهدد الوجود المتزايد للفدائيين الفلسطينيين في الأردن بقاء الملك حسين الهاشمي المعتدل الموالي للغرب .

وحتى المعتدلون العرب فانهم لا يقولون بأقل من الانسحاب الكامل ورفضوا المحادثات المباشرة ٠٠ فى العلن على الأقل (وكان الاردن فى الواقع يحتفظ باتصالات مباشرة سرية مع اسرائيل خلال تلك الفترة) أما المتطرفون العرب فقد رفضوا عملية السلام من الأساس .

وقد رفض التنظيم الفدائى الفلسطينى « فتح » فى بيان سياسى أصدره فى أكتوبر عام ١٩٦٨ « جميع المساومات التى تستهدف وقف التضايل المسلح » وحذر الحكومات العربية من السير فى مثل هذا الطريق وأعلن أنه يسعى الى اقامة « مجتمع حر مفتوح لا طائفى ولا عنصرى فى فلسطين » . وبعبارة أخرى ازالة دولة اسرائيل كلها .

● تفسيرات مختلفة

ولم يتناول القرار ٢٤٢ ، الذى كان لابد أن أسمح الكثير عنه ، هذه الخلافات عندما أصدره مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ بموافقة الجانبين المتنازعين فى الشرق الاوسط . فقد تحدث القرار عن « سلام عادل ودائم » فى اطار حدود آمنة ومعترف بها ، ودعا الى انهاء (دعاوى او حالات الحرب) والى انسحاب اسرائيل « من أراضى احتلت فى النزاع الاخير » ٠٠ والى الاعتراف « بسيادة ووحدة أراضى والاستقلال السياسى » لكل الدول .

غير أنه سرعان ما أصبح من الواضح أن هذه العبارات الغامضة مقبولة لدى كل طرف لا لسبب الا ٠٠ لأنه يمكن أن يفسرها لصالحه .

وقد فسرت مصر والاردن البند الخامس « بانسحاب من أراضى محتلة » على أنه يتطلب الانسحاب من جميع الاراضى المحتلة . وفسرت اسرائيل عبارة « حدود آمنة ومعترف بها » على أنها تستبعد المودة الى الخطوط السابقة على حرب الايام الستة .

كان لانسحاب يعنى بالنسبة لاسرائيل التخل عن مراكز وقاية محسوسة لضمان السلامة وطالبت بتعويض مقابل ذلك . وكان الانسحاب يعنى بالنسبة للعرب استرداد ما ينتمى اليهم من وجهة نظرهم ٠٠ وبالتالي اعتبروا الانسحاب الاسرائيلى ٠٠ حقهم وليس تنازلا اسرائيليا .

● جهود فاشلة

هذه الآراء المتصادمة اخترقت نزاع الشرق الاوسط ومنعت حدوث أية مساومة حقيقية . كل طرف سعى الى تحقيق هدفه الاساسى كتمن للدخول الى المفاوضات . وأصررت مصر على أن الانسحاب

الاسرائيلي يجب أن يسبق تنفيذ أى شرط من الشروط الأخرى بل ويسبق المفاوضات نفسها . وطلبت اسرائيل محادثات وجها لوجه بادية ذى بدء ، وهي فكرة لها ميزة مزدوجة هي الحصول على الأقل على اعتراف ضمني وتقليل خطر التدخل من جانب دول عظمى . وجاءت موافقة الاردن على القرار رقم ٢٤٢ فى عام ١٩٦٧ بناء على وعد من آرثر جولدبرج المندوب الأمريكى فى الأمم المتحدة بأنه فى ضوء بنود هذا القرار يمكننا أن نعمل على إعادة الضفة الغربية للاردن مع تعديلات طفيفة فى الحدود وبأننا مستعدون لاستخدام نفوذنا للحصول على دور للاردن فى القدس .

وحيث أنه لم تكن هناك مفاوضات جارية فقد كان الوضع مجردا من المعنى .

وقد نص القرار ٢٤٢ على أن تقوم الحكومتان العلمانية والوثنية بتعيين ممثل خاص له ليتحدث مع الأطراف ويحاول فتح المسار لاجراء مفاوضات . ووقع اختيار الوثنيات على جونار يارنج سفير السويد فى موسكو .

ولكى يعرف يارنج ما اذا كانت الاصوات المتنافرة يمكن أن تحتوى على نغمة واحدة تقوم على ترابط منطقي أو متشابهة . فقد بدأ مهمته بارسال مجموعة من الاسئلة الى الأطراف يطلب فيها تحديد موافقها . وبعد شهر من المراوغة أبلغه كل طرف فى النهاية - كل بلفته بما سبق أن أعلنه على الملا بلفة مبسطة وأحيانا بلفة غوغائية . وعندما زار يارنج الشرق الاوسط . وجد أن الموقف الحقيقية للأطراف غير قابلة للتوفيق بينها بصورة أكبر بكثير مما يبدو عليه الحال فى البيانات العلنية .

● جنون الشرق الأوسط

كان هناك قدر غير قليل من المشاعر التى تثير الرثاء فى الانفعالات الكامنة وراء حجج كل طرف . فقد أصرت اسرائيل على ما أسمته (بالسلام الملزم) . أى الدولة التى لم تعرف السلام أبدا هي وحدها التى لا يمكن أن تعلق مثل هذه الأهمية الكبيرة على عبارة كهذه العبارة .

فما معنى السلام الملزم بين دول ذات سيادة عندما تكون إحدى خصائص هذه السيادة هي الحق فى تغيير أفكار الإنسان ؟

طوال ثلاثة قرون اشتبكت فرنسا وألمانيا فى حروب فى كل جيل تقريبا ، وانتهت كل حرب بمعاهدة سلام رسمية « ملزمة » لم تحل

دون اشتعال الحرب التالية .. كذلك لم تمنع « الحدود المفتوحة »
في عام ١٩١٤ من انفجار حرب عالمية هزت دعائم أوروبا . ومعظم
الحروب التي وقعت في التاريخ كانت بين دول استهلت العلاقات
فيما بينها بالسلام .. وانه لجئون خاص بالشرق الاوسط أن حروبه
اشتعلت بين دول كانت بالفعل في حالة حرب من الناحية التكتيكية .

وقد اصر عبد الناصر - في الاتصالات الدبلوماسية - على انسحاب
غير مشروط من جميع الاراضى المحتلة .. ولكنه لم يوضح على الاطلاق
.. ماهو الحافز لدى اسرائيل للانسحاب في مقابل عروضه الفاضلة
بانهاء حالة الحرب ..

كما انه لم يذكر سابقة واحدة على تسوية سلمية ترتكز فقط على
الانسحاب غير المشروط للمنتصر من الاراضى التي احتلها .

● في دوامة العالم

وفي مناطق أخرى من العالم فان مثل هذه الظروف كان يمكن أن
تؤدي الى تجميد الموقف ثم زوال هذا الجمود من وقت لآخر عن طريق
سلسلة من الحروب الى أن يؤدي الانهالك الى تحقيق توازن كانت
الحكمة عاجزة عن تحديد معالجه .

بيد أن الشرق الاوسط في النصف الثاني من القرن العشرين .
كان في دوامة السياسات العالمية . ورغم أن أواخر الستينات لم
تكن قد شهدت بعد بروز البترول كسلعة نادرة .. فان أهمية
الشرق الاوسط - الذي يقع عند ملتقى قارات وحضارات - كانت
واضحة ومفهومة تماما .

● الوجود السوفيتي

ان الاتحاد السوفيتي الذي كان في أواخر الاربعينات قد حذف
الشرق الاوسط من اهتماماته لأن المنطقة تتجاوز قدرته على أن يؤثر
فيها .. قد قفز الى المنطقة بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ السابق
عن طريق صفقة أسلحة ثم بعد عشرين عاما ، من نفس التاريخ
السابق ، عن طريق ارسال آلاف من المستشارين العسكريين الى مصر ،
وشكل هذا الوجود السوفيتي تفيرا رئيسيا من الناحية الجغرافية
- السياسية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وطوال خمسة عشر
عاما ساعد هذا الوجود على زيادة حدة النزاع .

ومع مرور الوقت .. تصرف السوفيت بجرأة متزايدة ، ففي
عام ١٩٥٦ ، تطفلوا بصورة هامشية على دبلوماسية أزمة السويس

ووجهوا تهديدات غامضة بالتدخل العسكري بعد أن أدى الضغط الذي مارسناه على بريطانيا وفرنسا إلى جعل هذه التهديدات السوفيتية لا معنى أية مخاطرة .

وبعد حرب ١٩٦٧ ، زاد عدد المستشارين العسكريين السوفيت في الشرق الأوسط خمس مرات .

وخلال الستينات زاد النفوذ السوفيتي بطريقة مثيرة في مصر وسوريا والعراق والجزائر والسودان . وبعد سنوات . . في ليبيا أيضا .

أن حرب ١٩٦٧ التي ساعد السوفيت من جانبهم على إثارتها . . قد مكنتهم لأول مرة في التاريخ من وضع أسطول دائم يتكون من حوالي خمسين سفينة حربية في البحر المتوسط .

وكانت أدوار القوى الخارجية في نفس مستوى تعقيد أدوار الأطراف الرئيسية في النزاع تقريبا .

فقد لعب الاتحاد السوفيتي دور المحامي عن القضية العربية . واعتنق المقترحات العربية ولم يعرض أية إيماءة تشير إلى تفاهم ممكن .

أما دول أوروبا الغربية فقد كانت ممزقة بين عجزها وبين هواجسها عن الاخطار الاقتصادية لحرب جديدة . وكان أكثر هذه الدول نشاطا . . فرنسا ديجول التي تبنت في الواقع الموقف العربي بعد حرب الأيام الستة .

● العلاقات مع مصر

أما عن الولايات المتحدة ، فإن الرئيس الأمريكي الأسبق جونسون سعى إلى تخفيف حدة الجدل عن طريق تجنب أي كلام محدد . وكان في مناقشاته لقضايا الحدود والاعتراف وحقوق الملاحة البحرية يعكس ما أصبح فيما بعد . الفواض الحقة للقرار ٢٤٢ .

وكانت مصر ودول عربية أخرى قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة في أعقاب حرب ١٩٦٧ .

وهكذا كنا بدون دبلوماسيين كبار في عواصم الدول العربية الرئيسية التي طلبت - مع ذلك - مساعدتنا في عملية التفاوض . وأصر عبد الناصر على أن نضغط على إسرائيل بالنيابة عنه وهو يعرض في مقابل ذلك إعادة العلاقات الدبلوماسية معنا .

لماذا يجب علينا أن ندفع ثمن إعادة علاقات قطعها هو بحجة زائفة تماما لم يتم توضيحها أبدا ؟

وكان عبد الناصر قد اتهم الولايات المتحدة بالاشتراك العسكري المباشر في حرب ١٩٦٧ الى جانب اسرائيل . وأصر الرئيس جونسون على أنه يسحب عبد الناصر هذا الاتهام قبل استئثاف العلاقات الدبلوماسية . وقد فعل عبد الناصر ذلك وسحب الاتهام في حديث صحفي . ولكن جونسون أصر على أن يفعل عبد الناصر ذلك من خلال اتصال مباشر بالولايات المتحدة .

ولم يكن لدينا أدنى حافز لدفع ثمن إعادة العلاقات اذا ما استمرت سياسته في الاعتماد على الدعم السوفيتي وتغذية المشاعر المتطرفة في أنحاء العالم العربي .

● أزمة السويس

كنت أؤمن دائما بأنه من الجوهري الحد من نطاق سياسة المقامرة السوفيتية في الشرق الاوسط . ولهذا السبب فان مسئلك الولايات المتحدة في أزمة السويس عام ١٩٥٦ قد صدمتني كتصرف يبعث على الاسف . . وكان يجب أن ندرك أن قيامنا فجأة بسحب مشروع تمويل السد العالي المصري في أسوان هو الذي يمكن أن يكون بداية وليس نهاية أزمة . وفي رأيي أن طريقة ادارة الأزمة ، عندما وقعت ، كانت سيئة . وبصرف النظر عن وجهة النظر بشأن حكمة الفصل العسكري البريطاني والفرنسي . . فقد كنت مقتنعا بأننا سننفع ثمنا فادحا في السنوات القادمة (التالية) نتيجة قصر نظرنا أثناء اللعب في الساحة ولم يكن اعتقادي أن اساءة معاملة أوتو جلفاننا - بريطانيا وفرنسا - يمكن أن يؤدي الى الامتنان الدائم من جانب عبد الناصر أو هؤلاء الذين أعجبوا به . بل على العكس فان الاحتمال الاكبر هو أن يثبت أقدامه على طريق يتعارض في الأساس مع المصالح الغربية . فالنظم المعتدلة التي كانت تدعمها قوة ومكانة بريطانيا ، وخاصة في العراق ، كان الارجح أن تضعف ان لم تسقط بسبب ما حدث عندما وقفنا الى جانب العناصر المعادية التي كان عبد الناصر يمثلها .

وتحطمت ثقة كل من بريطانيا وفرنسا في نفسيهما . باحساسهما باتصالهما الوثيق بالعالم مما سيؤدي الى الاسراع بسقوط ما تبقى من مسئولياتهما الدولية .

ان حقائق القوة كان ينبغي أن تمل علينا وقتئذ أن نحلا الفراغ الذي نشأ في الشرق الاوسط وشرقي السويس وأن نحمل على اكتافنا كل الإعباء الأدبية لقرارات جغرافية - سياسية . . صعبة .

حقائق مناورات موسكو وواشنطن على حساب الحق العربي

عندما عدت الى قراءة كتاب أنور السادات ..
• البحث عن الذات ، الذى ترجم الى كل لغات العالم
• وجدت أن رئيس مصر فى عرضه المركز لطيفة
العلاقات بين مصر والقوتين العظميين .. الولايات
المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى .. كان يدرك
تماما بموازنة السياسية حقائق كل ما يجرى من
 وراء الستار .. هذا الذى نشره هنرى كسينجر فى
 مؤلفه • سنوات البيت الابيض • مفصلا ومعبرا
 عن حقائق ما كان يجرى داخل البيت الابيض بالتفصيل ، سواء
 بالنسبة للاستراتيجية الأمريكية تجاه مصر واسرائيل وأزمة الشرق
 الاوسط .. أو بالنسبة لاستراتيجية الوفاق الأمريكى السوفيتى ،
 على حساب مصر والحق العربى .

ومن يقرأ الفصل الثالث الذى نشره - بعد هذا التعليق - من
 مقتطفات من الكتاب .. مقترنا بما سجله أنور السادات فى مؤلفه
 التاريخى ، يدرك معنى اعتراف كسينجر فى كتابه بأنه ارتكب أمدح
 خطأ طائش فى حياته ، عندما جهل من هور أنور السادات .. وعندما
 لم يجعل بخاطرهم أن هذا الرئيس المصرى الذى توقعوا له البقاء فى
 الحكم أربعة أصابع ، سيفوزو المبرج العالمى باستراتيجية سلام
 جرى وشجاع يضع السادات فى قسم زعماء العالم فى هذا العصر .



● استنتاجات كسينجر

إن كسينجر يعترف في سطور مذكراته ، بأن وزارة الخارجية الأمريكية بقيادة روجرز وسميسكو وغيرهما كانوا في واد ٠٠ وكان هو في واد آخر مستشارا للأمن القومي للرئيس نيكسون في حساب الاستراتيجية الأمريكية ٠٠ فقد عمل كسينجر مع نيكسون على قتل مبادرة روجرز ٠٠ كما خضعا للضغط الإسرائيلي ، في جعل مباحثات بارنج مجرد تمثيلية ٠٠ كما سجل كسينجر أنه اقترح مع نيكسون على كسب الاتحاد السوفيتي لمساعدتهم في مشكلة فيتنام ، على حساب قضية الشرق الاوسط ٠٠ لأنهم كانوا يعرفون أن الاتحاد السوفيتي كان يريد موقفا استعراضيا مع العرب ، لا يكلفه الا اعطاء السلاح الذي لا يكفي لشن حرب لتحرير الارض المصرية مع بقاء حالة اللارح واللاسلم التي تهيئ للسوفيت توغل النفوذ ٠٠ ولا تكلفه أكثر من اصدار البيانات الملتزمة ، لأن السوفيت يعرفون تماما أن أوراق أقرار السلام في الشرق الاوسط تملكها أمريكا ٠٠ ولا يملكها الاتحاد السوفيتي .

ولو كان كسينجر ادرك فعلا - حقيقة زعامة وشجاعة أنور السادات - لكان من الممكن أن يتحقق السلام بعد أول مبادرة للسلام عرضها أنور السادات في فبراير ١٩٧١ أمام البرلمان ٠٠ ولما كانت هناك حرب أكتوبر .

وهذا ما يسجله كتاب « البحث عن الذات » حين يقول أنور السادات في صفحة ٣٧٢ . بعد أن استعرض مبادرة روجرز وما انتهت اليه بالحكم بالاعدام عليها من البيت الابيض تأييدا لإسرائيل ٠٠ ثم مبادرة مصر بعد ذلك يقول السادات : « ولو أن هذه المبادرة وجدت العناية الكافية من أمريكا لما قامت حرب أكتوبر ولبدأنا السلام في فبراير ومارس ١٩٧١ »

● لماذا لم يهتموا ؟

ولكن السياسة الأمريكية التي فرضها كسينجر أو نيكسون أو الاثنان معا ٠٠ قد اعتمدت تماما عن فهم حقائق الاستراتيجية المصرية بعد تولى أنور السادات ٠٠ لعدة أسباب :

١ - الاقتناع بأن السادات رئيس مرحلي . وقد سجل « البحث عن الذات » هذه الحقيقة التي عرضها أنور السادات في موضعين من كتابه ٠٠ قال في صفحة ٣٦٧ وما تلاها : « بعد وفاة عبد الناصر

كان السفير الامريكى ريتشارد سون على رأس وفد امريكى للتعزية مع ان العلاقات كانت مقطوعة . . . وكانت مبادرة روجرز قائمة في تلك الايام ، فقلت لهم : اعملوا رعاكم الله ، وانقلوا ما اقول الى الرئيس الامريكى . . . لقد كنت ضد مبادرة روجرز ، وبالفعل رفضتها . ولكننى وافقت عليها بعد ان عاد عبد الناصر من الاتحاد السوفيتى وشرح لى الظروف هناك . فكل ما أريده هو السلام . دعونا اذن نعمل من أجل السلام معا . أنا اليوم ملتزم بمبادرة روجرز ولكننى لا أرضى لامريكا أن تنقاد لاسرائيل في دعواها أن مصر قد نقضت المبادرة بتحريك الصواريخ في الضفة الغربية للقناة . . . ومع ذلك فالضفة الغربية والضفة الشرقية للقناة هي أرضى . . مرة أخرى ادعوك للعمل من أجل السلام . . . وأنا مستعد أن اذهب الى اقصى مدى فى سبيل ذلك . »

ثم يقول السادات فى كتابه « وعاد ريتشارد سون الى بلاده وقدم تقريراً الى وزارة الخارجية الامريكية يقول أن السادات لن يبقى فى الحكم أكثر من أربعة أو ستة أسابيع وبعد ذلك لا يعلم مستقبل مصر الا الله . . . وأكدت المخابرات البريطانية نفس الشيء . . . وبناء على هذا اتخذوا قراراً فيما بينهم أن ينتظروا حتى يروا مصيره . . . لم أعلم بهذا الموضوع الا متأخراً وكثيراً ما اتندر به اليوم مع المسئولين فى امريكا . . »



٢ - الاقتناع بأن اسلوب السادات - لوستمر رئيساً - سيكون مجرد امتداد لاسلوب جمال عبد الناصر . . . وقد عبر كسينجر فى مذكراته عن ذلك بقوله أن جمال عبد الناصر أرسل الدكتور محمود فوزى الى امريكا للتعزية فى وفاة ايزنهاور بعد ١٥ سنة من تاكل العلاقات بين مصر وامريكا . . . وأبلغ محمود فوزى الرئيس نيكسون أن السوفيت يضغطون على مصر لتسوية سلمية . . . ومصر تريد تحركاً من امريكا مع استمداها لتخفيض الاتفاق المسكرى للبناء الداخلى كما أن جمال عبد الناصر قد فوض الملك حسين فى التحدث باسمه الى الرئيس نيكسون عن انهما « عبد الناصر وحسين » مستعدان لتوقيع أى وثيقة مع اسرائيل ، باستثناء أن تكون فى شكل معاهدة سلام . ولكن عبد الناصر فى الوقت الذى كان يجرى فيه هذه الاتصالات مع امريكا ، وفى الوقت الذى فقد فيه أى أمل فى مساعدة جدية من الاتحاد السوفيتى . . . كان يهدد امريكا فى جميع خطبه « ونهر تمير

كسينجر عن ذلك .. كان عبد الناصر يريد التأييد الأمريكى ضد إسرائيل والتأييد السوفيتى ضد أمريكا .. وقيادة الحركات الثورية فى العالم الثالث .. وانسحاب إسرائيل الكامل .. وفى السوق نفسه كان يهددنا فى جميع خطبه .. دون أن يملك شيئا يهددنا به .

وإذا عدنا الى كتاب البحث عن الذات .. نجد أن الرئيس السادات قد عبر عن ذلك فى صفحتي ٢١٧ و ٢١٨ بأن جمال عبد الناصر اندفع فى خصومة عنيفة مع أمريكا وصل بها الى نقطة اللاعودة .. فى عام ١٩٦٦ معتمدا على مساعدة السوفيت .. ولكنه رحب بعد ذلك بزيارة السادات لأمريكا بعد أن شعر أنه أخطأ فى حق الأمريكان أكثر من اللازم عندما وجه الكلام الى أمريكا فى إحدى خطبه قائلا (فلتشرب أمريكا من البحر الأبيض وإذا كان هذا لا يكفيها فهناك البحر الأحمر) .. ولكن السادات فوجئ وهو فى أمريكا سميا لتحسين العلاقات بالاتفاق مع عبد الناصر - بصحفية أمريكية تسأله فى عشاء رسمى أقامه له هاريمان أكبر مستشارى الرئيس الأمريكى .. وما رأيك فى هذا التصريح ؟ .. فأجاب : أى تصريح ؟ ..

فقرأ السادات من الصحيفة التى معها تصريحات لعبد الناصر يهاجم فيه أمريكا بأعنف الالفاظ .. فقال لها واجبا « ليس عندى أى تعليق » .. ثم يقول السادات فى كتابه : وتساءلت فى نفسى لماذا يفعل عبد الناصر ما فعله ؟ .. وبعد أن اتفقنا على أن نبذل مجهودا لتحسين العلاقات وبعد تشجيعه لى على اتمام الزيارة .

ونجد أيضا فى كتاب السادات تفصيلات وافية لاقتناع عبد الناصر أخيرا ، بأنه لافائدة من السوفيت .. وقد عبر عن ذلك للسادات بعد عودته من موسكو واضطراره بقبول مبادرة روجرز (التى رفضها السادات فى القاهرة) وقال له : (السوفيت يا أنور حالة ميثوس منها تماما) وشرح للسادات الأسباب التى دعتة للقبول بمبادرة روجرز فقال له السادات : معاك حق .. لأن السوفيت حيودونا فى داهية .

ولم يكن هذه أول تجربة لعبد الناصر مع السوفيت .. لقد كان السوفيت ضد حرب الاستنزاف بعد هزيمة ٦٧ .. وقد بدأها واستمر فيها ضد رغبة السوفيت .. وكان عقاب السوفيت له ، عدم تمويضه عن الذخيرة التى فقدناها فى حرب الاستنزاف .. مما اضطره الى التوقف من سبتمبر ٦٨ الى مارس ٦٩ .. ثم عدم وفاء السوفيت بتمدهم لعبد الناصر بارسال الطائرات (تى يو ١٦) التى وعدوا بارسالها مع



الملك حسين
يلتقى صبره



عبد الناصر
مشكلة الاختيار

الصواريخ .. بعد ان ضربت اسرائيل مصنع ابو زعبل في يناير ١٩٧٠ .. حتى ضلّ عبد الناصر بالموقف كله وقال للسادات : اصمغ يا انور اوراق اللعبة كلها في ايد امريكا شئنا ام ابيننا ولقد ان الاوان عشان نتكلم وندخل امريكا في العملية ..

ولذلك فان عبد الناصر في خطابه في عيد العمال في ١٩٧٠ وجه اغلب كلامه في الخطاب الى نيكسون وكانت لهجة الخطاب رقيقة او على الاقل خالية من العنف ، كما كان بها قدر كبير من الدبلوماسية التي تفصح عن رغبة عبد الناصر في أن يفتح باب الحوار مع امريكا .. وفعلًا بدأت امريكا الحوار في يونيو سنة ١٩٧٠ بمبادرة روجر .. وقبلها عبد الناصر وهو على مائدة المفاوضات في آخر زيارة له لموسكو مع القادة السوفيت .. وجن جنون الرئيس برجينف وسال عبد الناصر : كيف تقبل حلا امريكيا ، فاجابه عبد الناصر انه على استعداد لقبول الحل من أية جهة .

وانا انقل هذه السطور أيضا من كتاب البحث عن الذات .. الذي سجل أيضا ، الحصة الشرسة الهوجاء التي شنها الفلسطينيون على عبد الناصر بقبول مبادرة روجرز دون أن يترثوا أو يسألوا عن سبب قبوله وهو الذي وقف الى جانب القضية الفلسطينية كما لم يقف أي رئيس أو حاكم عربي آخر . بل لا أبالغ اذا قلت أن عبد الناصر بتبنيه لقضية فلسطين قد أضفى على القضية ابعادها السياسية التي اولاهها لظلت مجرد قضية لاجئين .

اعود فاقول . أن اقتناع عبد الناصر بأن اوراق اللعبة كلها في يد امريكا جاء متأخرا . وفشلت كل محاولاته لجذب الموقف الامريكي .. لانهم فقدوا الثقة . ولانهم بنوا استراتيجيتهم على سياسة الوفاق مع

السوفيت • ولأنهم تصوروا أن السادات رئيس مرحل ، ولم يدركوا طبيعته السياسية .

● سيطرة اسرائيل

هذا من ناحية مصر •• أما من ناحية الخضوع الامريكى للسوفيت
الاسرائيل •• فقد اعترف كسينجر اعترافا كاملا بان نيكسون كان
يريد سياسة استرخاء حتى لا يضبب يهود امريكا •• كما اعترف بكل
المراوغات التي صنمها نيكسون للاستفادة من تلهف الاتحاد السوفيتى
على مباحثات ثنائية مع امريكا بشأن الشرق الاوسط •• حتى
يستفيدوا من أن أوراق اللعبة فى يد امريكا •• فبدعوا بذلك
نفوذهم فى الشرق الاوسط •• ولعب نيكسون بهذه الورقة ••
لكى يكسب مساعدة الاتحاد السوفيتى لامريكا فى انهاء أزمة
فيتنام ••

وفر كسينجر ذلك بقوله انه اذا نجحت مباحثات تسوية أزمة
الشرق الاوسط مع الاتحاد السوفيتى •• فان السوفيت هم الكاسبون
•• واذا فشلت فان اللوم سيقع على امريكا • وكان السوفيت
متلهفين على هذه المباحثات •• وعرضوا مناقشة صفقة شاملة
دون التمسك بالمطلب العربى وهو أن تبدأ عملية السلام بالانسحاب
الاسرائيل ••

وهكذا كانت قضية مصر •• وقضية الحق العربى •• هى الضحية
الاولى والاخيرة ، للمساومات الخادعة بين امريكا والاتحاد السوفيتى
•• وكل منهما يريد أن يلعب بالورقة ، لتحقيق مصالحه أولا واخيرا
•• وانتهى ذلك باتفاق موسكو المشهور بارتياح امريكا والاتحاد
السوفيتى الى حالة استرخاء الصكرى فى المنطقة ••

وقتل كسينجر مبادرة روجرز •• رغم أن سيسكو أمضى من الوقت
فى التوسط بين كسينجر وروجرز •• أكثر من الوقت الذى أمضاه فى
التوسط بين العرب واسرائيل •• وتحاول نيكسون على افشال
المشروع الفرنسى بأجراء مشاورات رباعية حول الشرق الاوسط بين
امريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا • وكانت نصيحة ايزنهاور فى
أيامه الاخيرة - الذى أوقف عدوان ١٩٥٦ - لنيكسون •• بالا تتورط
امريكا فى نزاع الشرق الاوسط بعد أن تنكرت مصر لموقف ايزنهاور
ونسبت الفضل فى وقف العدوان الى الاتحاد السوفيتى •• وكان

مطلب اسرائيل على لسان ابا ابيان بعدم تدخل امريكا .. واستمرار تمثيلية يارنج هو المطلب المستجاب .. وعلى الرغم من كل سخيرية كسينجر بأسلوب ابا ابيان . في الحديث عن اسرائيل .. فإنه في النهاية كان يتفكر كل ما طالب به ابا ابيان .. وهي أن تستمر تمثيلية يارنج دون أي تدخل من أمريكا .. وأن تحدث المباحثات الرباعية . وفشلت رحلة الدكتور محمود فوزي الى أمريكا مبعوثاً من عبد الناصر .. كما فشل عرض الملك حسين باسم عبد الناصر واستعدادهما لتوقيع أي وثيقة مع اسرائيل مع الاحتفاظ بالآ تأخذ شكل معاهدة سلام . كما تشمل عرض حسين باستعداده للصلح مع اسرائيل . واعترافه بوجود تعديلات حدود الضفة الغربية إذا ضمت غزة الى الاردن .. كما فشل عرضه أيضاً باسم عبد الناصر . بضمان المرور الحر في قناة السويس ومضيق تيرانا ومناقشة المناطق المنزوعة السلاح ..



ومن كل هذا .. يمكن أن يتفهم الشعب العربي .. كيف حقق أنور السادات المعجزة .. فإن كسينجر الذي قضى على كل محاولات فريق وزارة الخارجية الامريكية .. لاييجاد صيغة سلام .. هو الذي جاء يتفاوض مع أنور السادات من أجل اولى مراحل السلام بعد حرب أكتوبر ! ..

والحديث بعد ذلك .. يطول ويطول .. ومن يعود الى قسرة كتاب السادات . البحث عن الذات ، سوف يصرّف باليقين أن الرجل كان مدركاً كل خفايا اللعبة السياسية .. وكان واعياً بالأسلوب الذي يحطم كل المناورات الدولية على حساب الحق العربي .. وكان المصالح الذي غير وجه التاريخ .

كيف فشلت عروض عبد الناصر وحسين؟

- كسينجر يعترف بفورده في فشل كل محاولات السلام قبل حرب أكتوبر .
- صلفه نيكسون مع الاتحاد السوفيتي حول الشرق الاوسط كان الهدف منها كسب مساعدة موسكو لأمريكا في أزمة فيتنام .
- أمضى سيسكو وقتا في التوسط بين وبين دوجرز أكثر من الوقت الذي أمضاه في التوسط بين العرب وإسرائيل .
- حسين تحدث باسم عبد الناصر مع نيكسون لتوقيع وثيقة مع إسرائيل .
- فشل مهمة محمود فوزي في واشنطن .
- نصيحة أيزنهاور على فرائض الموت بعدم تدخل أمريكا .
- ديجول يغشى السيادة المشتركة على العالم بين والاتحاد السوفيتي .
- حسين يطالب بضم غزة إلى الأردن مقابل تعديل حدود الضفة الغربية .

● الفصل الثالث ●

كيف فشلت عروض عبد الناصر وحسين ؟

كتب كسينجر :

عندما توليت منصب مستشار الرئيس الأمريكي لشئون الأمن القومي ٠٠ لم استطع تطبيق افكارى عن الشرق الاوسط ٠ بينما كنت استطيع ذلك فى مجالات ومشكلات عالمية أخرى فقد كان الرئيس نيكسون يستمع الى اراء وتقارير الاجهزة والوكالات المتخصصة لوقت قصير حول القضايا العالمية ٠٠ ثم يتصرف بعد ذلك من داخل البيت الابيض ولذلك كانت مسئوليات مكتبى فى البيت الابيض تتزايد



باستمرار ٠

أما عن الشرق الاوسط ٠٠ فقد كان الامر يختلف ، كان مسموحا لى فقط بالتخطيط وابداء التحذيرات أو التنبيهات أو العرقلة ٠٠ بالنسبة لسياستنا فى الشرق الاوسط ٠ كما كنت استطيع أن أفتح مناقشات فى اطار مجلس الأمن القومى الأمريكى حول هذه السياسة ٠ ولكن حتى نهاية عام ١٩٧١ لم يكن مسموح لى بممارسة الدبلوماسية فى شئون الشرق الاوسط باستثناء حالات نادرة من الازمات العادة كما حدث عندما قامت سوريا بغزو الاردن فى سبتمبر عام ١٩٧٠ ٠

وفى رأى أن السببين الرئيسيين لذلك هما : علاقة نيكسون المتكافئة مع وليام روجرز وزير الخارجية ٠٠ وتقديره لاحتمالات تأثير

سياسة أمريكية نشطة في الشرق الاوسط على الوضع الداخل في الولايات المتحدة . وكانت حسابات نيكسون أن أى سياسة نشطة تمارسها الولايات المتحدة في الشرق الاوسط سيكون مضرها الفشل . . كما كان يخشى من أن تؤدي مثل هذه السياسة الى اثارة غضب مؤيدي اسرائيل في أمريكا . ولذلك وجد أنه من الأفضل ابعاد البيت الأبيض بقدر الامكان من مرمى النيران المباشرة التي قد توجه ضده .

وثمة سبب شخصي آخر للدور النشط نسبيا الذي لعبه وزارة الخارجية في مجال الشرق الاوسط . وهو وجود جوزيف سيسكو في منصب مساعد وزير الخارجية والذي عين رئيسا لمكتب الوزارة لشئون الشرق الادنى وجنوب آسيا .

● سيسكو عاطفي واجتماعي

انه رجل عاطفي واجتماعي . . وأحيانا يفعل بحدّة . ولم يكن جوزيف سيسكو موظفا تقليديا في الخارجية . ولم يكن قد عمل في الخارج على الإطلاق . وتمت ترقيته الى أعلى منصب في السلك الوظيفي للوزارة نتيجة اضرار دين راسك وزير الخارجية الاسبق وبعد أن رفضت لجان الاختيار والترقية التي تطبق قسّواعد تقليدية الاعتراف بكفاءته . وما أن تولى العمل حتى تحول الى برهان حي على ما يمكن أن تنجزه القيادة المبدعة في وزارة الخارجية حتى في ظل رئيس في البيت الأبيض مصمم على أن يمارس بنفسه سياسته الخارجية . . وكان سيسكو يتصرف بموهبة كبيرة في الابتكار وقدرة هائلة في مجال الحيل التي هي عصب الحياة في دبلوماسية الشرق الاوسط . . وأحيانا ما كان يعرض من الحلول ما يتجاوز عدد المشكلات القائمة ! وهكذا سيطر « جو » سيسكو على زمام المبادرة البيروقراطية ولم يتركها أبدا . وكان داهية في الالام بمسالك ودروب واشنطن . . وسرعان ما أقام علاقة شخصية مميّ . فقد كان يعرف أن السلطة الرئاسية في ظل ادارة نيكسون هي المرجع الاساسي . وفي النهاية . . أمضى سيسكو من الوقت في التوسط بين روجرز وبينى . . ربما أكثر من الوقت الذي أمضاه في التوسط بين العرب والاسرائيليين !

ومعظم المعلومات التي كان يتلقاها البيت الابيض عن المبادرات اليومية التي تقوم بها وزارة الخارجية الامريكية في الشرق الاوسط . . كان مصدرها جوزيف سيسكو الذي كان يبلغها لى او لهارولد سوندرز كبير الماونين في مكتبى .

وبذل سيسكو كل جهده لكى يبقى على ولائه لكل من رئيسيه روجرز ونيكسون . وقد خدمهما بصورة جيدة . وفيما بعد . . عندما أصبحت وزيرا للخارجية عينته وكيلا للوزارة للشئون السياسية وهو أعلى منصب في مواقع صنع القرار السياسى داخل الوزارة .

● دعوات لواشنطن

وتناول كسينجر بعد ذلك موضوع حرب الاستنزاف التي خاضتها مصر واشتدادها عبر قناة السويس والخسائر التي لحقت بإسرائيل من جراء هذه الحرب . كما تناول التقارير التي أذاعتها إسرائيل عن العمليات الفدائية وتفاقم الموقف في المنطقة . وأشار كسينجر الى أن ذلك كله أدى الى تدفق الدعوات على واشنطن لتدخل الدبلوماسية . وكان هناك اقتراحان في انتظار حكومة نيكسون الجديدة : ففي ٣٠ ديسمبر اقترح السوفييت مشروعا للسلام لتنفيذ القرار ٢٤٢ ، وكان المشروع يعكس مطلب العرب بشأن الانسحاب الاسرائيل الكامل وتحديد معنى للسلام يقف عند الحد الأدنى بحيث لا يصلح - بوضوح - كخطوة أولى .

وفي ١٦ يناير عام ١٩٦٩ اقترحت فرنسا اجراء مشاورات رباعية حول الشرق الاوسط بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا .

وفي اجتماعنا بمجلس الأمن القومى الأمريكى في أول فبراير كان علينا أن نتخذ قرارنا بشأن كيفية الرد على هذه المبادرات وأن نقرر على وجه التحديد ما اذا كنا سننتحل أساسا عن موقفنا الذي اتسمت به سنوات حكومة جونسون وهو تجنب ممارسة أى نشاط دبلوماسى في الشرق الاوسط .

واتضح على الفور أن وزارة الخارجية الامريكية تتلهف على القيام بمبادرة أمريكية . أما عن الهدف من تدخلنا الدبلوماسى أو



جوزيف سيسكو
استخدم الميل



هنري كيسنجر
د. جنتلمان ، ودبلوماسي

الاستراتيجية التي سيخدمها هذا التدخل .. فقد نحى جانبا لكي يتضح من خلال المفاوضات نفسها .

وكانت وزارة الخارجية تعتقد أن مسئولية الولايات المتحدة تحتم عليها المساعدة على ازالة الفجوة بين الاطراف .. كما كانت ترى أن واشنطن يجب ألا تبدو في صورة من يتخذ موقف عدم الاكتراث بينما الاشتباكات تتصاعد .

● مفتاح التسوية

جميع الاطراف في المنطقة في ذلك الوقت (١٩٦٩) تعرب عن اعتقادها بأن الولايات المتحدة تملك مفتاح التسوية . ومن هنا .. كان رأى وزارة الخارجية أننا يجب أن نشارك بأنفسنا وبصورة ايجابية حقا . وكان المأمول أنه قد يتسنى التوصل الى أرضية مشتركة بين الاطراف وكذلك بين القوى الخارجية وذلك من مجرد عملية قوة الدفع في المفاوضات . ومن ناحية ، كان رأى وزارة الخارجية أنه نظرا لما يبدو أن موسكو تحصل على مكاسب عن طريق استغلال التوتر في المنطقة .. فإن المؤكد أن التسوية السليمة سوف تحبط استراتيجيتها . وعلى الاقل فإن سلوك هذا الطريق سيكون اختارا للنوايا السوفيتية .

كان عدد كبير من خبراء شئون الشرق الاوسط في وزارة الخارجية غير سعداء تجاه موقف جونسون الذي لم يكن يعبر اهتماما لنزاع الشرق الاوسط . وكانوا يرون أن عوامل سياسية داخلية تكمن وراء موقف جونسون . وكان حماسهم يرجع أيضا الى تصور بعض

الدبلوما سيين الامريكيين بأنه لا يمكن أن تكون هناك أزمة حقيقية ما لم تكن - نحن - جزءا منها !

أما أنا فقد كانت عندي شكوك جدية حول الاندفاع الى مفاوضات لم نحدد لها أهدافا وسنكون مسئولين عن نتائجها . كذلك كان يبدو لي أنه من المستبعد العثور على أرضية مشتركة بين الأطراف . ولم أكن أرحب بوجه خاص بشكل المفاوضات المعروضة علينا . فالسوفيت والفرنسيون منحازون الى العرب (مما سيشكل ضغطا على بريطانيا) . كما أن اجتماعا رباعيا كالذي اقترحه فرنسا يمكن أن يسفر عن وقوف الولايات المتحدة وحدها في داخله . ومن ناحية أخرى . فان محادثات ثنائية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي - يمكن اذا أحرزت أى تقدم أن يرجع الفضل في هذا التقدم الى الاتحاد السوفيتي لانه فرض علينا تسوية في الشرق الاوسط ، واذا فشلت هذه المحادثات فان اللوم سيقع على كاهلنا .

● نصيحة ايزنهاور

وأعربت عن قلقي في هذا الصدد للرئيس نيكسون . وكان قد دعاني لمرافقته الى مستشفى والتر ريد العسكري لزيارة الرئيس السابق ايزنهاور الذي كان قد تقدم في السن ويعاني من المرض الذي قضى عليه بعد سبعة أسابيع من هذه الزيارة . كان الرجل أكثر هزلا مما كان عليه في آخر مرة لقيته فيها . وأمضى معظم الوقت وهو يحذر نيكسون من تسرب أنباء مجلس الامن القومي الامريكي . وأبلغه نيكسون عن المناقشات الدائرة حول الشرق الاوسط .

وحدث ايزنهاور الرئيس نيكسون على الامتناع عن القيام بدور امريكي رئيسي في المفاوضات . وربما كان رأى ايزنهاور يعبر عن الالم الذي عانى منه خلال حرب السويس عام ١٩٥٦ . وقال ايزنهاور انه يعتقد أن أفضل السبل هو ترك الأطراف لكي تتفاهم فيما بينها بنفسها . وقال ايزنهاور أنه اذا أصبحت الولايات المتحدة نشطة فانها قد تضطر في النهاية لان تصبح حكما ثم تقدم للأطراف ضمانات من عندها لاي اتفاق نهائي . مما سيجعل الولايات المتحدة متورطة في مصاعب الشرق الاوسط الى الابد .

وكتبت تأملاتي في مذكرة للرئيس نيكسون اشرح فيها صعوبة التوصل الى تسوية شاملة . وذكرت أنه ربما كان من الأفضل التركيز على تسوية جزئية مع الاردن (صاحب التاريخ الطويل والمشرق)

في الصداقة مع الولايات المتحدة . وقد اتضح خطأ موقفى فيما بعد
لان الضفة الغربية والقدس هما اصعب القضايا في المفاوضات مع
اسرائيل .

● مازق نيكسون

واجرى مع نيكسون حديثا خاصا في مساء يوم ٢ فبراير .
كان يشعر بأنه في مازق . فهو لا يستطيع أن يرفض الاقتراح
الفرنسى رفضا سافرا لان ذلك يعنى تجميد محاولته تحسين العلاقات
مع الرئيس الفرنسى ديخول ، كذلك كان يرى في الشرق الاوسط
بارقة أمل تساعد على تحريك التعاون السوفيتى مع امريكا بشأن
فيتنام .

واقترحت على نيكسون وسيلة للتحرك دون أن نلزم أنفسنا بطريقة
لا رجعة فيها : بدلا من أن نختار بين المحادثات الرباعية والمحادثات
الثنائية مع السوفيت فاننا يمكن أن نحتفظ بقدر من حرية العمل
بقبول هذين الشكلين من المحادثات . . ونجعل احرار تقديم في
المباحثات الرباعية يتوقف على المحادثات الاستطلاعية مع السوفيت .
وبهذه الطريقة يمكن أن نحاول الربط بين مناقشات الشرق
الاوسط وبين اهتماماتنا الاوسع بما في ذلك مساعدة السوفيت
لنا على ايجاد حل لمشكلة فيتنام . أما في المحادثات الرباعية
. . فان حلفاءنا الاوروبيين سيكونون أكثر ترددا في الوقوف
الى جانب السوفيت ضدنا اذا علموا أن لنا اختياراتنا الثنائية . .
نحن وموسكو . ولكن نمنع العملية من أن تسير في اتجاه لا يمكن
السيطرة عليه فاننا يمكن أن نصر على أن يستعرض الرئيس
نيكسون نتائج المحادثات الاستطلاعية قبل الانتقال الى المناقشات
الرسمية .

ووافق الرئيس نيكسون على هذه الخطة .

● فشلت خطتى

وفي يوم ٢ فبراير أطلقت روجرز وسييسكو بالقرار . وفي
الخامس من فبراير أعلنت وزارة الخارجية الامريكية ، وفقا
للتعليمات ، أن الولايات المتحدة تنظر الى الاقتراح الفرنسى نظرة
ابحائية واننا منبهدا مشاورات مع الاتحاد السوفيتى وبريطانيا
وفرنسا على مستوى لثاني للتوصل الى (درجة من التفاهم) من
شأنها أن تجعل عقد اجتماع مبكر للاربعة (مستمرا وبناء) .

ونشلت خطتي .. لاننى لم أستطع التحكم فى الإيقاع الزمني للمفاوضات . فقد تعاملت وزارة الخارجية مع البيت الابيض بطريقة التحايل التكتيكي لتخفيف وقع تصرفاتها على السياسات الداخلية وندمت لانجاز المحادثات . الاستطلاعية ، بأسراع ما يمكن . وخلال أقل من اسبوعين اكتشفت أن وزارة الخارجية تخطط بالفعل للخطوة التالية .. وأنها وضعت مبادئ جوهرية شاملة لتسوية سلمية فى الشرق الاوسط . أى أنها فعلت بالدقة ما كنت آمل فى تجنبه طوال عدة أشهر .

وعندما أبلغت سيسكو فى منتصف فبراير أننا لا نريد نجاحا سريعاً للمشاورات الرباعية فى إطار الأمم المتحدة فى نيويورك .. كنت أتحدث بلغة تتناقض مع كل معتقدات وزارته .

● خروج الأمم المتحدة

وفى تلك الاثناء تناول السوفيت الطعم بسرعة . فى أول اجتماع بينى وبين أناتولى دوبرينين السفير السوفيتى فى واشنطن يوم ١٤ فبراير .. أبلغنى بأن القيادة السوفيتية مستعدة لاجراء محادثات ثنائية معنا حول الشرق الاوسط وأنه من المستحسن اجراء هذه المحادثات خارج إطار الأمم المتحدة . وكرر دوبرينين نفس القول أثناء لقائه الاول مع نيكسون فى ١٧ فبراير . ولكن الرئيس الأمريكى راوغ فى قبول الاقتراح باجراء محادثات سرية حول الشرق الاوسط على مستوى البيت الابيض . وأصر على رأيه بأن هذه القنوات للحديث يمكن أن تكون متاحة فى حالة واحدة فقط فى مقابل تعاون الاتحاد السوفيتى فى مسألة فيتنام .

● ديجول وآلة الاغريق

واسفرت محادثات الرئيس نيكسون أثناء رحلته الى أوروبا ، فى اواخر فبراير وأوائل مارس عام ١٩٦٩ ، عن زيادة الضغوط على الولايات المتحدة لكي تشارك بطريقة ايجابية فى مسألة الشرق الاوسط . وبطبيعة الحال فإن البريطانيين والفرنسيين أرادوا أن تجرى المحادثات الرئيسية فى الإطار الرباعى ، ولم يعارضوا بطريقة صريحة المناقشات الأمريكية - السوفيتية الموازية لهذا الإطار غير أن حماسهم للمحادثات الثنائية كان متحفظاً . وقال ديجول بروح استقلالية على طريقة آلهة الاوليمب الاغريق أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يمكن أن يتحدثا فى أى شيء يقع عليه اختيارهما

مادام انها يتجنبان اعطاء الانطباع بأنهما يفرضان سيادة مشتركة على العالم . واذا وضعنا جانبا هذا الاهتمام بالاجراءات . . . وتأيد ديجول للانسحاب الاسرائيلى الكامل مع ضمانات من الدول الاربعة . . . فانه لم يكن لدى أى زعيم اوروبى فكرة محددة حول كيفية تحريك الاطراف نحو اتفاقية شاملة . لقد تركوا بسخا، مثل هذه التفاصيل . . . لنا !

● موضوعات دقيقة

كان دوبرينين مشوشا الى حد ما أثناء تناولنا طعام الغداء يوم ٢ مارس والى على أن يستوضح العلاقة بين المحادثات الثنائية - التى كان يتلهف على أن تبدأ - والمحادثات الرباعية . وحاول تمذيبى باغرانى بأن الاتحاد السوفيتى مستعد لمناقشة صفقة شاملة . . . أى مشروع يتم تنفيذ كل بنوده فى وقت واحد . . . الامر الذى يتناقض مع المطلب العربى - السوفيتى السابق بأن تبدأ العملية بالانسحاب الاسرائيلى . . . واراد أن يعرف منى - . . . الذى يقدم فيه مشروعه . . . وأشار الى أنه يفضل مناقشة بعض الموضوعات الدقيقة ، مثل الحدود، مع البيت الابيض .

وفى اليوم التالى كان لقائى مع اسحاق رابين سفير اسرائيل فى واشنطن . . . وقدمت له نصيحة خاصة وهى أن اسرائيل يجب أن تعد برنامجا محددا يتضمن بوضوح تعريفا « للسلام » الذى يمكن أن تعيش فى ظله .

وفى نفس الوقت كانت وزارة الخارجية الامريكية قد أصبحت على وشك أن تقترح على نيكسون وضع مبادئ جوهرية شاملة حول التسوية فى الشرق الاوسط بعد أن كان الموقف الامريكى هو عدم الالتزام بامور جوهرية . ولم تكن افكارى قد تغيرت فى هذا الصدد .

● مذكرة سرية

وفى يوم ٥ مارس كتبت مذكرة للرئيس نيكسون أوجز فيها وجهة نظرى :

« الجميع يقولون أنهم يتوقعون أن نتخلى عن اسرائيل فى اية مفاوضات . ويدعى العرب - دون وجه حق ولكن بشكل قاطع يصعب تغييره - أننا نستطيع أن نحمل اسرائيل على أن تفعل ما نريده . ويدعى الفرنسيون والبريطانيون انه كان فى استطاعتنا أن نفعل

أكثر من ذلك . وقد يكون السوفيت هم الوحيدين الذين يدركون بوضوح واقعية حدود نفوذنا في القدس . . لان السوفيت يعرفون حدود نفوذهم في القاهرة ودمشق . ولكنهم - أي السوفيت - يجدون ميزات دعائية ضخمة في مساندتنا لإسرائيل بحيث يستمضون عن الاعتراف بالحقيقة علنا .

والحجج الشائنة المطروحة في مجال محاولة التوصل الى شيء يصعب التوصل اليه هي :

● (١) ان المحاولة في حد ذاتها يمكن ان تكون أحد عناصر اشاعة الاستقرار في الشرق الأوسط .

● (٢) أن ترتيب تسوية في هذا العام هو السبيل الوحيد لضرب الفلسطينيين المتشددين .

غير أن ذلك يمكن أن يؤدي الى موقف على النحو التالي :

● (١) ان محاولة صعبة وملحة يمكن أن تحمل الأمور أسوأ مما سيحدث في حالة عدم القيام بجهد شامل الآن .

● (٢) ان تسوية يمكن أن تؤدي في الوقت الحالي الى تقوية الفلسطينيين وأضاف الحكومات العربية التي قبلها .

● خطر على عبد الناصر . .

كان تقديرى في ذلك الوقت من عام ١٩٦٩ أنه حتى في حالة موافقة إسرائيل على بنود حل وسط . . فان الفلسطينيين قد يعترضون طريق التسوية بتأييد من سوريا والعراق . . وان الحكومة العربية المعتدلة التي ستوافق على التسوية سوف تتعرض لهجوم المتطرفين . . ان الملك حسين . . وحتى عبد الناصر يمكن أن يصبحا عرضة للسقوط . ولن تكون النتيجة هي مجرد أن مفاوضات قد فشلت بل المزيد من الفوضى وظهور خطر حرب جديدة .

ووضعت وزارة الخارجية ورقة « مبادئ عامة » تتضمن الدعوة الى تغييرات بسيطة في الحدود السابقة على حرب يونيو . . ولكن هذه التغييرات ، يجب ان تعكس ثقل الغزو ، .

● ايبان يطلب تأييدا ١٠٠٪

في منتصف شهر مارس جاءت زيارة أبا ايبان وزير الخارجية الإسرائيلي . . البليخ . ولم أقابل أحدا في حياتي يضارعه في اتقان

اللغة الانجليزية . ان العبارات تتدفق منه في تركيبات تناسب برقة
 . . وهي معقدة بالدرجة التي تكفي لاختبار ذكاء المستمع وتتركه في
 نصر الوقت مشلولاً بالبراعة الفنية الفائقة للمتكلم . ولم يسبق لي
 من قبل مع أية شخصية أمريكية أو بريطانية أن تذكرت أن اللغة
 الانجليزية بالنسبة لي لغة مكتسبة بالتعلم . . ولكن هذا ما حدث
 مع ايبان . انه مستعد تماما على الدوام ويعرف ما يريد . وإذا كان
 ثمة رأى يتفق مع اسرائيل بنسبة تقل عن مائة في المائة . . فان
 ذلك يعنى بالنسبة لايبان . . افتقاراً الى الموضوعية . وإذا كان ثمة
 رأى يتفق مع اسرائيل بنسبة ٩٩ في المائة . . فان ذلك يعنى
 " تأكلاً ، يدعو للأسف في التأييد لاسرائيل !

وأبدى ايبان معارضته للمحادثات الثنائية والرابعة على السواء ،
 كما اعترض على ورقة المبادئ العامة التي وضعتها وزارة الخارجية
 الأمريكية واعترض بشدة على ما ورد في هذه الورقة بشأن الحدود ،
 وأوضح أن اسرائيل تفضل أن تتجنب الولايات المتحدة القيام بدور
 إيجابى في النزاع . . وأن تترك المبعوث الدولى جونار يارنج يواصل
 مهمته :

● محاولة لاذابة الجليد

عندما توفى الرئيس الأمريكى الاسبق ايرنهاور في ٢٨ مارس
 ١٩٦٩ . . أوفد عبد الناصر الدكتور محمود فوزى مستشاره المشئون
 الخارجية لحضور الجنازة كممثل مصر .

كان حضور فوزى لتكريم رعيم دولة لا توجد علاقات دبلوماسية
 بين مصر وبينها علامة على احترام ومجاملة جديرة بالذكر . وكان
 فوزى رجلاً جليلاً ، رائعاً . . ومحترفاً يتصف بأسلوب المجاملة
 الذى يتسبب به المصرى المتعلم وكان يبدو عليه ذلك السام الذى يشعر
 به الرجل الذى رأى الكثير من نقاط الضعف البشرية . . ولانى كنت
 أعتبر مصر زبونا للاتحاد السوفيتى فاننى لم أنتهز هذه الفرصة
 لأقامة علاقة انسانية أوثق معه . وفي ضوء تجربتى التالية شعرت
 بأسف لانى لم أفعل .

وجاءت زيارة فوزى بعد حوالى ١٥ سنة من تآكل العلاقات بين
 مصر والولايات المتحدة . وخلال فترة التحول بعث عبد الناصر
 برسالة مفككة الى الرئيس المنتخب نيكسون يحدد فيها شكواه من
 الولايات المتحدة ولكنه يشير الى أنه في الظروف المناسبة سيكون

مستعدا لاستئناف العلاقات . وكان هذا هو نفس ما قاله عبدالناصر
لويليام سكرانتون المبعوث الأمريكى الذى زار القاهرة فى أوائل
ديسمبر وهو أن مصر تريد استئناف العلاقات . ولكنها تود أن
برى سياسة أمريكية أكثر ايجابية فى الشرق الاوسط كدريسة
لاتخاذ هذه الخطوة . وفى أوائل عام ١٩٦٩ كرر عبد الناصر
طلب قيام أمريكا بتحريك لاذية الجليد .

وكانت وجهة نظرى أننا اتخذنا بالفعل العديد من الخطوات التى
اقترحها عبد الناصر (وأن يكن لأسباب مختلفة) . . . وقمنا
بدبلوماسية نشطة وطرحنا مبادئ عامة . . . وأن الأساس لتقارب
ممكن بين واشنطن والقاهرة كان يبدو قائما .

● ضغط سوفيتى

وعقدت اجتماعين بينى وبين فوزى تمهيدا لاجتماعه مع نيكسون
فى ١١ ابريل . ولكن سرعان ما تكشف أن فوزى لم يكن يملك
صلاحية استئناف العلاقات الدبلوماسية . انه سينقل رد فعلنا
الى القاهرة . وقال فوزى ان العلاقات يمكن أن تستأنف فى حالة
حدوث بعض التقدم للموسم . ولم يوضح ما يقصده بهذه العبارة .
ثم قال : . ان مصر تتوق الى احراز تقدم وذلك يرجع الى حد ما . الى
أن السوفيت يضغطون علينا فى اتجاه السلام . ويبدو أنهم أدركوا
أنهم لن يكونوا قادرين على مساعدة أصدقائهم العرب بأى وسيلة .
ومن المؤكد أنه فى ظل حالة الجمود . . . ستتهور مكانة السوفيت فى
العالم العربى .

واكد فوزى فى لقائه مع نيكسون بأسلوب ناعم أن مصر تتوق الى
تخفيض أوضاعها العسكرية وتكريس مواردها لمعارض النساء فى
الداخل . ولم يطلب من الولايات المتحدة الضغط على إسرائيل للأقدام
على تصرفات تتعارض مع مصالحها . وطلب معاملة عادلة لمصر . أما
عن استئناف العلاقات . فقد ذكر أن الوقت لم يتضح بعد

● لم أفهم عبد الناصر

وحى يوما هذا . . . لم أفهم دوافع عبد الناصر . . .

على مدى شهور نقل اليها اشارات ملحة فى اتجاه استئناف
العلاقات . وأوفد فوزى . المعروف بأنه رجل المصالحات . الى
واشنطن . وتصرف فوزى بكفاءة . . . ولكنه نيسا يتعلق بهذه المسألة

الحاسمة فان التعليمات التي كانت لديه لم تكن تتيج له لسوء حظه
أن يتزحزح . ولم يتضح أبدا . كيف اعتقد عبد الناصر أن نيكسون
يمكن أن يتحدى المعارضة الداخلية (يقصد النفوذ اليهودي)
والرفض الاسرائيلي والتباعد السوفيتي . المتحفظ . وكل ذلك
من أجل تأييد الحد الأقصى لاهداف دولة (مصر) رفضت العلاقات
الدبلوماسية معنا وظلت سياستها الخارجية غير ودية في أساسها .
وفي الحقيقة أن عبد الناصر سعى الى التعامل معنا عن طريق الابتزاز
غير أنه لم يكن يملك شيئا يهددنا به . ومن أجل طموحاته
العربية لا بد أنه شعر بأنه مضطر الى أن يظل في مواجهة دائمة
معنا في الشرق الاوسط والعالم الثالث حتى لو كان ذلك على حساب
نفس رغبتنا في التحرك تجاهه . وقد أصر محمود فوزي في هدوء
بناء على تعليمات ناصر على أن يحصل على شيء مقسابل لا شيء :
التأييد الأمريكي ضد اسرائيل ، والتأييد السوفيتي ضد الولايات
المتحدة . وقيادة الحركات الثورية في العالم الثالث . والسياسة
الخارجية لا تسير على هذا النحو .

ولم يستطع عبد الناصر أن يختار بين مطامحه البلاغية وبين
تفكيره البديهي في حدود قدرة مصر على تحقيق هذه المطامح . ومات
دون أن يقدم أبدا على الاختيار .

ان خليفته العظيم انور السادات هو فقط الذي وضع بعد ذلك
الاجزاء المتناثرة معا لتصبح كلا متماسكا . في استراتيجية شاملة
تفهم كل العناصر التي تسيطر على المسرح العالمي . بالنسبة لازمة
الشرق الاوسط .

● حسين يطلب تسوية

وجا، زائر عربي آخر هو الملك حسين ملك الاردن الذي لم
يساوم أبدا على صداقته بالولايات المتحدة ورغم أنه يعتمد على المعونة
الامريكية بصورة جوهرية فإنه قاوم اجراءاتنا المزعجة . وأحيانا
المهينة . دون أن يفقد صبره . وأبدى استعدادا للتحدث عن عقد
صلح مع اسرائيل . واحتفظ بصلة متقطعة مع اسرائيل ولكنها غير
ثمرة . ومن سوء الحظ أن قوة مركز حسين في المساومة لاتضاهي
اعتداله . وان الاختيارات المتاحة أمامه ليست متكافئة مع حسن
نواياه . وهكذا فإنه لا يملك القدرة على العمل المستقل ولا على
الابتزاز .

وفي لقائه مع نيكسون يوم ٨ ابريل تحدث الملك حسين أيضا بالنيابة عن عبد الناصر مؤكدا على الالتزام بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . واعترف حسين بالحاجة الى اجراء تعديلات طفيفة في الحدود . . . واذا تخلت اسرائيل عن غزة للحكم الاردني فان هذه التعديلات في الضفة الغربية يمكن ان تكون جوهرية الى حد ما . وقال حسين باسم عبد الناصر انهما مستعدان لتوقيع أى وثيقة مع اسرائيل باستثناء ان تكون في شكل معاهدة سلام .

واكد حسين أنه هو وعبد الناصر راغبان في بحث موضوع المناطق المتروكة السلاح والممر الحر في قناة السويس ومضيق تيران على السواء .

● رحلة جوية مكيفة

وهذا الملك الذي يحكم بالوراثة كان يستخدم كلمة « ياسيدي » في حديثه متى عندما كنت مجرد مساعد للرئيس . وفي إحدى المرات أخذني معه أنا وزوجتي نانسي في طائرته الهليكوبتر في رحلة يقف لها شعر الرأس اذ كان يحلق على ارتفاع منخفض يصل الى مستوى الاشجار . ولكي تحمله على أن يحلق على مسافة أعلى . . . قالت له نانسي ببراعة انها لم تكن تعرف أن طائرات الهليكوبتر تحلق على هذا المستوى المنخفض للغاية . وأكد الملك لها أن الطائرات الهليكوبتر يمكن أن تحلق على مستوى أكثر انخفاضا من ذلك . وأمضى بقية الرحلة وهو يكاد يحلق على ارتفاع يلامس مستوى الارض . ولو كان حسين قد استغل هذه الفرصة . . . لكان قد حصل على موافقتي على أى مطلب سياسي له . . . مقابل شيء واحد . . . هو أن يقدم وعدا بالتحليق بطائرته على ارتفاع أكبر !

• التعليق على

الفصل الرابع

اعترافات مذهلة ..

واضح من هذه الاعترافات التي يقدمها هنري كسينجر للتاريخ مع التحفظ بالنسبة لما أخفاه أو حاوزه .. حقيقة المؤامرة الكبرى التي تعرض لها الحق العربي سواء من جانب أمريكا في عهد هورنسون .. ثم نيكسون .. أو من جانب الاتحاد السوفيتي الذي كان مسؤولنا لدى أمريكا .. والسبب الاول والاخير في كل ذلك .. أن الجميع كانوا يعتقدون أننا جنّة ميتة .. كنا نتحدث من موقع الضعف .. بعد هزيمة منكرة في ٦٧ ، وكنا نريد كل شيء في الوقت نفسه .. دون تقدير للاخطبوط الصهيوني المخيف الذي كان يسيطر على أمريكا .. ودون تقدير لأن الاتحاد السوفيتي لا يستطيع أن يفرض حقها .. لأن أوراق اللعبة في يد أمريكا .. ودون تقدير أيضا لأن الاتحاد السوفيتي ، كان يرعى مصلحته الاولى وهي استمرار حالة اللا سلم واللا حرب .. مع امدادنا بالسلاح بأسلوب القطارة .. حتى لا تقوى شكيمتنا .



وحتى المحاولات التي قام بها روجر ومعه سيسكو .. لفقد تسوية يرون أنها في صالح أمريكا لاقرار السلام . كانت محاولات

مبتورة استطاعت اسرائيل أن تحكم عليها بالاعدام .. وجعل منها نيكسون بالاتفاق مع كسينجر مجرد مناورات للاستهلاك العالمي .. ونجحا في افشال كل تدخل سوفيتي باسمنا حتى مع التراجعات التي اضطر عبد الناصر الى اعلانها في حديث الى الصحافة الامريكية اعتذر فيه عن اتهامه أمريكا بالاشتراك في عدوان ٦٧ .. وفي حديث آخر لحلة ، تايم ، أعلن فيه أنه يقبل تسوية مع اسرائيل . وأنه يعترف بإسرائيل .. مقابل الانسحاب الكامل وعودة اللاجئين الفلسطينيين



وإذا تجاوزنا الاحداث التي يعرضها كسينجر في هذا الفصل - وكلها في عام ١٩٦٩ - وقفنا الى ما قبل حرب أكتوبر بأيام . فان كسينجر قد اعترف للرئيس السادات - بعد حرب أكتوبر - أن أبا اياب قال له : ان مصر قد أصبحت جنة .. وستظل جنة لمدة خمسين عاما ولا داعي لاستئناف أى محاولة للتسوية . اتركوها لنا .

● ماذا حدث لنا ؟

ماذا حدث لنا - ونحن في موقع الضعف وعدم الادراك لحقائق لعبة المسرح العالمي .. كما جاء في اعترافات كسينجر في هذا الفصل ؟

● ● ● استطاعت أمريكا أن توقف الاتحاد السوفيتي عند نقطة الصفر .. وساومت على أى حوار . بأن يقدم الاتحاد السوفيتي مساعدة حقيقية لأمريكا في أزمة فيتنام . الصفقة لها ما يقابلها .

● ● ● استطاعت أمريكا أن تلعب بدول أوروبا التي تدخلت من أجل مباحثات رباعية للآزمة بين أمريكا والاتحاد السوفيتي وفرنسا و إنجلترا ، .. بل قبل الاتحاد السوفيتي أن يجعل من هذه المباحثات الرباعية مجرد تمثيلية . وفضل الاتصال الثنائي من وراء الستار مع أمريكا .

● ● ● استمرت أوراق اللعبة كما هي في يد أمريكا . التي كانت تحصل بأكثر من وجه .. وجه وزارة الخارجية الفاشل .. وجه نيكسون الذي خدع أوروبا ، والعالم كله .. وكان يبلغ اسرائيل ، وزعماء المنظمات الصهيونية ، وأعضاء الكونجرس المؤيدين لإسرائيل . أن كل مايجرى هو مجرد كلام في كلام .. وأغرق اسرائيل بشحنات

الاسلحة والمعدات الاقتصادية لكي تقبل شيئا . يعلم أنه مرفوض مقدما من اسرائيل . ومرفوض أيضا من مصر !

● لم يفرض

ولم يكن جمال عبد الناصر مفرطا في أي حق وطني . ولكنه كان موقف المزلة الضعيفة الا من الخطب الملتهية . ان الحليف الذي اعتمدنا عليه وهو الاتحاد السوفيتي عاجز عن أن يصل مع أمريكا الى مبادئ تسوية سلمية مشرفة . أو على الأقل تحفظ ماء الوجه . . كما أن هذا الحليف خذله عسكريا بعد هزيمة ٦٧ . ووقف حرب الاستنزاف . . وكان لا يريد الا خداع عبد الناصر لكي يبقى الرجل الذي يحمي النفوذ السوفيتي . . وكان عبد الناصر يخشى تجربة حرب أخرى بعد هزيمة ٦٧ ، ولكنه كان مضطرا للاستعداد العسكري الذي لم يساعده عليه السوفيت . . حتى بكل عروض القواعد العسكرية . . والقيادة الروسية المباشرة لسلح الطيران المصري . ولذلك فقد عبد الناصر القدرة على المناورة . . وكانت التنازلات التي يقدمها لا تلقى أي تجاوب من البيت الابيض الأمريكي . . بل اعتبروا موقفه متطرفا . لجرد أنه يهدد بشيء لا يستطيع تنفيذه ضد أمريكا .

بل ان كسينجر يقول في مذكراته : « وأعرب الرعاء المعنولون من أصدقائنا في الشرق الاوسط . . الملك حسين والملك الحسن ملك المغرب والأمير السعودي فهد وشاه ايران واللبنانيون . . عن نأسهم من التطرف المتزايد في المنطقة . . وقد نقلوا الينا هذا الشعور بطريق مباشر ، أو عن طريق مبعوثين » .

● أسرار الدهايز

ومن هذه المذكرات أيضا . نفهم ان التعامل مع أمريكا . لم يكن تصاملا مع دولة . . بل كانت الاوراق موزعة . والاتجاهات متناقضة . واللعبة مستمرة . والخضوع كامل للسيطرة الاسرائيلية . ان كسينجر يقول لنا : « لقد قرر نيكسون ان يترك وزارة الخارجية تتقدم بمشروع تسوية مع الاردن ، الى جانب مشروع تسوية مع مصر . . ولك على أن يظل البيت الابيض الأمريكي بعيدا تماما عن هذا المشروع بقدر الامكان ! . وفي نفس الوقت الذي صرح فيه نيكسون بتقديم المشروع الى المباحثات الرباعية . . فقد أمر بتقديم تأكيدات سرية لجولدا مائير بان الولايات المتحدة لن تنضى أكثر من ذلك على

هذا الطريق ، وانها لن تضغط عليها في سبيل تنفيذ المشروع .

٠٠ ومع ذلك ٠٠ ومع هذه التأكيدات من نيكسون لاسرائيل
٠ فان جولدا مائير جمعت مجلس الوزراء لبحث العلاقات الامريكية
الاسرائيلية وأعربت عن ٠ خيبة أملها المبررة ٠ وقالت ان الموقف
الامريكي فضيحة وكارثة ٠ ٠ وانا انقل هنا نص كلمات كسينجر .

● خطورة هذا الرجل

ومن هذه المذكرات تتأكد أيضا مدى خطورة هذا الرجل ٠ هنرى
كسينجر ٠ ٠ ومدى قدراته على توجيه السياسة الامريكية الى حيث
يريد في تقديراته ٠ وهو الذى يقول انه كان مشلول اليد في موضوع
الشرق الاوسط ٠ ٠ فقد كان مسموحا لي فقط بالتخطيط وابداء
التحذيرات أو التنبيهات أو المراقبة ٠ ٠ بالنسبة لسياستنا في الشرق
الاوسط باستثناء حالات نادرة من الازمات الحادة كما حدث عندما
قامت سوريا بغزو الاردن في سبتمبر عام ١٩٧٠ ٠ ٠

٠٠ ومن حقنا أن ننسأل : ترى لو كانت له أكبر من هذه السلطات
٠٠ ماذا كان يستطيع أن يفعل أكثر من أنه ضحك على العالم كله ؟



وفي الصفحات المقبلة ، عندما يصل كسينجر الى بداية حكم أنور
السادات الذى قدر هو أنه لن يستمر أكثر من أسابيع ٠ ٠ وعندما
يتحدث كسينجر عن زيارة روجرز لمصر ولقائه بأنور السادات ٠
ساوضح كيف أن أنور السادات ، كان عارفا بكل هذه المناورات ،
وكيف حاول أن يفهم أمريكا أن ارادة مصر هي ارادة مصرية ولن تكون
سوفيتية أو امريكية ٠ ٠ وكان في الوقت نفسه يستعد للحرب بكل
الاصرار ٠ ٠ لكي يفاوض من موقع القوة ٠ ٠ حتى يعترف أكبر داهية
سياسي امريكي - أقصد كسينجر - بأنه لم يكن يتصور أن أنور
السادات على هذا القدر من الفهم لاستراتيجية المسرح الدولى ٠ ٠
وللعبة القوى الكبرى ٠ ٠ وأنه فاز بمواقفه التاريخية الى مصاف قم
زعماء العالم في هذا العصر .

● من كان يتصور ؟

وعندما نرى اليوم ان اسرائيل تنسحب انسحابا كاملا من كل
شبر على أرض مصر ٠ ٠ وتمتدحها الدولية لأول مرة ٠ ٠ ٠



شاه ايران



الامير عهد



الملك الحسن

قال نيكسون ان الملك الحسن والامير عهد وشاه ايران والملك حسين هم القضاة المعتدلون اصلا. أمريكا في الشرق الاوسط الذين عبروا عن باسهم من التطرف المتزايد في المنطقة . وقد نقلوا الى أمريكا هذا الشعور بطريق مباشر أو عن طريق مجهولين

وعندما نرى مرشحا لرياسة أمريكا مثل . كونيلى ، يعلن بيانه عن الشرق الاوسط مؤيدا الانسحاب الاسرائيل الكامل من كل الارض المحتلة وانشاء دولة فلسطين .. ونعرف أن هذا البيان لم يصدر من . كونيلى ، الا بعد مراجعته واقراءه من كسينجر .. نعرف أن (كونيلى) أعلن أنه سيختار كسينجر وزيرا للخارجية اذا أصبح رئيسا .. عندما نرى كل ذلك .. ونرى أن تعليقات الصحف الأمريكية وأجهزة الاعلام التي لا تزال خاضعة للسيطرة الصهيونية تقول أن كونيلى قد عبر عما كان الكنيرون من الأمريكيين ومن اليهود الأمريكيين يريدون التعبير عنه علنا .

عندما نرى أن هذا هو الموقف في الاسابيع الاولى لمعارك الترشيح للرياسة الأمريكية داخل الحزبين .. نقول للاحوة العرب (العقلاء) .. هل يستطيع أحد أن ينكر بعد ذلك .. الاهداف المستحيلة المعجزة التي حققتها حرب أكتوبر وحققتها مبادرة السلام المصرية ؟

لم يعد استرضا اسرائيل بأى ثمز هو موضوع المنافسة الانتخابية لمحركة الرياسة .. بل أن كنيدي الذي ينافس كارتر على ترشيح الحزب الديمقراطي ، لا يجد أمامه الا اسغلال الازمة الاقتصادية في عهد كارتر - وهو - أي كنيدي - يحاول أن يلمس الاساليب الملتوية لتأييد اسرائيل ومهاجمة منظمة التحرير الفلسطينية .. ونجده أخيرا يستثمر ارهاب الخميني في ايران ، لكي يلمس

العذر لاسرائيل في رفضها أن تتعامل مع الإرهاب ، الفلسطيني .
ان كينيدي يلف ويدور لأنه يعلم أن اتفاقيات كامب دافيد ، ثم معاهدة
السلام بين مصر واسرائيل .. هي من أروع مفاخر كادتر في ممراته
الانتخابية لفترة الرئاسة المقبلة ..



والسبب الاوحد والاول لكل ما جرى .. هو أن أمريكا التي تمسك
أوراق اللعبة ، رأت رئيس أكبر دولة عربية ، يواجه العالم كله .
مما حول كل دعاوات اسرائيل داخل أمريكا - بعد ٢٠ سنة من القطيعة
الكاملة مع مصر - الى مجرد أنقراض .. ثم كان هو الزعيم الذي
لا يتحدث بلغتين .. لغة داخل الغرف المظلمة .. ولغة أخرى أمام
الجمهور للخداع والتهريج والمزايدة وخداع الشعب العربي .

والى فصل مقبل .. حيث أعرض ماذا جرى بين السادات وروجرز
.. عند حضور الأخير الى مصر .. بما لم يرد في مذكرات كيسنجر .

ماذا جرى بين موسكو وواشنطن عام ١٩٦٩؟

- نيكسون يؤكد لاسرائيل وللمنظمات الصهيونية في أمريكا أن كل محاولات التسوية هي مجرد تمثيلات
- الاتحاد السوفيتي يعرض باسم عبد الناصر ، مشروعاً لاتفاق السلام تعترف فيه مصر بإسرائيل .
- نيكسون يخدع روجرز بالموافقة على سفر سيسكو إلى موسكو باقتراحات جديدة .
- مانير تقول أن الموقف الأمريكي على إسرائيل " كارثة " وفضيحة " رغم تأكيد نيكسون لها .. بأن المشروعات الأمريكية للسلام .. مشروعات وهمية
- نيكسون يقول للسفير السوفيتي : مصر خسرت الحرب وخسرت الأرض .. فكيف تتقدم بمطالب المحتصرين ؟

ماذا جرى بين موسكو وواشنطن في عام ١٩٦٩؟

كتب كسينجر

الطريق المسدود الذي وصلت اليه أطراف الشرق الأوسط .. كان لابد أن ينعكس على المحادثات الرباعية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا ..

كما أنه حدث في أمريكا نفسها أن احتشدت أغلبية من أعضاء مجلس النواب والشيوخ لمساندة موقف إسرائيل في بيان علني يدعو إلى مفاوضات مباشرة وسلام تعاقدي .. ويرفض الضغط على إسرائيل



للاستحباب قبل الاوان ..

وبعد شهرين من مبادرة وزارة الخارجية الأمريكية بتقديم (مبادئ عامة) لتسوية النزاع .. وجدنا أنفسنا بدرجة أو بأخرى نعود إلى نقطة البداية ..

في كل مكان تجري فيه مباحثات حول الشرق الأوسط كان المطلوب منا أن نفرض السلام .. والشئ الذي لم يكن يحتاج منا إلى محفل أو منتدى عام للنقاش .. وكانت هذه هي بالدقة النتيجة التي تنبأت بها .. وقد اثبتنا مرة أخرى ما كنا نعرفه من قبل .. ذلك أن آراء الطرفين مختلفة كل الاختلاف حول معنى الحدود الامنة المعترف بها وحول توقيت ومدى الانسحاب وطبيعة الاعتراف .. بل وحول عملية التفاوض ..

وكان من الواضح ضرورة اجراء مراجعة اخرى للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط . فالامر الذي بدانه في شهر فبراير (١٩٦٩) على اساس استطلاع احتمالات المفاوضات قد تطور في شهر مايو الى افتراض ان الولايات المتحدة ملتزمة بانقاذ المفاوضات عن طريق تقديم مقترحات جديدة اكثر تحديدا . . غير انه يمكن تجنب حقيقة ان اقتراحات كل من طرفي النزاع في المنطقة غير مقبولة على الاطلاق من الطرف الاخر . ولا يمكن المناورة على الطرفين عن طريق اجراءات مفتعلة تدفعهما الى التخلي عن موقف تمسك به كل منهما وخاض من اجله ثلاث حروب على مدى عشرين عاما . ولا يمكن ازالة الفجوة الواسعة بينهما الا بطريقة واحدة هي اللجوء الى صيغ شديدة الضوضاء تعيد ببساطة ترديد مراوغات قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢

● فضائل المواقف الغامضة

في تلك الظروف لم يكن السؤال الحيوي بالنسبة لنا هو طبيعة المقترحات العامة التي يمكن ان نقدمها بل . . هل نحن مستعدون للاصرار - بالضغط اذا لزم الامر - لتنفيذ مقترحاتنا ؟ ولحين الاجابة على هذا السؤال الذي يعنى انه ما ان تصاغ هذه المقترحات . . حتى نمارس الضغط على اسرائيل . . فانه من المحتم ان تتجدد المفاوضات بطريقة او بآخري . اما اذا تشبشنا بمواقفنا الغامضة ، فان المحادثات الرباعية والثنائية سوف تنهار وسيقع اللوم على الولايات المتحدة . واذا اتخذنا موقفا محددا فسوف ندخل في شجار كبير مع اسرائيل دون ان نكسب صداقة العرب . وعلى عكس ذلك سيكون الاتجاه السوفيتي وزبائنه هم المستفيدين الرئيسيين . واذا امتنعنا عن الضغط على اسرائيل - سواء لاسباب مجلية او لاسباب تتعلق بالسياسة الخارجية - فان المفاوضات ستتوقف مرة اخرى . . وبالنسبة لـ . . كانت تلك هي النتيجة المحتومة لمحاولة التوصل الى تسوية شاملة بينما مواقف الاطراف متباعدة تماما .

محاولة اختبار

وحدث وليام روجرز وزير الخارجية على وضع خطة تفصيلية تؤدي الى تحسين موقفنا حتى في حالة رفضها . وكان يرى انه ببساطة لا توجد وسيلة اخرى لمعرفة ما اذا كانت التسوية ممكنة بدون اختبار للآراء المصرية والسوفيتية واليهودية . . ولذلك قدمت وزارة الخارجية للرئيس نيكسون مشروعا لتسوية سلمية مفصلة بين مصر واسرائيل تستند الى العودة للخطوط السابقة على حرب ٥ يونية ١٩٦٧

وعقب ذلك بوقت قصير سيطر مشروع لاتفاقية سلام أردنية -
اسرائيلية .

واعربت للرئيس نيكسون عن تحفظات شديدة .

● نفوذى كان ضعيفا !

وجرت مناقشة هذه المسألة امام الرئيس فى اجتماع مجلس الامن
القومى فى صباح يوم ٢٥ ابريل . وكان الرئيس موزعا بين التحذيرات
التي وردت فى مذكراتي وبين ضغوط جهازه البروقراطي (هنا يقصد
كسينجر . . وزارة الخارجية) . . . ولذلك تجنب اتخاذ قرار . . بل
وطلب منى فيها بعد العمل مع جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية
لتعديل اقتراح وزارة الخارجية لتخفيف المحاطر التي تنبأت بها -
وافق نيكسون على الورقة - بعد مراجعتها وتعديلها فى الخامس من
مايو . وكانت التغييرات شكلية . لان الرئيس لم يكن مستعدا بصراحة
- لتخطي وزير خارجيته فيما يتعلق بامور الشرق الاوسط
وكان نفوذى ضعيفا ! وطبقا للصيغة الجديدة فان الولايات المتحدة لن
تقدم مشروعا شاملا لتسوية مصرية - اسرائيلية دفعة واحدة ولكن
بنوده ستطرح تدريجيا فى محادثات متعاقبة بين سيسكو ودوبرينين .
كما ان الولايات المتحدة لن تلزم نفسها باذى ذى بدء بالعمل على
الانسحاب الاسرائيلى الكامل من سيناء بل ان الصيغة التي ستتناول
الحدود ستترك غامضة . . على ان يكون الانسحاب الى الخط السابق
على الحرب (غير مستبعد . . بالضرورة) . . وكان من شأن هذه
التغييرات ان تؤدى فقط الى تأخير جريان موجات النهر فى وزارة
الخارجية . ولكنها لا توقفه . .

وتفاوض سيسكو مع دوبرينين على أساس هذه الخطة خلال الفترة
من ٦ مايو حتى ٩ يونيو . وفى الحادى عشر من يونيو أعرب دوبرينين
منى عن شكواه من تجمد المحادثات مرة أخرى واحتج على أن سيسكو
يفتقر الى التحديد وانه يقدم صيغة (مجردة) عن مسألة الحدود .
وادركت ان سيسكو ينفذ تعليماتى بدقة .

● معارك يومية

وكانت المعارك القتالية فى الشرق الاوسط تسير بانتظام مع الجهد
الدبلوماسى . فى اشهر مايو ويونيو ويوليو كانت المنطقة تتفجر
كل يوم بالمعارك الجوية على الجبهتين المصرية والسورية وبفسارات
الغدائين من الاردن . وفى شهر مايو ادلى عبد الناصر بحديث لمجلة

، تأيم ، قال فيه أن النسوية ممكنة إذا وافقت إسرائيل على الانسحاب الكامل ومنح الفلسطينيين حق العودة . وقال . في نفس الحديث أنه يقبل . حقيقة وجود إسرائيل . ولكنه أمر بحذف هذه العبارة الأخيرة من حديثه عند نشره أو إذاعته في وسائل الاعلام القاهرية .

وفي ١٧ يونيو قدم لنا الاتحاد السوفيتي في النهاية اقتراحا مضادا . واتسم الرد السوفيتي بعناصر ايجابية : فقد اشار الى العمل من أجل اتفاقية ملزمة والاعتراف بإسرائيل . بيد أن الرد أبدى مرونة محدودة تجاه القضايا الكبرى التي كانت تهتمنا أكثر من غيرها : لم يرد ذكر المفاوضات المباشرة . والحدود النهائية يجب أن تكون خطوط ١٩٦٧ بالدقة . والإشارة الى حرية الملاحة غامضة . وتحديد السلام النهائي لا يتضمن أى التزام بالسيطرة على العمل العدائي . كما أن الرد لا يتبنى اقتراح وجوب أن تتحكم إسرائيل الى حد ما في تحديد نوع الفلسطينيين الذين يعودون الى إسرائيل .

● الورقة الرابعة

ومع ذلك فقد قرر وليام روجرز وزير الخارجية أن الرد السوفيتي هو . حركة الى الامام ، تتيج التقدم باقتراح أمريكي آخر . ولما كان السفير السوفيتي دوبرينين قد سافر الى بلاده لاجراء مشاورات ، فقد اقترح روجرز في ٣٠ يونيو أن يتوجه جوزيف سيسكو الى موسكو لطرح بعض الأفكار الجديدة . وقد اراد روجرز بالتحديد تفويض سيسكو السلطة أثناء وجوده في موسكو بحيث يكون حر التصرف - في حالة اتخاذ موقف تراجعى - في تقديم ، ورقتنا الرابعة ، (وهي الالتزام الصريح بحدود ما قبل الحرب) اذا أبدى السوفيت تعاوناً في قضايا السلام والامن والمفاوضات المباشرة .

واذا استخدمت في التعبير عن وجهة نظري عبارة مخففة . . فأننى أقول أن ذلك كله سابق لاوانه . . وأوصيت الرئيس نيكسون بأن يساير فكرة رحلة سيسكو الى موسكو دون التقدم بتنازل جسيم بشأن الحدود على النحو الذى اقترحه روجرز .

● نصيحة نيكسون

ونصحت الرئيس نيكسون قائلاً : . اننى لا ارحب بفكرة منح سيسكو في هذه المرحلة سلطة الزامنا بأى وسيلة بلغة تراجعية . ذلك يجعلنا نسبق إسرائيل بمسافة طويلة جداً وندخل عن موقفنا بلا مقابل ،

ووافق نيكسون على السماح لسييسكو بالسفر الى موسكو ولكن دون أن يحمل معه أى موقف جديد بشأن الحدود .

وأضى سييسكو في موسكو الفترة من ١٤ الى ١٧ يوليو ٠٠ وعاد وهو يعرف عن شكوكه في مرونة السوفيت ونواياهم ، وقال للرئيس نيكسون أنه لم يجد دليلا على أن السوفيت مستعدون للضغط على عبد الناصر حول القضايا الرئيسية والمفاوضات المباشرة ٠٠ وانهم ينظرون الى عبد الناصر باعتباره أداتهم الرئيسية في الشرق الاوسط ٠٠ وهم غير راغبين في المخاطرة بوضعه السياسى أو بنفوذهم لديه عن طريق حثه على اقرار سلام على أسس غير الاسس التى يقدمها ، وبدلا من الضغط على عبد الناصر فان استراتيجيتهم فيما يبدو هي التثبيت بموقفهم وزعزعة موقفنا الى الحد الذى يجعلوننا فيه مستعدين لفرض شروطهم على اسرائيل ٠ واستنتج سييسكو من ذلك - وهو على حق من وجهة نظرى - أننا أيضا يجب أن نتشبث بموقفنا .

● روجرز يضغط

في شهر أغسطس احتدم القتال مرة أخرى على جميع الجبهات بخطورة شديدة على طول قناة السويس بوجه خاص .

وتطلب هذا الموقف الكئيب القيام باستعراض آخر للسياسة الامريكية ٠٠ واتخذ هذا الاستعراض - كالعادة - شكل ضغط من وزارة الخارجية للقيام بمبادرة ٠ واتخذت انا نفس موقفى وهو أولوية الاتفاق على استراتيجية امريكية محددة .

وفي اجتماع مجلس الامن القومى فى ١١ سبتمبر (١٩٦٩) ، اوضح ممثلو وزارة الخارجية انه بدون تراجع أمريكا في موقفها بتقديم اقتراح مقبول ٠٠ فان امراز تقدم سييكون امرا مستحيلا (وهو رأى يمكن فى النهاية - اذا تطور بما فيه الكفاية - أن يقودنا مباشرة الى اتخاذ نفس الموقف السوفيتى في كل قضية) ٠ وتساءلت من جانبى عن الحكمة في تقديم اقتراح سترفضه اسرائيل حتما وربما لا تقبله مصر .

وفي الجولة التالية سنتعرض حتما - اذا الزمنا انفسنا بهذا الاتجاه - لضغط من أجل تليين موقفنا اكثر فاكثر ثم نفرض هذا الموقف على اسرائيل .

● ورطة .. لمن ؟

وكان المدافعون عن فكرة تقديم تنازلات يقولون ان الزمن لايسير في صالحنا وانه كلما طال امد تجسيد الموقف فان مركزنا في العالم العربي سوف يتدهور . وأكدت من جانبي أن العكس هو الصحيح : ان استمرار تجسد الموقف في صالحنا لان ذلك سيقنع مصر بمواجهة حقيقة أن الوصاية السوفيتية والسياسة الخارجية المتطرفة تشكل عقبات امام التقدم وان الولايات المتحدة هي وحدها التي يمكن أن تحقق تسوية وذلك من شأنه أن يكشف عجز السوفيت . وكان روجرز يرى في المحادثات الثنائية وسيلة يمكن للاتحاد السوفيتي أن يساعدنا من خلالها على الخروج من ورطة الشرق الاوسط . وكان اعتقادي ان السوفيت هم الذين في ورطة .. لانه لا توجد لديهم وسائل لتحقيق اهدافهم الا عن طريق تعاوننا او عن طريق حرب سيخسر فيها زبائنهم (يقصد مصر) فاذا بقينا هادئين .. سيجد السوفيت أجلا أو عاجلا أن عليهم أن يدفعوا ثمن مساعدتنا لهم سواء في الشرق الاوسط أو في مكان آخر .. وسمح نيكسون تحذيرات من أحد معاونيه الخبراء في الشؤون المحلية حول الصخب الذي سيحدث في داخل الولايات المتحدة عند حدوث صدام مع اسرائيل .

● اعذار لتأخير القرارات

وهكذا كان نيكسون مستمعا تماما لاجتماع مجلس الامن القومي الامريكي وتحدث بعده مع روجرز وسيسكو قائلا : « الا نتحدثون ابدا يا رجال مع الاسرائيليين ؟ »

وقرر الرئيس نيكسون أن تقتصر مفاوضاتنا على اطار المحادثات . الاستطلاعية ، لحين زيارة جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل لواشنطن . والى هذا الحين .. أمر الرئيس بدراسة شروط التسوية بالنسبة للاردن وسوريا الى جانب مصر . وقد لا تكون اجتماعات مجلس الامن القومي جديّة من زاوية التوصل الى اختيارات ولكن لها ميزة كبرى في ايجاد الاعذار لتأخير اصدار القرارات ! ..

وقال لي نيكسون بعد بضعة اسابيع انه يتفق معي في أنه من الأفضل تأخير التوصل الى مقترحات محددة حتى يرى طبيعة التوترات التي قد تتطور بين السوفيت . والمصريين .

وقال نيكسون :

« يمكن لموسكو أن تحصل على مؤتمر للقمة وعلى اتفاق التجارة

ولكننى سوف استحق اللعنة اذا استطاعوا الحصول على الشرق الأوسط .

وهكذا صدرت التلميحات الى روجرز وسيسكو بان يستنما عن التحدث فى شئ جديد فى محادثاتهما مع اندريه جروميسكو وزير الخارجية السوفيتى الذى كان على وشك الوصول الى نيويورك لحضور اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة .

● عمتى .. جولدا !

جاءت جولدا مائير الى واشنطن فى ٢٥ سبتمبر فى اول رحلة لها الى الولايات المتحدة بصفتها رئيسة للحكومة .
انها مؤسسة لمولتها . وكانت تشعر بان موت كل جندي اسرائيل بمثابة مصاب فادح لاحد افراد أسرتها . وكنت أراها تتصرف ممي مثل عمة محسنة تتعامل مع ابن شقيق يتمتع لديها بمكانة خاصة بحيث يكون مجرد السماح بإمكانية ظهور أى خلاف معها بمثابة تحد للثريات العائلى يستدعى الغضب المنيق .

كانت زوجتى تقول أن أكثر المشاهد المسرحية إثارة .. عندما ترانى اختلف مع جولدا مائير . وكانت مائير تتعامل مع روجرز كما لو كانت التقارير التى تصل اليها عن آرائه لا يمكن أن تكون صحيحة . وكانت على ثقة من أنه اذا اتبعت له الفرصة مرة واحدة ليوضح موقفه فان سوء التعامل الناشئ عن التقارير التى تصلها فى البرقيات .. سوف يتلاشى .

وكان حديثها مع نيكسون . بسيطا . فالولايات المتحدة يجب ألا تترك عبد الناصر يتفادى مسئولية صنع السلام عن طريق دفع الآخرين الى القيام بهذه المهمة .. وعلى الاتحاد السوفيتى أن يدرك أن الولايات المتحدة لن تسمح بتدمير اسرائيل . وعلى العرب أن يفهموا أن اسرائيل ليست ضعيفة .. وأن ذلك كله هو السبيل الوحيد لتحقيق السلام .

● وعود واسلحة

.. إن نيكسون يعتقد للحظة واحدة أن السلام يمكن أن يتحقق بطريقة تلقائية . ولم يكن مستعدا للضغط على اسرائيل لاسباب يرجع معظمها لحوامل محلية . ولم يجد صعوبة فى تقديم تأكيدات لجولدا مائير بالمساعدة فى حالة وقوع هجوم سوفيتى .
وكانت الدعاية الاسرائيلية تزوج فى ذلك الوقت لفكرة أن

السوفيت يمكن أن يجازوا معركة مصر ... وهو أمر مستحيل
الحدوث)) ولكن كسينجر يتجاهل ذلك .

وكان نيكسون يفضل أن تكون إسرائيل قوية لأنه لم يكن يريد أن
تضطر الولايات المتحدة إلى القتال في معارك إسرائيل ... وكان ذلك
هو رأي جولدبا مائر ... وأوضح أنه سيتجاوب مع مطالب إسرائيل
من الأسلحة إذا أعطتنا إسرائيل قدرا من حرية العمل في المفاوضات
... وأشار بوضوح إلى أن هذا القدر من حرية العمل لن يكون كبيرا .

ومن المبالغة القول بأن ماثير وافق على ذلك ولكن لمدة
يسكن القول بأنها تحاول بطريقة توحى للمستمع بأن المستقبل هو
وحده الكفيل بأن يبرهن على أن ذلك هو ما سيحدث .

وفي يوم ٢٧ سبتمبر (الذي كان أول دورتين السفير السوفيتي في
واشنطن) ، وهو يحمل معه اقتراحا سوفيتيا باتخاذ موقف مشترك بين
البلدين لوضع خطوط عريضة لحوار باربع الوسيط الدولي في الشرق
الاطوسط . ورفضت الاقتراح بحجة انه طالما أن السوفيت يمتنعون
عن المساعدة على تسوية مشكلة فيتنام ... فإن أي عمل مشترك في
مكان آخر سيكون ، صعبا ، وتحول دوريتين بهذا ذلك لمواصلة
محادثاته المكثفة مع سيسكو خلال شهرى سبتمبر وأكتوبر . وفي
١٤ أكتوبر قدم سيسكو تقريرا جاء فيه أنه تم إحراز تقدم كاف
فيما يتعلق بالاجراءات (مثل عقد محادثات غير مباشرة بين طرفي
النزاع بالطريقة التي مارسها الوسيط الدولي رالف بانث من
عشرين عاما في جزيرة رودس) .

● نيكسون يقرره التجميد

وكانت تخايرني شكوك ازاء حقيقة هذا التقدم ، واعتقادى أن
السوفيت كانوا يستخدمون الشرق الاوسط وكذلك مفاوضات سولت
(للحد من الأسلحة الاستراتيجية) لكي يحصلوا نيكسون على أن يفكر
مرتين قبل تنفيذ تهديده بشأن فيتنام الذي حدد له موعدا في
أول نوفمبر .

ولم يبدأ قلقي عندما عقد اجتماع بين الرئيس نيكسون ودوريتين
في ٢٠ أكتوبر . فقد قرأ السفير من مفكرة كان يحملها ... كلاما يلقى
اللوم على واشنطن فيما يتعلق بجمود الموقف في الشرق الاوسط .
ورد عليه نيكسون بحدة قائلا أن السوفيت لا يطلبون أي تضحية من
مصر ... بينما مصر خسرت الأرض ... وليست في موضع شبح لها
التقدم بطلب المتصربين .

وبينما كان نيكسون يواجه دوبرينين .. طلب سيسكو تفويضا
 بإبلاغ السفير السوفيتي عن موقفنا الجديد (الذي تراجعتنا اليه بقبول
 حدود ١٩٦٧ على أن يرتبط ذلك بضمانات للامن . و اراد سيسكو أن
 يتحرك في هذا الاتجاه في اجتماعه مع دوبرينين الذي تحدد له يوم
 ٢٨ اكتوبر .. وناقشت هذا الموضوع مع الرئيس نيكسون الذي
 وافق على أنه لا حاجة الى مبادرات امريكية من أى نوع قبل ان يتضح
 الموقف في فيتنام . وفي الواقع أن نيكسون أصدر أمرا صريحا بعدم
 اجراء المزيد من الاتصالات على الإطلاق مع السوفيت لحينلقاء خطابه
 الهام عن فيتنام يوم ٣ نوفمبر .

● محاولة انقلاب

واحتج سيسكو على ذلك .. لان روجرز كان قد وعد جروميكو
 بالفعل بمقد لقاء بين سيسكو ودوبرينين يوم ٢٨ اكتوبر واضطر
 نيكسون الى الاذعان لرغبة وزير خارجيته ثم طلب من مستشاره
 للشئون اليهودية بأن ينقل الى زعماء الطائفة اليهودية شكوكنا تجاه
 الدبلوماسية التي تسير عليها وزارة خارجيته .. بل وتبوأ من
 مبادرات الوزارة .

وفي بعض الاحيان كان نيكسون يجد ما يفريه على فرض تسوية
 في الشرق الاوسط . في احدى المرات ابلغته بتشاورم الملك حسين
 تجاه احتمالات السلام بسبب موقف اسرائيل المتشدد . وكتب
 نيكسون بخط يده في احدى صفحات مذكرتي في اواخر عام ١٩٦٩
 تعليقا على ذلك .. قائلا : « انني الان بدأت أفكر في أن علينا ان
 نبحت اتخاذ خطوات قوية من جانب واحد لانقاذ اسرائيل من
 تدميرها لنفسها . ولكنه كان عندما يعمن التفكير .. يتوقف عن
 السير في هذا الطريق .

● مقابلة غاشقة

وفي النهاية قدم سيسكو الى دوبرينين الموقف الذي حددته وزارة
 الخارجية بعد تراجعها .. وهو الموقف الذي يلزم الولايات المتحدة
 باعادة الحدود الدولية لعام ١٩٦٧ بين اسرائيل ومصر . واشتمل
 المشروع على بنود عن السلام وترتيبات الامن . وهي اجراءات قامت
 وزارة الخارجية على أنها ستكون جذابة بدرجة كافية لاسرائيل ، دون
 دليل على ذلك . لكي تنسحب ، ولاقناع السوفيت بالضغط على مصر .
 وقد خاب الامل في هذه التوقعات .

على خلاف تنبؤات وزارة الخارجية .. فان المرض النحس قدمناه .
 لم يدفع السوفيت الى الالتزام بشئ . وعلى خلاف ما فهمناه عن موقف
 عبد الناصر من قبل .. فان موافقتنا على العودة الى الحدود الدولية لم
 تسفر عن تحسين العلاقات معه . وبدلاً من ذلك . اتى خطاباً ملتهباً
 في مجلس الشعب في ٦ نوفمبر اعلن فيه انه سوف يستعيد الاراضى
 المحتلة ، بالنار والدم ، بدلاً من « انصاف الحلول » السياسية واتهم
 الولايات المتحدة بالتدخل العسكري نيابة عن اسرائيل . واصدرت
 وزارة الخارجية الامريكية بياناً تصف فيه موقف عبد الناصر بأنه
 « نكسة للسلام » . وبعد وقت قصير . وصف محمود رياض وزير
 الخارجية المصرى مشروعنا للسلام (بما فى ذلك الموقف من الحدود)
 بأنه « أسوأ » من المقترحات السابقة .

ورفضت اسرائيل ايضا المشروع . واحتجت عليه باقوى اللهجات
 الدبلوماسية . وابدى الامريكيون المناصرون لاسرائيل انزعاجهم .
 وتساعد القتال مرة أخرى . وخاصة على جبهة قناة السويس .

● الرهان الخامس

واعرب الزعماء المعتدلون من اصدقائنا في الشرق الاوسط - الملك
 حسين والملك الحسن وملك المغرب والامير السعودى فهد وشاه ايران
 واللبنانيون - عن ياسهم من التطرف المتزايد فى المنطقة . وقد نقلوا
 اليها هذا الشعور بطريق مباشر أو عن طريق مبعوثين .

مثل المقامر الذى يخسر الرهان .. فان المدافعين عن دور امريكى
 ايجابى ارادوا زيادة المراهنة .. واصروا على القول بأنه ما زال فى
 الامكان التوصل الى نسوية . واقترحوا تقديم ورقة اخرى تتعلق
 بالاردن تضم فى الاساس نفس المبادئ . وقالوا ان ذلك سيجعل
 موقفنا متوازناً فى عيون العالم ويمكن أن يكون نقطة بداية لمفاوضات
 تجرى فيما بعد اذا فشلت هذه المفاوضات الآن . ولم يوضح هؤلاء
 ما هو « العالم » الذى يقصدونه .

● روجرز وسط الشراخ

وجاء يوم يوم ٩ ديسمبر ١٩٦٩ ليلقى روجرز خطاباً امام مؤتمر
 للتعليم (ولم أفهم ما علاقة مثل هذا المؤتمر ببيان على مستوى عال
 حول الشرق الاوسط) اشتهر فيما بعد باسم « مشروع روجرز »
 وقال فى خطابه : « اننا نعتقد انه فى الوقت الذى يجب فيه
 اقرار حدود سياسية معترف بها ومتفق عليها بين الاطراف فان أى

تغييرات في الخطوط السابقة يجب الا تمكس ثقل الغزو ويجب ان تقتصر على تغييرات عبر جوهريه يتطلبها الامن المتبادل . اننا لا نؤيد التوسع . ونعتقد ان القوات يجب ان تنسحب وفقا للقرار . ونحن نريد امن اسرائيل وامن الدول العربية ايضا .

وبعد ساعات . كان كل شخص يطلق النار على خطاب روجرز . ونظرا لان الخطاب يحتوى على عناصر مرفوضة سلفا من كل من الجانبين فقد كان من المحتم ان يتعرض للهجوم من كل الاتجاهات . وهاجمت الصحف المصرية الخطاب باعتباره خدعة امريكية هدفها ان تتظاهر الولايات المتحدة امام العرب بانها غير متحيزة . وبعد ذلك سارت صحيفة « برافدا » السوفيتية في نفس الخط . ووصفت الخطاب بأنه محاولة امريكية لوضع قناع على انحياز امريكا لاسرائيل . وفي اليوم التالي للخطاب رفض مجلس الوزراء الاسرائيل كل الجهود الخارجية لوضع خط للحدود . واعربت المنظمات اليهودية الامريكية الكبرى عن قلق خطير . تجاه الخطاب . وتم افاد ابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيل مرة اخرى لاجراء مباحثات مع المسؤولين الامريكيين .

● موضوع لعلم النفس !

ومع ذلك فقد اجتمع مجلس الامن القومي الامريكي يوم ١٠ ديسمبر لوضع مشروع التسوية مع الاردن . اما الدافع الذي جعل وزارة الخارجية الامريكية تواظب على المشاورة في وضع هذه المشروعات في الوقت الذي تشير فيه جميع الدلائل الى فشل محقق . . فهذا امر متروك لطلبة علم النفس الاداري لكي يحكموا على دراسته !

وفي اجتماع مجلس الامن القومي - المشار اليه - قرر نيكسون ان يترك مشروع التسوية مع الاردن يسير قدما على ان يظل البيت الابيض الامريكي بعيدا تماما عن هذا المشروع بقدر الامكان ! وفي نفس الوقت الذي صرح فيه نيكسون بتقديم المشروع الى المعادثات الرباعية . . فقد امر بتقديم تأكيدات سرية لجولدا مائير بان الولايات المتحدة لن تضى اكثر من ذلك على هذا الطريق وانها لن تضغط عليها في سبيل تنفيذ المشروع .

● المعادلات . . حالت !

واتار الاسرائيليون - رغم ذلك - عاصفة . ودعت جولدا مائير الى اجتماع لمجلس وزرائها لبحث العلاقات الامريكية - الاسرائيلية .

واعتبرت مانبر عن . خيبة أملها المريرة ، . وقالت أن الموقف الأمريكي
« فضيحة وكارثة » . . .

ولتهدة مخاوف الاسرائيليين . . اوصى سبيكو باتخاذ قرار
ايجابى مبكر بشأن طلبات المونة الاقتصادية والعسكرية لاسرائيل .
ووافق نيكسون . وسوف تظل هذه الحلقة مستمرة في كل خطوة
من خطوات المفاوضات التي لا توافق عليها اسرائيل . اذ تعتمد
الولايات المتحدة تصميم برامج المساعدة لاسرائيل دون أن يحدث أى
لقاء حقيقى في الافكار مع اسرائيل .

ولم يتم احراز أى تقدم بعد تسعة أشهر من مناقشة المبادئ العامة
والتحول الى مشروعات محددة للتسوية في الشرق الاوسط . ولم
تتحسن العلاقات مع مصر . وربما كان هناك سبب رئيسى هو أن
الاتصال المباشر مع مصر كان محدودا .

وفي ٢٢ ديسمبر ١٩٦٩ . أى بعد تسعينين من الانتظار . رد
السوفيت في النهاية على اقتراحنا الذي قدم في ٢٨ أكتوبر . وكان
الرد بالرفض . وقال لى السفير دوبرينين أن مشكلة الشرق الاوسط
يمكن تسويتها فقط « على أعلى مستوى » . وقلت له انه لا يوجد لدينا
جديد يمكن أن يضاف الى مشروعاتنا المقدمة .

وهكذا . . ماتت المحادثات الرابعة والمحادثات الثنائية . والجديد
أن نيكسون أصبح الآن يشاركنى تماما الراى بأن الوقت لم ينضج
بعد للتسوية . ولكنه كان يفضل أن تحت مبادرتنا دون اعلان بدلا
من أن تأمر بروتها .

• التعليق على

الفصل الخامس

٣ أخبار خطيرة ..

نحل هذا الفصل الجديد من مذكرات هنري كسينجر
بمميز بثلاثة أخبار .. بل هي في رأي أكثر من
خطيرة ..

• الخبر الاول

●●●● الخبر الاول هو أن الاتحاد السوفيتي ابلغ

كسينجر على لسان أناتولي دوبرينين السفير

السوفيتي في واشنطن ، أن الاتحاد السوفيتي لم

يرفض مشروع روجرز كما فهمت أمريكا خطأ من

الرد السوفيتي . وهذا نص كلمات كسينجر عما جرى بينه وبين

السفير السوفيتي على الموقف العلني الذي اتخذته وزارة الخارجية

الأمريكية . التي قال أنها فسرت رد موسكو على مشروع روجرز

تفسيرا خاطئا واعتبرت أن هذا الرد هو الرفض ، ..

ويعلق كسينجر على ذلك بقوله : " أن هذا التفسير الجديد الذي

قدمه دوبرينين قد غاب بوضوح عن كل شخص قرأ مذكرة موسكو

التي أرسلت في شهر ديسمبر . بما في ذلك كاتب هذه السطور .

كما أن السوفيت لم يعارضوا من قبل تفسيرنا لوقفهم على أنه رفض

لمشروع روجرز ، .. ثم انقطع الاتصال السوفيتي الأمريكي قرابة

شهر بعد هذا اللقاء بين كسينجر ودوبرينين .



يفهم من هذا بكل وضوح أن الاتحاد السوفيتي كان يلعب على الحبلين - ففي رحلة عبد الناصر الى موسكو التي يشير اليها كسينجر .. رفضي السوفيت ارسال أسلحة الردع التي طلبها عبد الناصر واضطر الى أن يعلن قبوله لمبادرة روجرز وهو على نفس المائدة مع القادة السوفيت في الكرملين .. وجن جنون بريجنيف وسأل عبد الناصر كيف تقبل حلا أمريكيا فأجابه عبد الناصر انه على استعداد لقبول الحز من أية جهة .. وعاد عبد الناصر الى مصر وأبلغ السادات بذلك وقال له : " السوفيت يا أنور حالة ميئوس منها تماما " .. وقال الجبر : الاخر من العبارة باللغة الانجليزية Hopeless Case



- " وبين عبد الناصر في الاتحاد السوفيتي في رحلة استشفاء استمرت عشرين يوما ، حيث أدخلوه غرفة الاوكسوجين الخاصة برجال الفضاء ليحدد خلايا جسمه كلها ..

وكانت هذه آخر زيارة قام بها عبد الناصر للقادة السوفيت - وأنا أنقل هنا عن كتاب أنور السادات " المبحث عن الذات " - وكان تأثيرها على صحته سيئا للغاية - فلاول مرة أحس عبد الناصر بأنه ليست هناك أرض للمناورة - وعبد الناصر مناور ممتاز ، ولذلك فهو بدون أرضية مناورة يساوى صفرا ، وهو لا يجب أن يكون صفرا " .



يتضح من سطور كسينجر التي لم يكذبها أناتولي دوبرينين السفير السوفيتي الذي حضر احتفال كسينجر باصدار كتابه منذ عشرة أيام .. وقال ضاحكا ان من حقه ربيع الارباح .. لان كسينجر تناوله في ربيع فصول الكتاب .. يتضح من ذلك أن الاتحاد السوفيتي كان يلعب بعبد الناصر - يبلغ واشنطن سرا انهم لم يرفضوا مشروع روجرز .. ويحتجون على عبد الناصر لقبوله المشروع ، بل ان احتجاج بريجنيف كان غاضبا وعصبيا !

● الخبر الثاني

●●● الخبر الخطير الثاني أن أجهزة المخابرات الامريكية التي كانت تنقل لكسينجر اخبار كل الاتصالات التي كانت تجري بين عبد الناصر والسوفيت .. كانت اخبارها خاطئة ومبتورة - ذلك لان كسينجر يبنى في مذكراته قراره بأن تستمد أمريكا عسكريا ،

للتدخل لحماية اسرائيل . على اساس أن العلاقات بين عبد الناصر والسوفييت كانت في قمة التفاهم . . . وأنهم ينفذون على مصر بكل الاسلحة التي يطلبها عبد الناصر . . . بل انهم مستعدون للتدخل عسكريا . . . مع مصر في حرب ضد اسرائيل .



وانا انقل هنا أيضا فقرة أخرى من مؤلف السادات وهو يستعرض جهود عبد الناصر لامتصاص آثار الهزيمة على الشعب . ببيان ٣٠ مارس . . . و صورة أخرى من صور الانتقال هذه كانت حرب الاستنزاف التي بدأناها في سبتمبر ١٩٦٨ . بعد أن كان اللواء أحمد اسماعيل قد انتهى من بناء خط الدفاع المصري وكنا قد سرنا شوطا لا بأس به في تدعيم قواتنا المسلحة . . . بدأت الحرب بالمدفعية . فردت علينا اسرائيل بضرب محطة المحولات في نجع حمادى وقناطر نجع حمادى وكوبرى قنا في الصعيد . . . فاضطررنا الى التوقف من سبتمبر ٦٨ الى مارس ٦٩ حيث استطعنا في تلك الفترة أن نحس جميع المنشآت ثم استأنفنا في سنة ٦٩ رغم أن الاتحاد السوفيتى كان ضد هذا . . . ولم يعوضنا عن الذخيرة التي استنفذناها حينذاك إلا مع الكوبرى الجوى عند بدء معركة ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . وكان هذا عقابا لعبد الناصر لأنه بدأ حرب الاستنزاف واستمر فيها ضد رغبة السوفييت . . .



. . . اذن السوفييت كانوا ضد حرب الاستنزاف . وعاقبوا عبد الناصر بعدم تعويضه عما فقد من ذخيرة في هذه الحرب . . . واستمر ذلك بعد وفاته حتى حرب أكتوبر .

نمت هذه الوقائع في رحلة عبد الناصر العلنية التي قام بها الى الاتحاد السوفيتى في ديسمبر ١٩٦٩ . . . بعد مبادرة روجر بناء على طلبه . . . وأعد أنور السادات لهذه الرحلة مع السفير السوفيتى في القاهرة مينوجرادوف .



ولكن عبد الناصر قام برحلة سرية أخرى الى الاتحاد السوفيتى بناء على طلبه في يناير ١٩٧٠ . وقد عاد من هذه الرحلة لثى أسنمرت اربعة ايام سعيدا . . . لأنه تصور أن السوفييت سيصدقون القول معه هذه المرة . . . ولكن انتهت هذه الرحلة أيضا بالفشل ولم يف السوفييت بتمهدهاتهم . . . حتى أن عبد الناصر قال في ابريل ١٩٧٠ وهو ضائق بالوقف . . . انه لا مهرب أمامه من الاتجاه الى أمريكا . . .

وانقل تفصيل ذلك عن كتاب انور السادات - رغم اننى اشرت اليه باختصار في تطبيق سابق .



قال انور السادات في صفحة ٢٥٧ من « البحث عن الذات » وهو يصف صراع عبد الناصر مع السوفيت من أجل بقاء مصر . وصراع السوفيت مع عبد الناصر من أجل بقائهم في المنطقة . قال السادات : « ٠٠ ففي أول يناير سنة ١٩٧٠ حينما ضربت اسرائيل مصنع ابوزعبل وقتل فيه أكثر من ٧٠ عاملا بريثا استدعى عبد الناصر السفير السوفيتي وكبير الخبراء وأخبرهما أنه ليس في امكانه الانتظار الى يونيو وهو ميماد تسليم بطاريات الصواريخ سام ٣ . وخاصة بعد أن وصلت اسرائيل الى العمق وضربت التجمعات المالية والسكانية . فحدد القادة السوفيت ميمادا في ٢٢ يناير - أي بعد لقائه بالسفير السوفيتي بثلاثة أسابيع - وسافر الى موسكو في زيارة سرية استغرقت أربعة أيام عاد بعدها وهو في قمة السعادة . »

قلت له خبر يا جمال ؟

قال : الدور ده الظاهر حيصدقوا معانا .٠٠ فأنا لما قلت أن الامر عاجل وملح وطلبت منهم يبعثوا لنا صواريخ سام ٣ بأطقم سوفيتية الى أن يتم تدريب أطقمنا في أغسطس جمعوا القيادة السياسية وأخذوا قرارا بارسال سام ٣ ابتداء من شهر مارس ١٩٧٠ . »



ويستطرد انور السادات قائلا : « كنا منذ الهزيمة نلح على السوفيت أن يعاونونا في الدفاع الجوي . حتى أن عبد الناصر طلب منهم حينذاك أن يتولى الدفاع الجوي عن مصر قائد سوفيتي . فقد كان الدفاع الجوي عندنا نقطة ضعف بارزة كما ثبت في عامي ٦٩ و ٧٠ عندما ضربت اسرائيل مصنع ابوزعبل ومدرسة بقر البقر للأطفال . ولذلك اعتبرنا دخول سام ٣ مصحوبا بجنود سوفيت . نقطة تحول في تعامل السوفيت معنا .٠٠ ولكن جاء ابريل ١٩٧٠ موعد وصول الطائرات تي يو ١٦ التي كانوا قد وعدوا بارسالها مع الصواريخ ولم يظهر لها أثر . وسألنا مرة ومرة أين الطائرات التي وعدتم بها ؟ . ولكن لا اجابة .٠٠ نفس الاسلوب القديم الذي كنا تصورنا أنهم غبروه . وضاق عبد الناصر بالوقف

كله وقال لي : اسمح يا انور اوراق اللعبة كلها في ايد أمريكا
شئنا أم أبينا ولقد آن الاوان عشان نتكلم وندخل أمريكا في العملية
٠٠ . وفعلنا بدأت أمريكا الحوار في يونيو سنة ٧٠ بمبادرة روجرز
التي تنص على نقطتين هما الانسحاب ووقف اطلاق النار لمدة ٩٠
يوما يجري فيها وسيط من الامم المتحدة المفاوضات بين الاطراف
المعنية من أجل تسوية مشكلة الشرق الاوسط ٠٠ . كان الوسيط
جوناثان يارنج منذ أن صدر قرار مجلس الامن ٢٤٢ في نوفمبر
١٩٦٧ . وكنا نعرف أن مهمته محكوم عليها بالفشل بسبب تعنت
اسرائيل ، وفعلنا لم نستطع أن يحقق شيئا وانتهت مهمته في سنة
١٩٧١ .



أخلص من هذا أن فهم كسينجر والبيت الابيض ووزارة الخارجية
الامريكية أن السوفيت كانوا يفرقونا بكل ما نطلبه من سلاح ٠٠
كان فهمنا خاطئا ٠٠ ولم تدرك معلوماتهم أبدا المحنة التي كان يمر
بها جمال عبد الناصر في تعامله مع السوفيت .

كما أن تصور كسينجر أن قوات الاتحاد السوفيتي كان يمكن
أن تشارك في القتال ، تصور خاطئ ، ٠٠ لا أساس له من الواقع
بنى عليه دعوته الى نيكسون واقناعه بضرورة التواجد العسكري
الامريكي لمواجهة السوفيت ٠٠ وهو قرار حاول كسينجر استصداره
ولكن وزارة الدفاع الامريكية رفضت القرار وطلبت من البيت
الابيض الحل السياسي .



ونفهم ايضا من الحقائق ان رسالة كوسيجين التي ارسلها في
٢١ يناير عام ١٩٧٠ ، بعد انتها. زيارة عبد الناصر السرية بأيام ،
الى كل من الرئيس نيكسون وبريطانيا وفرنسا ٠٠ وجرى اعلانها
كانت لمجرد التهويل والاستهلاك العالمي ٠٠ وكانت الرسالة تهدد
بأنه اذا امتنعت هجمات اسرائيل ، فإن الاتحاد السوفيتي سيكون
مضطرا لان يستوثق من أن الدولة العربية تملك تحت تصرفها
الوسائل التي تكفل مساعدتها على صد المعتدى المتعجرف بالطريقة
المناسبة .

كانت رسالة للاستهلاك والتهويل بدليل أن الاتحاد السوفيتي
لم يف بتعهداته للرئيس عبد الناصر ٠٠ أرسل الصواريخ ولم
يرسل الطائرات .

ولما رد نيكسون على كوسيجين ردا حازما في ٤ فبراير ١٩٧٠ ،
 • بتحذير بأن التهديد السوفيتي بزيادة شحنات الأسلحة يمكن -
 في حالة تنفيذه - أن يجر الدول الكبرى بصورة أكثر عمقا الى
 النزاع ، عندما تلقى كوسيجين هذا الرد في ٤ فبراير ١٩٧٠ - أى
 بعد انتهاء زيارة عبد الناصر السرية بسبعة أيام فقط . . تراجع
 السوفيت عن تعهداتهم لعبد الناصر . . وبعد أن تمهدوا بارسال
 صواريخ سام ٣ ابتداء من مارس ١٩٧٠ . . عدلوا عن ارسال
 الطائرات تي يو ١٦ . . وسأل عبد الناصر مرات ومرات عن السبب
 . . ولم يسمح اجابة من الاتحاد السوفيتي .



وكان تقدير كسينجر الخاطي، الذي اقنع به حتى روجرز
 وسييسكو - غير نيكسون طبعاً ، انه اقنع ان رسالة كوسيجين التي
 كانت شديدة الاسهاب . . ليست خطوة معزولة ، ولا بد أن تكون
 جزءاً من خطة أوسع . . ويؤكد يكون من المؤكد أنها نذير بعمل
 محدود في المجال العسكري .

ثم يقول كسينجر بعد ذلك : . . . واثار ذلك عندي احتمالاً
 أكثر شؤماً . . وهو أنه اذا سمى السوفيت الى القيام بشئ فعال
 ضد الهجمات الاسرائيلية ، فان ذلك يبدو انه يجعل من المقطوع به
 تقريباً أن تشترك في الامر عناصر سوفيتية . .

ثم يستطرد ، وقت باعداد خطة طوارئ، لمواجهة احتمال تحرك
 سوفيتي ما له اهميته . . واستمرضت خططنا في حالة تهديد
 السوفيت لاسرائيل بمصل انتقامي . . وقدمت وزارة الدفاع
 الامريكية مذكرة رسمية تؤكد فيها على أنها تفضل اختيارات
 سياسية .

وهذا ما يجعلنا نسجل ان تقديرات كسينجر وتحليلاته فقدت
 صوابها . . وانه لم يكن قد تمرس بعد على أساليب السوفيت . .
 وان البيت الابيض لم يكن يدري شيئاً عن أزمات عبد الناصر مع
 السوفيت من ناحية الامداد العسكري .

● الخبر الثالث

الخبر الخطير الثالث الذي جاء في هذه المقتطفات التي ننشرها
 من كتاب كسينجر أنه تصور أن المقاتل المصري لن يستوعب الأسلحة

السوفيتية المتطورة وان اسرائيل ستنسف هذه الاسلحة .. ولذلك فان السوفيت سوف يشاركون في القتال .. ويهددون وجود اسرائيل . وكسينجر يقول في ذلك : « وأمرت لنيكسون عن شكوكي في جدوى المعدات الحربية السوفيتية وحدها التي ترسل الى مصر .. ذلك لانه اذا أدت الاسلحة الجديدة الى مجرد زيادة الترسانة الحربية القائمة فسوف يجرى تدميرها بواسطة الاسرائيليين .. أما اذا كانت هذه الاسلحة أكثر تطورا .. فان المصريين سيحجزون عن تشغيلها .. ولذلك قدر أن السوفيت سوف يحاربون اسرائيل بقواتهم !!



وقد اتضح أنه بمجرد أن تسلم السوفيت ردا عنيفا من نيكسون .. أسرع السفير السوفيتي في واشنطن (دوبرين) لكي يؤكد لكسينجر .. « انه يمترض على اذاعة رسالة كوسيجين .. الامر الذي تسبب فيه السوفيت أنفسهم عن طريق قيامهم بارسال رسائل مماثلة الى باريس ولندن .. كما قال دوبرين ان وزارة الخارجية الامريكية فهمت خطأ أن الاتحاد السوفيتي رفض مشروع روجرز !!

● خبر اضافي

ويستتبع هذا الخبر الخطير الثالث في مذكرات كسينجر خبر اخر يدل فعلا على وقوعه في خطأ أكبر عندما سخر من تقدير كل الوزارات الامريكية من أن اسرائيل (في عام ١٩٧٠) تستطيع الاحتفاظ بتفوقها العسكري خلال فترة تتراوح بين ٣ و ٥ سنوات دون الحاجة الى شحنات جديدة كبيرة من الاسلحة . وكان هذا أيضا تقدير الوكالات الامريكية المتخصصة (يقصد أجهزة المخابرات) ويدافع كسينجر عن خطئه بقوله « ان الاحداث أثبتت بعد ذلك في حرب أكتوبر على أنه حتى بعد الشحنات العسكرية الضخمة لاسرائيل في الفترة من ١٩٧٠ - ١٩٧٣ .. فان التوازن العسكري في الشرق الاوسط أصبح هشاً .. »

ان كسينجر يتجاهل هنا ، ان الانتصار المصري في أكتوبر ، لم يكن انتصار سلاح فقط .. بل كان انتصارا لارادة وإيمان المقاتل المصري .. لانه من المقطوع به ، ان ما كنا نملكه من سلاح في حرب أكتوبر كان أقل كثيرا من الترسانات الامريكية الضخمة



دوبرينين

قال ان واشنطن أخطأت عندما فسرت
موقف موسكو بأنه رفض لمبادرة روجرز



كوسيجين

الانذار التهويشي .. الذي خدع كسينجر
.. ثم تراجعت موسكو على الفور ..

التي يملكها جيش اسرائيل . ويعترف كسينجر ان اسرائيل
طلبت من أمريكا في عام ١٩٧٠ فقط ٢٥ طائرة فانتوم (ف - ٤)
من قاذفات القنابل المقاتلة ، و ١٠٠ (مائة) طائرة قاذفة هجومية
من طراز سكاي هوك (١ - ٤) وعددا لا يحصى من الدبابات وناقلات
الجنود لمصمعة ..

وكل ذلك كان مجانا بالطبع . تحت ستار أشكال متعددة من
القروض الامريكية التي لاتسددها اسرائيل .



والحديث يطول ويطول .. عن سوء تقديرات كسينجر .. أو
سوء نيته في هذه التقديرات !

الاتحاد السوفيتي لم يرفض .. مبادرة روجرز

- كسينجر يقترح ارسال قوات عسكرية الى الشرق الاوسط بعدد حرب الاستنزاف لمواجهة احتمال تدفق عسكري سوفيتي .
- وزارة الدفاع الامريكية تعترف .. وتطلب حلا سياسيا .
- نيكسون يقول : ان هزيمة ٦٧ تحولت الى انتصار سياسي للسوفيت . فقد اصبحوا اصدقاء للغرب واصبحنا نحن الاعداء .
- كسينجر مقتنع بان المصريين سوف يعجزون عن تشغيل الاسلحة الحديثة .
- نيكسون يحاول ان يظهر عدم اهتمامه بالنفوذ اليهودي داخل امريكا .. ثم يتراجع امام نصيحة كسينجر .

الاتحاد السوفيتي لم يرفض مبادرة رومرز

كتب كسينجر :

في يناير عام ١٩٧٠ بدأت اسرائيل «غارات العمق» في مصر وشنت هجمات جوية حول القاهرة ودلتنا نهر النيل كان الهدف من هذه الغارات هو اظهار عجز عبد الناصر وارغامه على وقف ما يسمى بحرب الاستنزاف . ونقل عن جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل انها تقول لزوارها انها لا تستطيع التكهن بالمعهد الذي يصبح فيه السلام ممكنا مادام عبد الناصر يحكم مصر .



وعلى الجبهة الاردنية تزايدت سرعة الحلقة المفرغة من غارات الفدائيين والعمليات الانتقامية الاسرائيلية ووقعت اشتباكات بين اسرائيل وسوريا في الجولان .

وفي النهاية .٠ قام عبد الناصر فجأة برحلة سرية الى موسكو . وبدأت بعد ذلك مشكلات الشرق الاوسط تندمج بصورة متزايدة مع العلاقات بين الدولتين الكبيرتين .

وكانت الولايات المتحدة مشغولة في تلك الفترة بسبب خلاف خطير داخل حكومتها حول طبيعة المشكلة . وكانت فكرة وزارة

الخارجية الامريكية أن الاصل فى مصاعبنا هو نزاع العرب والاسرائيليين حول الاراضى ٠٠ وما أن تحل هذه المشكلة ، فإن نفوذ المتطرفين العرب سوف يتضاءل وكذلك الدور السوفيتى فى الشرق الاوسط .

هذا ما كان يقوله الخبراء .

وكانت هذه الاراء هى التى توجه دبلوماسيتنا خلال عام ١٩٦٩ ودفعتنا الى طرح مقترحات محددة أكثر فأكثر من أجل تسويات شاملة .

● أسباب للتطرف !

وكانت عندى شكوك خطيرة ازاء هذه الادعاءات وازاء الطريق الذى كانت تفرضه . وكان تقديرى للموقف ، كما شرحته للرئيس نيكسون فى مذكرة ، أن للتطرف العربى خمسة أسباب : غزو اسرائيل للاراضى - وجود اسرائيل نفسه - سخط اجتماعى واقتصادى - المعارضة للمصالح الغربية - المعارضة للمعتدلين العرب .

والمنصر الاول فقط هو الذى سيتأثر بالتسوية ، أما العناصر الاخرى فسوف تبقى . وستظل الرأسمالية الغربية شيئا بغيضا بالنسبة للمتطرفين ، وستظل نظم الحكم العربية المعتدلة غير مقبولة . وستبقى أسباب القلاقل الاجتماعية والاقتصادية . وستظل اسرائيل باقية هناك لى يسمى المتطرفون العرب الى ازالتها .

وكان الاسرائيليون يدركون ذلك ٠٠ لان المشكلة بالدقة هى مشكلة وجود اسرائيل وليست قضية حدود معينة لها . ولهذا كانت تجمع عن التخلي عن مكتسبات غزواتها .

● مفتاح السلام

كذلك لم أكن مقتنعا بأن النفوذ السوفيتى سوف يتلاشى حتما لحل النزاع العربى - الاسرائيلى . فالكثير يتوقف على طريقة

وتفاصيل التسوية . أن معالجة شاملة تضم جميع الأطراف ستكون بطبيعة الحال لصالح المتطرفين لأنها ستعطي لأكثر الحكومات تشددا حق الفيتو (الاعتراض) على العملية برمتها . وإذا بدا أن تسوية ما قد تحققت نتيجة للضغط أو الابتزاز السوفيتي . فإن النظم المتطرفة - بتوجهاتها المناهضة للغرب والمالية للسوفيت - سوف تندعم . وفي هذه الحالة ستعود الأراضي الى زبائن السوفيت .

كنا نحتاج للعمل . . لا من أجل أي حل . بل لكي نبرهن على أن احراز تقدم يمكن ان يتحقق بصورة أفضل بواسطة اصدقائنا وبمباراة أخرى . . ان المعتدلين هم الذين يسكون بمفتاح السلام في الشرق الاوسط .

وكنتم مقتنعا بأننا في مركز قوى يتيح لنا تلقين هذا الدرس . ووجهت النصح الى نيكسون في أوائل فبراير قائلا :

« ان الميزة التي نتمتع بها هي ان العسرب سيتحقق لديهم ان الولايات المتحدة ، وليس الاتحاد السوفيتي ، هي التي تمسك بمفتاح ما يريدونه » .

وفي اجتماع . . للجموعة العليا لاستعراض المواقف ، في ٢٥ فبراير . . قلت . . في مرحلة معينة . . سيصبح من الواضح ان الزمن لا يسير لمصلحة السوفيت . فاذا لم يستطيعوا إعادة الأراضي للغرب ، فان العرب سسوف - يعيشون اليينا ، ولذلك - يجب ألا نذعن للابتزاز . ويجب ألا تصيبننا البيانات المتطرفة الطنانة بالرعب ويمكن أن يكون الصبر هو سلاحنا . وما أن ينكسر الجمود ويتجه العرب المعتدلون نحونا حتى نتحرك بحسم لاحراز تقدم دبلوماسي .

ولكنني لم اكن في وضع يتيح لي تنفيذ مثل هذه الاستراتيجية . فقد عهد نيكسون بالشرق الاوسط الى روجرز . وكان الرئيس يمتنع عن التدخل حتى لو كان له رأي آخر . كما أنه لم يكن مقتنعا في ذلك الوقت بأن استراتيجيتي سليمة فقد كان لايزال يرى أن الاتحاد السوفيتي هو الذي انتصر سياسيا في حرب عام ١٩٦٧ . ولم يكن قد تخل عن فكرة غامضة تتعلق بمقايضة مع الاتحاد السوفيتي بين الشرق الاوسط وفيتنام . وكان نيكسون يعتبر نفسه أقل التزاما من أي شخص من الرؤساء السابقين عليه نحو الاصوات الانتخابية اليهودية فهو لا يشعر بأن لها فضلا عليه . . وكان يتوق الى اثبات أنه لا يتأثر بضغط جمهرة الناخبين اليهود . كذلك كانت لديه شكوك ازاء تأثر رأئي بالاصل اليهودي الذي انتمى اليه .

ولو كانت الامور تسير سيرها الطبيعي لكنت قد عملت على تشكيل اختيارات نيكسون الاستراتيجية والتوجيه التكتيكي للوزارات غير أنني كنت مستبعدا من القيام بذلك فيما يتعلق بالسياسة الامريكية في الشرق الاوسط حتى اواخر عام ١٩٧١ .

وهكذا كانت سياستنا في الشرق الاوسط تفتقر الى التوجيه الذي يصدر عن الفكر الواحد ، الامر الذي اعتاد نيكسون ان يطالب به . وترك نيكسون الامور تسير على غير هدى . . وهو على ثقة من انه بمساعدتي سوف يتكمن دائما من السيطرة على هذه الامور قبل ان يفلت الزمام .

وقد سمح نيكسون بقدر من حرية التصرف او الاختيار لوزارة الخارجية . . الامر الذي لم يكن متصورا ان يفعله في أى منطقة اخرى .

ولكن . . بعد كل ما قيل وما تم . . ولان معتقدات نيكسون كانت أقرب الى معتقداتي منها الى معتقدات روجرز فقد وضع الرئيس الامريكي ، الغرايل ، بالقدر الذي يحول دون تطبيق سياسة متماسكة على ابدى وزارة الخارجية .

● رسالة من موسكو

في ٣١ يناير عام ١٩٧٠ قام اناتولى دوبرنين السفير السوفيتي في واشنطن بتسليم رسالة من الكسى كوسيجين رئيس الوزارة السوفيتية للرئيس نيكسون . وقد علمنا انه تم تسليم رسائل مماثلة الى كل من هارولد ويلسون رئيس وزراء بريطانيا والرئيس الفرنسي جورج بومبيدو .

وكانت رسالة كوسيجين تحذر من أن اسرائيل قد استأنفت بالفعل العمليات العسكرية ضد الدول العربية . . وان الاتحاد السوفيتي يدرس . . الى أى مدى تم تنسيق هذه العمليات الاسرائيلية مع التصرفات الدبلوماسية ، لدول مينة ، وهي اشارة غير بارعة الا أن مقترحاتنا السلمية البريئة التي قدمناها في عام ١٩٦٩ كانت غطاء لفارات الاعماق التي تقوم بها اسرائيل في الجو . . وأضافت الرسالة أنه اذا استمرت هجمات اسرائيل ، فإن الاتحاد السوفيتي سيكون مضطرا لان يستوثق من أن الدول العربية تلك تحت تصرفها الوسائل التي تكفل مساعدتها على صد المعتدى المتصرف بالطريقة المناسبة . ودعا كوسيجين الدول الاربعة الى « اجبار »

اسرائيل على وقف هجماتها واقامة سلام دائم يبدأ بانسحاب القوات الاسرائيلية بأسرع ما يمكن من جميع الاراضى العربية المحتلة .

وقلت نيكسون تعليقاً على الرسالة ان هذا هو أول تهديد سوفيتي للحكومة الأمريكية الجديدة . ولم يهدد كوسيجين باتخاذ أى خطوة محددة ولكن قوله بأن اسرائيل يجب أن تنسحب قبل تسوية القضايا الأخرى . هو ارتداد الى الموقف السوفيتي في عام ١٩٦٧ . الامر الذي يبدو أنه تحقق في المحادثات الأمريكية - السوفيتية في الصيف الماضي . وفي نفس الوقت اعتبرت ان رسالة كوسيجين تمكس موقفاً الأقوى في الشرق الأوسط .

● مازق ومسئولية

ذلك ان سياستنا الحازمة تخلق المازق التالي أمام السوفيت : اذا لم يوافقوا على مقترحاتنا فانهم لن يحصلوا على شيء، وتقع مسؤولية التصعيد عليهم . وسيخسر زبونهم اذا أدى التصعيد الى صدام كبير . واذا وافقوا فانهم سيضطرون الى التخلي عن زبونهم وفقاً لشروطنا . ان استراتيجية الرد من جانبنا التي اقترحها يجب أن تكون بالغة الشدة في مواجهة التهديد السوفيتي . وهي الربط بين احترام اسرائيل لوقف اطلاق النار وبين احترام مسائل من جانب الطرف الآخر بما في ذلك احترام القوات غير النظامية - للطرف الآخر - لوقف اطلاق النار . وذلك للضغط على السوفيت لكي يكشفوا آرائهم فيما يتعلق بما سيلزم العرب أنفسهم به في حالة انسحاب اسرائيل .

ولاول مرة اتخذت حكومتنا موقفاً موحداً حول كيفية الرد على كوسيجين ووافق روجرز وجوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية على أننا في حاجة الى رد حازم . تم ارسال رد الرئيس نيكسون يوم ٤ فبراير يتضمن رفضاً صارماً للمزاعم السوفيتية ويشير الى أن وقف اطلاق النار قد انتهك من جانب الطرفين والى أن مصر هي التي أشعلت دائرة التصعيد عن عمد في عام ١٩٦٩ عن طريق البدء في حرب استنزاف . وحذر نيكسون في رده من أن التهديد السوفيتي بزيادة شحنات الأسلحة يمكن - في حالة تنفيذه - أن يجر الدول الكبرى بصورة أكثر عمقا الى النزاع . وجاء في الرسالة « ان الولايات المتحدة ترقب بعناية التوازن النسبي في الشرق الأوسط ولن تتردد في تقديم الأسلحة الى الدول الصديقة اذا ظهرت الحاجة » . واختتمت الرسالة برفض الموقف السوفيتي الذي يدعو

الى ضرورة انسحاب اسرائيل قبل تسوية القضايا الاخرى المتعلقة
- بالسلام .

● الرد المضاد

وفي نفس اليوم أرسلت الى الرئيس نيكسون المزيد من الافكار
حول هذه الرسالة السوفيتية .

وقد اعتبرتها بمثابة مناورة شاذة وبالتالي فانها مزعجة :

« لا بد من أن نتوقع على الاقل اننا سوف نرد على الاتحاد
السوفيتي - ان لم تكن فرنسا وبريطانيا ستردان أيضا - باننا
نفضل اعادة وقف اطلاق النار على أساس تبادل . وهكذا يكون
الرد المضاد على التحرك السوفيتي هو القاء تبعة اعادة وقف
اطلاق النار على عبد الناصر والعرب . ومن خلالهم نلقى التبعة على
السوفيت أنفسهم . » وليس علينا وعلى الاسرائيليين ،

وبعد يومين قدمت تحليلا مسهبا للرئيس نيكسون حول القضايا
الرئيسية في استراتيجية الشرق الاوسط . واعدت تأكيد وجهة
نظري : « الان بعد أن اتجه عبد الناصر الى موسكو لكي يشتمد
علينا في الضغط على اسرائيل لوقف القصف الجوي ، فانه على وشك
أن يكشف الحجز السوفيتي عن اخراجه من الورطة التي يوجد فيها ،

● ستار من الدخان

ونظرا لان رسالة كوسيجين كانت شديدة الاسهاب ولم تطلب
شيئا يمكن تنفيذه في الواقع ، فقد بدأت اقتنع بانها ليست خطوة
معزولة ولا بد أن تكون جزءا من خطة اوسع . ويكاد يكون من
المؤكد انها نذير بعمل محدد في المجال العسكري .

ولا بد أيضا من تفسير غموضها بالرغبة في تشييط الهمة في الرد
الذي قد يتدخل في قرارات سبق اتخاذها .

ونحن نعرف الان من كتاب أنور السادات « البحث عن الذات »
أنه بينما كان عبد الناصر في موسكو في اواخر يناير ١٩٧٠ . تم
اتخاذ قرار بتزويد مصر بأحدث الصواريخ السوفيتية المضادة
للطائرات .

وهكذا لم تكن رسالة كوسيجين تحذيرا بل ستارا من الدخان .
وفي الاسبوع الاول من شهر فبراير (١٩٧٠) ظهرت دلائل

هل أن السوفيت قد يرسلون اسلحة جديدة الى مصر . وأهربت
لنيكسون عن شكوكي في جدوى المعدات الحربية - وحدها - ذلك
لأنه اذا أدت الاسلحة الجديدة الى مجرد زيادة الترسانة الحربية
القائمة فسوف يجرى تدميرها بواسطة الاسرائيليين اما اذا كانت
هذه الاسلحة أكثر تطورا . فان المصريين سيمجزون عن تشغيلها
وقد أثار ذلك عندي احتالا أكثر شؤما : اذا سمى السوفيت الى القيام
بشيء فعال ضد الهجمات الاسرائيلية . فان ذلك يبدو أنه يجعل من
المقطوع به تقريبا أن تشارك في الامر عناصر سوفيتية .

وقرأ نيكسون التحليل الذي أعدته . وكتب على هامشة ما يل :

« اعتقد أنه حان الوقت للتحديث مباشرة مع السوفيت حول هذه
المسألة . ان حكمة دين اتشيسون القائلة : « دع الرماد يهدأ
ويستقر ، لا تجدى في هذه الحالة ، وموقف وزارة الخارجية
الامريكية القائم على « التفاوض من خلال أى شكل أو عن طريق
أى منبر ، لا تجدى . يجب أن نقوم بمحاولة على مستوى حديث
ثنائي مع موسكو لئرى ما اذا كان من الممكن عقد صفقة تتفق مع
مصالحنا . »

وبقصد بالاشارة هنا الى حكمة « دين اتشيسون » وزير الخارجية
الامريكي الامبق ، الرسالة التي بعث بها اتشيسون في شهر يناير
الى نيكسون والتي بحث فيها على أن نتعامل مع الشرق الاوسط عن
طريق « الاهتمام البارع الذي ينم عن الذكاء . وكان نيكسون قد
أوضح في ذلك الوقت (شهر يناير) موافقته على رأى اتشيسون .

ومن أجل تنفيذ رغبات نيكسون قمت بالتحرك على جبهتين .
وصدرت تعليمات من وزارة الخارجية الى جاكوب بيم سفيرنا في
موسكو بابلأغ أندريه جروميكو وزير الخارجية السوفيتي بأن
الولايات المتحدة مستعدة للعمل على إعادة وقف إطلاق النار وبحث
مسألة الحد من ارسال الاسلحة الى الطرفين . وكما كان متوقعا فان
رد جروميكو على (بيم) في ١١ فبراير كان ابداء عدم الاهتمام
بالاقتراح . وقال ان الاتحاد السوفيتي لا يستطيع أن يبحث وقف
إطلاق النار ما لم تكف اسرائيل أولا عن غاراتها في العمق . .
وأوضح أنه لا يمارض مناقشة الحد من الاسلحة ولكن ليس مع
استمرار بقاء اسرائيل في الاراضى العربية التي تحتلها . وبمباراة
أخرى فان على اسرائيل أن تنسحب من جميع الاراضى المحتلة في

عام ١٩٦٧ ٠٠ وكل ذلك يمكن تسويته - كما قال - في المحادثات
الثنائية بين الدولتين ، والاتحاد السوفيتي مستعد لاستئناف هذه
المحادثات .

● اخطر انواع القلق

ومما لاشك فيه أن أحد اسباب مراوغة جروميكو هو أن الاتحاد
السوفيتي كان يدرس بالفعل اصدار بيان أقوى عن الموقف الامريكي
٠٠ فقد حدث في اليوم السابق (١٠ فبراير) اننى التقيت -
بالنيابة عن الرئيس نيكسون - مع السفير دوبرين ٠ ولم يكن
السوفيت عند اجتماع بيم مع جروميكو قد انتهوا من تحليل رسالتى
وقلت لدوبرين (نريد من الزعماء السوفيت أن يعرفوا أن
ادخال جنود مقاتلين سوفيت الى الشرق الاوسط سوف ينظر اليه
بأخطر درجات القلق) وقد اخترنا هذا الاسلوب في الاتصال لاننا
لم نكن نريد مواجهة رسمية ٠ وفى نفس الوقت أبلغت دوبرين -
بناء على تعليمات نيكسون - برغبتنا في أن نبدا مناقشات ثنائية
حول الشرق الاوسط عبر القنوات الخاصة بيننا ٠

ولم يكن دوبرين يضيع فرصة عقد اجتماع معى حتى لو كان
لا يحمل تعليمات ٠ وهذا ما حدث فى تلك المرة ٠ فقد اعترض على
اذاعة أنباء رسالة كوسيجين (الامر الذى تسبب فيه السوفيت
أنفسهم عن طريق قيامهم بازسالة رسائل مماثلة الى باريس ولندن)
كما اعترض على الموقف العلنى الذى اتخذته وزارة الخارجية التى
قال انها فسرت رد موسكو على مشروع روجرز تفسيراً خاطئاً واعتبرت
أن هذا الرد هو الرفض ٠

وهذا التفسير الجديد الذى قدمه دوبرين قد غاب بوضوح عن
كل شخص قرأ مذكرة موسكو التى أرسلت فى شهر ديسمبر بما
فى ذلك كاتب هذه السطور ٠ كما أن السوفيت لم يعارضوا من
قبل تفسيرنا لموقفهم على أنه رفض لمشروع روجرز ٠

● خطة الطوارئ

ولم نسمع أى شئ آخر من السوفيت طوال قرابة شهر ٠ وقمت
باستغلال فترة الاستراحة فى اعداد خطة الطوارئ لمواجهة احتمال
تحرك سوفيتي ما له أهميته ٠٠ بما فى ذلك بالتأكيد ادخال قوات
عسكرية الى الشرق الاوسط ٠

وكشفت الاجتماعات المتعددة لمجموعة الاعمال الخاصة لواشنطن
عن انقسامات في الرأي .

كانت وجهة نظري أنه اذا ادخل السوفيت قوات عسكرية فانه
ليس أمامنا اختيار سوى المقاومة . ولم يكن في وسعنا أن نقبل
بوجود عسكري سوفيتي جديد كما لم تكن مستعدين لرؤية
المتطرفين العرب وقد حصلوا - ربما - على دفعة حاسمة وأردت
القيام باستمرارنا لنعططنا في حالة تهديد السوفيت لاسرائيل بمصل
انتقامي . كذلك طلبت اتخاذ اجراءات لمنع استنزاف السلاح
الجوي الاسرائيلي في حالة ادخال السوفيت معدات متطورة تتولى
نفس عناصرهم تشغيلها .

● اللوم .. لاسرائيل

كانت جميع الوزارات في الولايات المتحدة أقل حماسا . معظم
من هم في الحكومة القوا اللوم على التعتن الاسرائيلي باعتباره سبب
تجمد الموقف . الجميع (باستثناء كاتب هذه السطور) كانوا مقتنعين
بان معونة ضخمة جديدة لاسرائيل يمكن - في هذه الظروف -
ان (تنسف المنطقة وتحولها الى شظايا) . أما عن خطط الطوارئ ،
فان احدا لم يستطع أن يفكر في عذر مقبول لمقاومة الجهد الذي
يستهدف الاعداد للمستقبل ، ولكن .. كان من الواضح أن القيام
بأي عمل عسكري مضاد لتحرك سوفيتي كبير سوف يصطدم بمقاومة
بيروقراطية مكثفة .

وقدمت وزارة الدفاع الامريكية مذكرة رسمية تؤكد فيها على أنها
تفضل اختيارات سياسية .. مما يعني - كما هو الحال في فيتنام
- ان وزارة ما أخرى يجب أن تتحمل العبء والمخاطرة . ولم تفسر
المذكرة الكيفية التي سنحقق بها انسحابا اسرائيليا كاملا (وهو
الاختيار السياسي الوحيد المطروح على المائدة) أو الكيفية التي لن
يبدو فيها هذا الانسحاب نتيجة لضغط سوفيتي في حالة ظهور
أفراد مقاتلين سوفيت في المنطقة .

● اسباب المصاعب

ووافق نيكسون على تحليل الجغرافي .. السياسي .

وكتب تعليماته على احدى مذكراتي :

(رغم أن السياسة المتوازنة هي الصواب .. الا أن مصلحتنا

فوق كل شيء، تكمن فيما يشتر للسوفيت أشد المتاعب .. لا تدعوا
النزاع العربي الاسرائيلي يحجب هذه المصلحة) .

وفي نفس الوقت كان نيكسون يميل الى اداء وزارة الخارجية
الامريكية التي تقول ان سياسة اسرائيل هي السبب الرئيسى في
المصاعب . وكان يتشكك فى ان انكشاف العجز السوفيتى عن
احراز تقدم سوف يحرر العرب من الاوهام .

وكتب نيكسون ملاحظة على مذكرة اشترت فيها الى هذا الاحتمال .
وكان نص هذه الملاحظة :

« اننى اختلف تماما مع هذا الاستنتاج فالسوفيت يعرفون ان
العرب يكثرون من الكلام . لقد كنا نتباهى « بهزائم » السوفيت
فى الشرق الاوسط منذ عام ١٩٦٧ وقالت وزارة الخارجية ان حرب
يونيو كانت هزيمة للسوفيت . انها لم تكن كذلك . فقد اصبحوا
اصدقاء العرب .. والولايات المتحدة عدوهم . واستمرار هذه الحالة
على المدى الطويل يخدم مصلحتهم » .

وبطبيعة الحال كانت المشكلة هي كيفية التوفيق بين الملاحظتين
اللتين كتبهما نيكسون .. اى كيف نثر المتاعب للسوفيت بينما
نتركهم يظهرهم باعتبارهم القوة السائدة فى المنطقة عند ادخال
قوات مقاتلة .

● نيكسون واليهود

ولم يحسم نيكسون هذه المشكلة بالتفكير المجرد .. مفضلا
الانتظار الى ان تنشأ الحاجة لاتخاذ قرار . وكما كان يقع دائما فى
حيرة امام الخلافات بين مساعديه او مرؤسيه .. حدث نفس
الشيء بالنسبة للمضاعفات الداخلية لازمة الشرق الاوسط . وكان
الرئيس مقتنعا بان معظم زعماء الطائفة اليهودية قد عارضوه خلال
حياته السياسية كلها . وكان يقول فى دعاية ان النسبة الضئيلة
من اليهود التى ادلت بصوتها لصالحه فى الانتخابات يجب ان تكون
من الجنون المفرط لكى تفكر فى احتمال استمرار التشبث به حتى
فى حالة تحوله ضد اسرائيل ! وكان يشعر بسرور وهو يقول
لمساعديه وزواره ان « اللوبي » (مراكز الضغط) اليهودى
ليس له تأثير عليه . فهو يريد ان يسرهن - ربما لنفسه - انه
متحرر من التأثيرات التقليدية التى تعرض لها الرؤساء الآخرون .
ولكنه فى نهاية الامر - بعد قدر كبير من الالم والمناورات - كان

ينتهج السياسة التي تتفق مع المصلحة القومية ويسير على نفس الاستراتيجية ٠٠ لتقليص النفوذ السوفيتي واضعاف مركز الطرفين العرب وتشجيع العرب المتدلين وضمان أمن اسرائيل ٠ وهكذا كنا - انا ونيكسون - نفترق في جزء من الطريق ٠٠ ولكن في لحظات اتخاذ القرار حول الشرق الاوسط كنا نلتقي ونتفق ونعمل في جو من التأييد المتبادل لبعضنا البعض ٠

● طلبات الاسلحة

وخلال شهر فبراير كانت طلبات القائمة السنوية للمساعدة العسكرية لاسرائيل موضع بحث الحكومة ٠ وفي عام ١٩٧٠ بلغت ٢٥ طائرة فانتوم (ف - ٤) من قاذفات القنابل المقاتلة ومائة طائرة قاذفة هجومية من طراز سكاي هوك (أ - ٤) وعددا ضخما من الدبابات وناقلات الجنود المصفحة ٠٠ وكل ذلك يتم دفع ثمنه بأشكال متعددة من القروض الامريكية ٠

واجمعت كل الوزارات الامريكية على أن اسرائيل تستطيع الاحتفاظ بتفوقها العسكري خلال فترة تتراوح بين ٣ - ٥ سنوات دون الحاجة الى شحنات جديدة كبيرة من الاسلحة وكان هذا ايضا تقدير وتقييم الوكالات الامريكية المتخصصة ٠

وكما اثبتت الاحداث بعد ذلك فان حرب ١٩٧٣ في الشرق الاوسط برهنت على أنه حتى بعد الشحنات العسكرية الضخمة لاسرائيل في الفترة من ١٩٧٠ - ١٩٧٣ ٠٠ فان التوازن العسكري في الشرق الاوسط أصبح هشاً بصورة أكبر مما كان يتنبأ بها المحللون عندنا ٠

وكان الاتجاه العام في الجهاز البيروقراطي بالامتناع عن ارسال شحنات جديدة من الاسلحة الى اسرائيل قد تدعم ٠٠ بسبب رسائل تحذير من اصدقائنا في العالم العربي مثل ملك المغرب وملك الاردن ٠

وفي نهاية فبراير قام الرئيس الفرنسي جورج مومبيدو بزيارة للولايات المتحدة ٠٠ للتحدث معنا في أزمة الشرق الاوسط ٠٠ وفيجأة وقعت أزمة عنيفة بين نيكسون والمنظمات اليهودية الامريكية !

أسرار جديدة وراء مبادرة روجرز

يتضح من كلمات كسينجر للتاريخ - من وجهة نظره - أن روجرز وزير الخارجية الأمريكية كان رجلا فاضلا ، وكان مقتنعا بأن أمريكا يجب أن تتحرك نحو اقرار السلام ، وأن تثبت وجودها لصالحها ، بدلا من أن تترك عبد الناصر معتمدا على السوفيت بما يدعم نفوذهم .. وأن التمنت الاسرائيل هو سبب الفشل المستمر لمحاولات السلام .. وليس الوجود العسكري السوفيتي .



أما سيسكو ، الرجل الثانى فى وزارة الخارجية الامريكية حينئذ ، فقد استطاع أن يلعب على الحبلين . ولم يكن فى استقامة روجرز . كان يرضى روجرز من ناحية ، وكان فى الوقت نفسه يرضى كسينجر ، الذى كان يدافع دفاعا كاملا عن الموقف الاسرائيلى ، مهما وجه الى زعمائهم أو أسلوبهم السياسى من نقد .. وكان يؤيد اسرائيل فى أن الوجود السوفيتى على الارض المصرية هو العقبة أمام السلام .. بل بالغ فى ذلك الى حد أن تصور - خطأ أم خبثا - أن الاتحاد السوفيتى سيحارب بقواته ، وسيحرر الارض بالنيابة عن مصر .. وأن ذلك مثير للخطر ، وقاتل لاي استراتيجية للسلام

الدائم .. وأن مصر المهزومة لا يمكن أن تفرض شروطها ، حتى أنه دعا الى ارسال قوات أمريكية الى الشرق الاوسط في عام ١٩٧٠ - قبل وفاة عبد الناصر - لحاية اسرائيل . ورفضت ذلك وزارة الدفاع الامريكية . وكان في الوقت نفسه يلعب بورقة أن الاتحاد السوفيتي وحده عاجز عن فرض أى سلام .. وأن عبد الناصر سوف يكتشف بنفسه عجز موسكو عن أن توصله الى أى حل .

● الرجل الحائر :

أما نيكسون - في مذكرات كسينجر - فهو الرجل الحائر ، الذي كان يريد أن يتحرر من الضغط الصهيوني ، ويريد أن يثبت أنه ليس في حاجة الى أصوات اليهود في الانتخاب .. وهو الذي اختار روجرز لوزارة الخارجية ، وأبعد كسينجر مستشاره للامن القومي عن مشكلات الشرق الاوسط .. ولكننا نرى - في المذكرات - أن نيكسون كان يتراجع أخيرا ، أمام تأثير كسينجر عليه الذي يمتزف بأنه فرض نفسه على الازمة .. وقوض كل جهود روجرز .. وقرب سيسكو اليه .. وكان نيكسون يتراجع أيضا أمام الضغط الصهيوني لدخول أمريكا ، ومن اسرائيل .. ويلغى القرارات التي أصدرها . وكان أيضا لا يريد انتصارا للنفوذ السوفيتي .. بل كان يريد أن يساوم السوفيت بمساعدته في حل ازمة فيتنام ، مقابل مسأيرته لهم في التحدث باسم مصر في اجراءات السلام .



ففي صفحات هذا الفصل .. من كتاب كسينجر .. نجد أن نيكسون فقد أعصابه عندما أهانت المظاهرات اليهودية الصهيونية ضيفه بومبيدو الرئيس الفرنسي في مدينة شيكاغو .. ووصل الامر الى اهانة زوجة بومبيدو .. وأراد نيكسون أن يعاقب اسرائيل على هذه الاهانة ، فأصدر على الفور قرارا بالغاء صفقة أسلحة الى اسرائيل .. وتلقف روجرز هذا القرار ، وأعد كل الاجراءات لتنفيذه ولكن نيكسون يتراجع .. ولا يكتفي بالغاء قراره ، بل أنه يقرر زيادة شحنات الاسلحة الى اسرائيل .. وينسب كسينجر هذا التحول الى تأثيره على نيكسون بالحجة والاقناع !

● حتى خطاب الدعوة :

وتماذى كسينجر في هذا الى أقصى الحدود ، حتى أنه فسر خطاب عبد الناصر في أول مايو ١٩٧٠ الذي توجه به الى الرئيس نيكسون

من أجل السلام .. بأنه خطاب يؤكد به عبد الناصر تدهور الموقف الأمريكي .. ويتهمها بأنها تريد أن تفرض على مصر شروط الاستسلام .. والحقيقة أن خطاب عبد الناصر في ذلك اليوم ، كان أول خطاب معتدل لا يتناول أمريكا فيه بالهجوم أو بالتهديد بأن تشرب من مياه البحر الأبيض والبحر الأحمر .. بل كان يناشد فيه نيكسون أن يتدخل وأن يملأ بكل الوضع .. هل هو راغب في حل الأزمة .. أم هو عاجز عن حل الأزمة .

وقد ألقى عبد الناصر هذا الخطاب لكي يفتح الباب أمام تفاهم مصرى أمريكى بعد أن يشس تماما من الموقف السوفيتى ، وبعد أن اقتنع أن أوراق اللعبة في يد أمريكا .

وكنا في ذلك الوقت نعطى الاتحاد السوفيتى كل حقوق التحدث باسمنا مع أمريكا .. ومهما كانت قوة متابعتنا لما كان يجرى بين واشنطن وموسكو .. فأننا كنا نتلقى كل المعلومات من جانب واحد هو الاتحاد السوفيتى .. وكنا نرى في الوقت نفسه بوادر تحركات أمريكية من أجل اجراءات السلام ولكنها تحركات متعنتة .. لاننا نتحدث ونصرخ ونهاجم من موقف ضعف . نحن مهزومون .. ونحن نترك التفاوض باسمنا ، لوصى علينا هو الاتحاد السوفيتى .

وكما قلت .. أن عبد الناصر لم يفرط .. بل كان الرجل يعيش أقصى أوقات حياته ، فهو ميت روحا بعد هزيمة ٦٧ المنكرة .. والمرض الخطير يهدد جسده ، وصحته تتهاوى ، والاطباء السوفيت يعرفون حقيقة مرضه .. ولذلك فقد أعدوا العدة - مقدما - للتعامل مع من اختارهم لخلافته .. ورغم أن عبد الناصر كان متاورا ممتازا - كما يقول السادات في « البحث عن الذات » .. ولكن أوراق المناورة أفلتت من يديه .. وأصبح في حالة عجز .. ولم يكن عبد الناصر يريد أبدا أن يكون عاجزا .. فهو زعيم الصالح العربى ، وهو مفجر القومية العربية .. وهو الذى حول هزيمة ٥٦ العسكرية الى انتصار سياسى أسقط ايدن فى بريطانيا وأسقط موليه فى فرنسا .. وهو رمز كل حركات التحرير .. وكل ذلك يريد أن يحتفظ به عبد الناصر .. ولكن كيف ؟! ..

● اسرار جديدة عن مواقف السوفيت :

وماذا نرى من موقف الاتحاد السوفيتى فى هذه الصفحات الجديدة من مذكرات هنرى كيسينجر ؟ ..

اننا نرى بكل الوضوح أنه كان يلعب بكل الاوراق ٠٠ لا يريد أن يصل بالموقف الى حافة الهاوية ، لانه سيتحمل مسئولية ذلك ٠٠ والاتحاد السوفيتى لا يريد لنا أن نحارب ٠٠ وبعد أن أوقف حرب الاستنزاف ٠٠ وبعد أن تولى أنور السادات المسئولية ٠٠ كان أكبر خبراء السوفيت يقولون لنا أن تحطيم خط بارليف يحتاج الى قنبلة ذرية ٠٠



كان الاتحاد السوفيتى اذن يريد أن يحقق أى انتصار من أجل السلام ، يدعم به موقفه ونفوذه أمام مصر والامة العربية ٠٠ ولكنه فى الوقت نفسه يعرف قدراته ٠ ولذلك فهو يرسل الانذارات العنيفة المجلجلة ٠٠ ولكنه يتراجع بدبلوماسية وعلى الفور ، أمام أى رد أمريكى حازم ٠

وفى صفحات هذا الفصل ٠٠ نرى أن أنا تولى دوبرينين السفير السوفيتى يعرض على كسينجر المقترحات تلو المقترحات ٠٠ التى تحمل تراجعاً بعد تراجعاً ٠٠ وكل ما يريده أن يكون له دور فى أى حل سلمى تملكه أمريكا ٠٠ أو تملك على الأقل كل الوسائل اليه ، سواء شاءت أن تستخدمها أو لم تشأ ٠

وأدلة ذلك :

● عرض الاتحاد السوفيتى فى لقاءات دوبرينين مع كسينجر أن موسكو تقبل طلب أمريكا وقف إطلاق النار (فى حرب الاستنزاف) اذا أوقف الاسرائيليون عمليات القصف الجوية ٠ على أن يتم ذلك بصورة غير معلنة ٠

● أعرب دوبرينين لكسينجر عن سعادته لان موسكو صرحت له أن يستأنف المباحثات الثنائية مع روجرز وزير الخارجية الأمريكى ٠

● بل انه أعطى كسينجر مقدمة مشجعة ، عن تنازلين سيقدمهما الاتحاد السوفيتى فى هذه المباحثات الثنائية ٠

التنازل الاول : هو أن التسوية فى الشرق الاوسط لن تقتصر على حالة انتهاء الحرب بل تقيم حالة سلام ٠ ومعنى هذا التنازل هو استعدادنا لعقد معاهدة سلام مع اسرائيل ٠

التنازل الثانى : هو امكانية أن تتعهد الحكومات العربية



دوجرز

اجرى حديثا في اوربا احتج فيه
على ان كسينجر نفس مبادرته السلمية



نيكسون

ابلقني على انفراد انه يجب استخدام
الاختلاف كدريمة لسحق الفدائيين ولكن
لم يقل ذلك في الاجتماع الرسمي ..

بالسيطرة على عمليات قوات الفدائيين من اراضيها .. ومعنى هذا
التنازل هو اغراء امريكا ، بان اى عمل فدائي فلسطيني سوف
يتوقف .. وبذلك يعطى الفرصة لامريكا ان تتحرر من الضغط
الاسرائيلي عليها بنوايا الفلسطينيين اباداة اسرائيل .

● استغلال الفرصة :

ويعلق كسينجر على هذه التنازلات التي قدمها الاتحاد السوفيتي
بما جاء في مذكراته الى نيكسون ، بان السياسة الصلبة الامريكية
اثبتت نجاحها .. ووصف كسينجر هذه التنازلات بانها « هامة »
.. واستغل كسينجر الفرصة واقنع نيكسون انه ليس من المعقول
ان تطلب امريكا من اسرائيل قبول وقف اطلاق النار ، دون امدادها
بمزيد من السلاح .. وفي نفس اليوم وافق نيكسون على اقتراح
كسينجر على تقديم ٨ طائرات فانتوم و ٢٠ طائرة سكاي هوك .



وكنا في ذلك الوقت نستصرخ الاتحاد السوفيتي ان يفى
بتمهدياته نحونا ، وأن يكمل الاسلحة الناقصة .. ولا نسمع جوابا .



ولكن اسرائيل لم تقنع بما قدمه نيكسون .. بل جاء رابري

سفيرها بعد أن زار القدس ، وطالب بمضاعفة كميات الأسلحة الأمريكية التي تقدم إلى إسرائيل على سبيل التمييز (أى مجاناً)
وصدور بيان رسمي من نيكسون يؤكد على المحافظة على قوة إسرائيل الجوية وعلى التوازن العسكري في الشرق الأوسط .. الذي كان يصوره الإسرائيليون تصويراً كاذباً ومخيفاً .. بسبب التواجد السوفيتي على أرض مصر .

● ولم يستك كسينجر على التواجد السوفيتي العسكري في مصر .. وأراد أن يفرض شروطه على الاتحاد السوفيتي .. واعتبر إرسال صواريخ سام .. وكأنها أزمة الصواريخ الكوبية (وهذا هو تعبيره) .. فكان الرد من السفير السوفيتي في ٧ أبريل ١٩٧٠ ، هو عرض دبلوماسي بأن يقتصر وجود الأسلحة السوفيتية على الاسكندرية والقاهرة وأسوان فقط .. أى دون منطقة القناة التي كان يجري منها قتال الاستنزاف .

● لعبة الصواريخ :

وبدا كسينجر يلعب لعبة الصواريخ مع إسرائيل .. وأصبحت المعلومات التي تقدمها إسرائيل عن قواعد الصواريخ هي المعلومات المصدقة .. وأن السوفيت يقاتلون نيابة عن المصريين .. وحصل كسينجر على تفويض من نيكسون بإبلاغ رابين في ٣٠ أبريل ١٩٧٠ بأن أمريكا ستزود إسرائيل بالمزيد من الطائرات .. رغم قرار نيكسون السابق . وذلك على الرغم من أن جميع أجهزة المخابرات الأمريكية قد أجمعت على أن المهمة السوفيتية في مصر .. هي مهمة دفاعية بحتة كما يقول كسينجر في مذكراته ! .. حتى روجرز الرجل الفاضل المستقيم ، تراجع واستدعى السفير السوفيتي - دون أن يحيط نيكسون أو كسينجر علماً به - وقال له أن الوجود السوفيتي في إطار ٣٠ كيلو متراً من القناة ورغم إعلان الاتحاد السوفيتي بأنه سيبقى عملاً دفاعياً .. هو دعم لسياسة انتهاك وقف إطلاق النار .. يمكن أن يؤدي إلى تصعيد خطير لا يمكن التنبؤ بمواقبه ، ولا يمكن أن تقف الولايات المتحدة تجاه هذا التصعيد موقف عدم الاكتراث .

ومع ذلك فقد اعتبر كسينجر هذا البيان من روجرز وكأنه أعطى شيكاً على بياض للاتحاد السوفيتي بالوجود العسكري في كل أنحاء مصر باستثناء منطقة القناة .

وقد رأينا قبل ذلك أن الاتحاد السوفيتي عرض هذا التنازل على كسينجر .

ثم جاءت مبادرة روجرز بوقف إطلاق النار لمدة ٩٠ يوما ، وأجراء مفاوضات غير مباشرة عن طريق الوسيط الدولي يارنج ٠٠ ومع المبادرة تمهد أمريكي لإسرائيل بالمزيد من الامداد الشهرى بالطائرات المقاتلة !

● اشركونا معكم :

وكان كل هم السفير السوفيتي دوبرينين ، أن يتهرب من الاسئلة الامريكية عن استمرار الوجود السوفيتي في مصر ٠٠ وأعلن غضبه لان هناك محاولة أمريكية (من جانب واحد) للانفراد بالعمل الدبلوماسي في الشرق الاوسط ٠٠ وقد قرأنا من قبل أن السفير السوفيتي أبلغ البيت الابيض أن وزارة الخارجية الامريكية قد اخطأت عندما فهمت أن موسكو رفضت مشروع روجرز !

ولكن كسينجر مع ذلك استطاع أن يؤثر على نيكسون لكي يعزى حديثا تليفزيونيا يتفق مع آراء كسينجر ٠٠ وكان الرجل الطيب ووجرز - في أوروبا - واحتج بحرارة ، وأعلن أن مبادرته قد نسفت ٠٠ واتهم سيسكو بالاشتراك في مؤامرة النسف التي دبرها كسينجر ونفذها نيكسون .

وماذا جرى بعد ذلك ؟ ٠٠

اعتدلت لهجة السفير السوفيتي دوبرينين في اجتماعين مع كسينجر (٧ و - ٩ يوليو) ٠٠ وأبدى روح التعاون ٠٠ وقال أن موسكو لديها الكثير لتقوله .

٠٠ وأخيرا ٠٠ وبعد كل هذا الذي جرى من السوفيت ٠٠ وبعد أن تأكد عبد الناصر أن أمريكا هي المسيطرة الحقيقية على الموقف ٠٠ أعلن عبد الناصر في ٢٢ يوليو الموافقة على مبادرة روجرز ٠٠ وقف إطلاق النار والتفاوض .

ويصف كسينجر هذا الاعلان من عبد الناصر بأنه جاء مفاجأة لأمريكا !!



وأعود فأقول .. لكل أبناء الشعب العربى .. اقرأوا هذه
الحقائق جيدا .. لتعرفوا وتؤكدوا وتؤمنوا أن الطريق الذى اختاره
السادات للسلام .. كان هو الطريق الذى بدأه عبد الناصر وانتهى
الى الفشل ، لاقتناع الجميع أننا جثة هامدة .. وأننا فى موقف
الضعف .. ولاقتناع أمريكا أن التهويش السوفيتى لن يجدى ..
وكانت حرب أكتوبر التى قلبت كل الموازين .. وكانت مبادرة
السلام التى حققت المستحيل .. وفتحت كل الابواب المغلقة .

ولعله يتأكد لنا ، بكل الوضوح .. وبعد كل هذا .. لماذا يعارض
الاتحاد السوفيتى مبادرة السلام .. ولماذا يتآمر ضد مصر ..
ولماذا يحرك « صبيانه » فى المنطقة العربية فى محاولة يائسة فاشلة
.. لتدمير الصرح الجبار .. صرح السلام .

نيكسون يتراجع أمام اليهود .. وموسكو تتراجع أمام واشنطن

- موسكو تقترح على واشنطن تسوية في الشرق الأوسط لاقامة حالة سلام وليس مجرد انها، حالة الحرب .
- موسكو تسمى الى أن تتعهد الحكومات العربية بالسيطرة على عمليات الفدائيين .
- نيكسون يقرر عقاب اسرائيل بالغاء صفقة اسلحة بعد مظاهرات اليهود في امريكا ضد بومبيدو ..
- وزارة الخارجية تؤيد نيكسون بحماسة ..
- .. ولكن نيكسون يتراجع أمام نصيحة كسينجر .
- ثم يقرر نيكسون بعد ذلك زيادة شحنات الاسلحة لاسرائيل !
- موسكو مستعدة أن يقتصر وجود السلاح السوفيتي على الاسكندرية والقاهرة واسوان فقط !

نيكسون يتراجع أمام اليهود وموسكو تتراجع أمام واشنطن

كتب كسينجر :

في نهاية شهر فبراير ١٩٧٠ جاء الرئيس الفرنسي بومبيدو في زيارة رسمية للولايات المتحدة . وكان الرئيس الأمريكي نيكسون يعلق أهمية كبرى على هذه الزيارة .



لم تكن لدى بومبيدو حساسية تجاه رد الفعل المحلي داخل الولايات المتحدة . وربما لم يكن يكثر بهذا الأمر . . . ولذلك أنهى في الشهر السابق على الزيارة صفقة مع الحكم الجديد في ليبيا لبيع مائة طائرة ميراج على مدى أربع سنوات . . . وفي الحقيقة أن ليبيا لم تكن في حاجة لثل هذا العدد من الطائرات . وفي ذلك الوقت لم يكن في ليبيا كلها طيارون يستطيعون قيادة طائرات حديثة سوى عدد محدود . ومن الواضح ان هذه الطائرات سوف تستخدمها دول عربية أخرى وعلى الأرجح مصر . . . وكما هو متوقع احتج مؤيدو إسرائيل في الكونجرس الأمريكي . . . بقوة وجرت مظاهرات في كل مدينة زارها بومبيدو وقرينته . . . ووقع حادث فظيع في مدينة شيكاغو حيث أهان بعض المتظاهرين قرينة الرئيس الفرنسي . وقطع بومبيدو فجأة زيارته لشيكاغو وعاد الى نيويورك . وظهر احتمال بأنه سيلغى أقامته في نيويورك أيضا ويستقل الطائرة الى فرنسا . ولم يتخلص بومبيدو أبدا من آثار هذا الحادث الذي لا يمكن تبريره . كما كان للحادث تأثيره على موقفه من الولايات المتحدة فيما بعد .

● نيكسون ينتقم من اليهود

واحتدم نيكسون غيظا . وطار فجأة الى نيويورك لحضور عشاء أقيم تكريما لبومبيدو والقي خطابا حارا في تحية الضيف . وكان الاجراء الانتقامي هو اصدار أمر رئاسي الى وزارة الخارجية مباشرة عن طريق جوزيف سيسكو وكيل الوزارة (وذلك ليتجنب ان يتم الامر عن طريقى) بارجاء النظر فى صفقة الاسلحة الامريكية لاسرائيل الى اجل غير مسمى . ولو كان نيكسون قد أخذ مشورتى لكنت قد عارضت بالتأكيد معاقبة دولة اجنبية على تصرفات اقلية امريكية وبالتالي اغراء الاتحاد السوفيتى بأن يطلق يده .

وتردد نيكسون بعد ساعات من الامر الذى اصدره الى سيسكو وطلب من مساعده هولدمان ابلاغى بأن قراره غير نهائى .

وقد حذرت هولدمان من أن تصرف الرئيس قد زاد من فرصة حدوث انفجار فى الشرق الاوسط . فاكده لى أنه سيتم اصلاح الامر . .

● غرائب البيروقراطية

عندما تتلقى وزارة الخارجية أمرا يوافق عليه جهازها البيروقراطى . . تتحول بصورة عجيبة الى مؤسسة فعالة . . وعندما ترغب فى استنفاد طاقة الرؤساء الذين لايسايرون رغباتها . . فان مسودات المذكرات تتجول فى قنواتها ودهاليزها التى تشبه المتاهات لعدة أسابيع بل وشهور . أما اذا تلقت تعليمات تعتبرها حكيمة من وجهة نظرها . فان الاعمال المكتبية تجد من ينجزها فجأة خلال ساعات وتتحول البيروقراطية الى شيء رائع .

وهكذا . . بعد ٣٦ ساعة من صدور أمر نيكسون الى سيسكو . . بعث وليام روجرز وزير الخارجية بمذكرة الى نيكسون لابلغته بأن كل شيء معد بالتفصيل (لتنفيذ السيناريو الكامل لتنفيذ قراركم بأن تؤجل الآن مسألة الطائرات الاضافية الى اسرائيل) .

وأثناء نقل مذكرة روجرز للرئيس نيكسون . . تحدثت مع الرئيس حول المضاعفات التى ستحدث بالتأكيد داخل الولايات المتحدة نتيجة هذا الموقف ، كما أن قراره سيتخذ فى الخارج شكل الانصياع للضغط السوفيتى مهما انكرنا ذلك .

واقترحت تعديل توصيات روجرز لتخفيف الضربة الموجهة لاسرائيل لتكون على النحو التالي : اما أن نوافق على تعويض اسرائيل عن الطائرات التي خسرتها في الفترة من ١٩٦٩ حتى ١٩٧١ (في اطار عدد معين من الطائرات) حتى لا يتوافر لديها الحافز للقيام بغارات تكلفها الكثير واما أن نبقى على خط انتاج الطائرات مفتوحا وان نخصص عددا محددا من طائرات فانتوم وسكاى هوك التي يمكن تسليمها الى اسرائيل على الفور وذلك في حالة دخول مكثف للأسلحة السوفيتية الى المنطقة يعرض التوازن العسكري للخطر .

● تنازلات من موسكو

في العاشر من شهر مارس عام ١٩٧٠ جاء اناطولي دوبرينين السفير السوفيتي في واشنطن حاملا رد الكرملين على التحذير الذي سبق أن وجهته في ١٠ فبراير بشأن ادخال قوات سوفيتية الى الشرق الاوسط . كانت ملامح الرجل تنطق بالركة والوداعة .

حول نصائح امريكا بوقف اطلاق النار . . ابلغني باقتناع زعمائه بأنه (اذا أوقف الاسرائيليون عمليات القصف الجوية لمصر ، فإن مصر ستظهر من جانبها ضبط النفس في تصرفاتها دون أية بيانات رسمية بهذا المعنى . . بطبيعة الحال) .

وبعبارة اخرى ، فقد كان دوبرينين يعرض وقف اطلاق النار واقميا على جبهة قناة السويس . وعلاوة على ذلك . . فقد اعرب دوبرينين عن سمادته بالاعلان عن التصريح له من موسكو باستئناف المحادثات الثنائية مع روجرز . واعطاني فكرة عامة تمهيدية عن (تنازلي) سيرعهما في هذه المحادثات :

أولا - تسوية في الشرق الاوسط لا تقتصر على انتهاء حالة الحرب بل تقييم حالة سلام .

ثانيا - أماكن تعهد الحكومات العربية بالسيطرة على عمليات قوات الفدائيين من أراضيها .

في الشرق الاوسط . . تطرح فكرة التسوية السلمية التي تقر السلام . . بكل جدية على اعتبار انها (تنازل) . . رغم أن مطالبة اسرائيل بالانسحاب من كل الاراضي المحتلة دون تقديم ما من شأنه أن يكون طبعيا بين معظم الدول - اي السلام - سيكون أمرا سخيفا . . كما أن الالتزام بانهاء هجمات الفدائيين بعد أقرار السلام يوصف بأنه تضحية .



بومبيدو وفريته
قطع بومبيدو فجاء زيارته لشيكاغو وفكر في العودة الى
فرنسا بعد ان اهان المتظاهرون اليهود فريته . ولم ينس بومبيدو
ابدا هذا الحادث ..

ومع ذلك فقد كان العرض الذي قدمه دوبرينين بوقف إطلاق النار يبدو من الأهمية بحيث يحول بيني وبين ملاحظة أن السوفيت لم يردوا على المسعى الأساسي الذي قمت به في اجتماع العاشر من فبراير (التحذير الذي وجهته من ادخال قواتهم العسكرية الى المنطقة) وسبب اغفال هذا الموضوع سيتضح في القريب العاجل .

وقدمت الى الرئيس نيكسون تقريرا عن حديث دوبرينين معي والذي اتضح انه تسبب في تفاؤل سابق لاوانه :

(قدم دوبرينين عددا من التنازلات الهامة .. في مفاوضات حول مصر وهي تعني ان سياستنا القائمة على الصلابة النسبية تؤتي ثمارها بصدد جميع المسائل المتنازع عليها .. ان الاتحاد السوفيتي أقدم على خطوة أولى .. ورغم انها قد تكون غير كافية .. الا انها أظهرت على الأقل ان ثباتنا في موقفنا وعدم تقديم تنازلات هو الطريق الصحيح)

وكان رد فعل الرئيس نيكسون لهذا الموقف السوفيتي اللين في الظاهر هو تعديل قراره الاصل حول المعونة العسكرية لإسرائيل في نفس الوقت الذي نرفض فيه طلباتها من الأسلحة . وفي نفس اليوم وافق نيكسون على اقتراحى بتعويض الحسائر في الطائرات

الاسرائيلية عن طريق تقديم ثمانى طائرات فانتوم وعشرين طائرة
سكاي هوك فى عام ١٩٧٠

● اكتشاف جديد

وفى ١٢ مارس اجتمعت مع اسحاق رابين السفير الامريكى فى
واشنطن وابلفته باقتراح دوبرينين حول وقف اطلاق النار وبقرار
نيكسون حول الاسلحة لاسرائيل . وفى نفس الوقف طلبت من
اسرائيل ان توقف غاراتها فى العمق وأن توافق على وقف اطلاق
نار غير معلن .

لم يكن رابين متحمسا بوجه عام لوقف اطلاق النار . قال انه
سينقذ عبد الناصر ولن يسوى اى مشكلة ومع ذلك فقد اعتبر ان
الاقتراح هام ويتطلب سفره شخصيا الى القدس .

وعاد رابين بعد خمسة أيام بالرد الاسرائيلى بالموافقة على وقف
غير معلن لاطلاق النار بشرط توقف كل النشاطات العسكرية
ومضاعفة كميات الاسلحة الامريكية التى تقدم لاسرائيل على
سبيل التعويض وصدر بيان من نيكسون يؤكد على المحافظة على
قوة اسرائيل الجوية وعلى التوازن العسكرى فى الشرق الاوسط .

ومع ذلك . . فقد حدث قبل حل هذه المشاكل مع اسرائيل اننا
اكتشفنا فى النهاية طبيعة التحرك العسكرى السوفيتى بالنسبة لمصر

وفى نفس اليوم الذى قبلت فيه اسرائيل وقف اطلاق النار (١٧
مارس) ، ابلغنى رابين بان شحنة ضخمة من الاسلحة السوفيتية
وصلت الى مصر ، وبأنها تشمل أحدث شبكة سوفيتية مضادة
للطائرات صواريخ ارض - جو (سام - ٣) . ولم يحدث أبدا
من قبل ان قدمت هذه الصواريخ الى اى دولة اجنبية بما فى ذلك
فيتنام الشمالية . والامر الاكثر اذهابا هو ان هذه الصواريخ
رافقها ١٥٠٠ عسكرى سوفيتى .

● فرصة ضائعة

ان حكومة الولايات المتحدة التى كانت مستغرقة فى مشاكل
فيتنام وكمبوديا ولاوس والتى هزتها الاضطرابات الداخلية . . .
هذه الحكومة التى كانت مقتنعة الى حد كبير بان النزعة الحربية
الاسرائيلية هى السبب فى هذه الخطوة السوفيتية . . . هذه الحكومة
تذبذبت وافلتت منها الفرصة لاحتواء التحدى .

كان رد الفعل الاول من جانبنا في الاتجاه الصحيح . ففي يوم ٢٠ مارس اجتمعت مع السفير دوبرينين لاجراء مناقشة حادة . وقلت له اننا اخذنا ما قاله يوم ١٠ مارس على محمل جدى ، واننا في الواقع اوصينا اسرائيل بوقف اطلاق النار وأن اسرائيل وافقت من حيث المبدأ ولكن في اللحظة المحددة التي كنت استعد فيها للاتصال به لنتفق على موعد وقف اطلاق النار . علمنا بادخال صواريخ سام - ٣ وعناصر مقاتلة سوفيتية . وقد تم ارسال هذه القوات رغم تحذيرى الصريح من اخطار مثل هذه الخطوة . وقلت له ايضا ان هذا التكتيك يعيد الى الازهان أزمة الصواريخ الكوبية . وانه لا مفر أمامنا من وقف كل جهودنا التي استهدفت وقف اطلاق النار وابلاغ اسرائيل بذلك .

ولم يتحدث دوبرينين في هذا الموضوع الا في يوم ٧ ابريل عندما سأل عما اذا كان رأينا سيتغير ازاء انتشار الاسلحة السوفيتية في مصر اذا اقتصر هذا الانتشار على الاسكندرية والقاهرة وأسوان . وكان غامضا فيما يتعلق بالقوات . وسألته عما اذا كان اقتراحا رسميا . واجابنى بأنه سيقدم ردا في هذا الصدد . ولكنه لم يفعل أبدا .

ولما كنا قد اعلنا التحدى . فقد كان علينا ان نستمر على الطريق . وكان يجب ان يكون الرد المناسب هو زيادة المعونة العسكرية لاسرائيل وليس مجرد تقديم وعد بتعويضها عن خسائرها .

والقت الوكالات المتخصصة الامريكية اللوم على اسرائيل في استمرار التوتر على طول قناة السويس .

وكان هذا اللوم يركز على الشواهد . وقالت الوكالات ان اسرائيل هي التي اثارت رد الفعل السوفيتى بفاراتها في العمق . وكان الحل الذى قدمته لمشكلة التحرك المسمى السوفيتى هو الضغط على اسرائيل لاتخاذ موقف اكثر مرونة .

ورغم ذلك كله . . . واصلت وزارة الخارجية الامريكية اعداد البيان الخاص بقرار نيكسون تأجيل صفقة الاسلحة مع اسرائيل واجرت مشاورات مع زعماء الكونجرس حتى بعد الانباء التي جاءت عن التحرك السوفيتى الاخير . وكان التفكير السائد هو ان تصرفنا سيظهر حسن نوايانا للعرب . . . أو على الأقل سيمنع الانفجار الذى كانت أجهزتنا الحكومية تعتبر انه مسألة حتمية اذا واصلنا تقديم شحنات اسلحة اضافية لاسرائيل

وتراكمت الأخطار من وجهة نظري . فقد اختار نيكسون هذا الوقت بالذات لكي يبدأ اتصالاته لعقد مؤتمر قمة امريكي - سوفيتي .

● معلومات من رابين

وفي نفس الوقت زادت الصواريخ السوفيتية ومعها عدد القوات المقاتلة زيادة مثيرة وبلغت عشرة الاف في الاسابيع الستة التالية . وبلغني اسحاق رابين في ٢٤ ابريل بان طيارين سوفيت بعدد من طائرات في مهام دفاعية داخل اراضي مصر . وهكذا اصبح السلاح الجوي المصري منحررا من الاعباء الاخرى لكي يركز مهمته على مهاجمة المواقع الاسرائيلية على القناة وليصبح أكثر عدوانية . ومنحني نيكسون تفويضا بابلأغ رابين في ٣٠ ابريل بان الولايات المتحدة ستزود اسرائيل بالمزيد من الطائرات رغم قراره السابق . وكان نيكسون لا يزال قلقا من رد الفعل العربي الى الحد الذي يجعله يطلب الاحتفاظ بهذه الخطوة في طي الكتمان . وهكذا حرم قراره الجديد من بعض التأثير الرادع .

واجمعت اجهزة المخابرات الامريكية على أن المهمة السوفيتية في مصر .. دفاعية بحتة .

وعاد جوزيف سيسكو وزير الخارجية الامريكي من رحلة الى الشرق الاوسط أكثر تشاؤما . وأوصى باعادة تقييم أسس الاستراتيجية الامريكية في ضوء تشدد الاطراف وازدياد الالتزام العسكري السوفيتي والتشدد الاسرائيلي في ذلك الوقت كان نيكسون مستهلكا ومهزوزا بسبب الحسائر المادية والنفسية التي لحقت بأمريكا في كمبوديا . ولم يكن مستعدا لان يضيف الى مشاكله .. أزمة الشرق الاوسط وهكذا ازدادت الأزمة عمقا .

ووجه عبد الناصر في أول مايو خطابا مفتوحا الى نيكسون بلهجة تؤكد تدهور موقفنا .

قال ان الولايات المتحدة (يجب ان تأمر اسرائيل بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة) . وطلب منا عبد الناصر ، في حالة عجزنا عن أن نفعل ذلك . أن نمتنع عن تقديم دعم جديد لاسرائيل طالما انها تحتل اراضيها العربية سواء كان دعما سياسيا أو عسكريا أو اقتصاديا . . . وإذا لم يحدث ذلك فإن العرب (يجب أن ينوصلوا الى النتيجة الحتمية وهي ان الولايات المتحدة تريد ان نواصل اسرائيل احتلالها لارضينا لكي تمل شروط الاستسلام) .

ان التفكير في احتمال الهيمنة السوفيتية في الشرق الاوسط لم يكن مجرد خيالات مفرطة . . فقد أصبح هذا الاحتمال واضحا عندما ابلغ عبد الناصر احد الزوار الأمريكيين البارزين (يوجين بلاك) الرئيس السابق للبنك الدولى ، بأنه يفضل أن تتم أى مبادرة دبلوماسية أمريكية من خلال الاتحاد السوفيتى . انه لم يشق بنا إما يكفى للتعامل معنا مباشرة .

في تلك الظروف . . قاومت الوزارات الأمريكية قرار نيكسون بالاحتفاظ بخطط الإمدادات العسكرية مفتوحا على اسرائيل (في الوقت الذى انتهت فيه عقود توريدات الطائرات في شهر يوليو) وذلك عن طريق تعطيل التنفيذ أو استغلال ثغرة هامة هي أن نيكسون لم يحدد كمية الطائرات المطلوب ارسالها الى اسرائيل .

● حيرة في واشنطن

وفي يوم ٢ يونيو اقدم وليام روجرز على خطوة تعكس جو الحيرة في واشنطن . فقد استدعى السفير دوبرينين ليقرا عليه البيان الغريب التالى دون أن يحيطنى علما ودون أن يحيط نيكسون علما (في حدود معلوماتي) :

(ان الاتحاد السوفيتى قد أشار الى أن النشاط العسكرى السوفيتى في الجمهورية العربية المتحدة سيظل دفاعيا . ونحن نريد ان نوضح اننا لن نضطر الى ادخال عناصر عسكرية سوفيتية الى الجو أو البر الى منطقة القتال في قناة السويس باعتبارها عملا دفاعيا حيث أن هذا العمل من شأنه فقط أن يكون دعما للسياسة المعلنة للجمهورية العربية المتحدة . . سياسة انتهاك قرارات وقف اطلاق النار الصادرة من مجلس الامن . ونحن نعتقد أن ادخال عناصر عسكرية سوفيتية الى منطقة القتال الحرجة في قناة السويس (في اطار ثلاثين كيلو مترا من القناة) يمكن ان يؤدي الى تصعيد خطير لايمكن التنبؤ بعواقبه ولايمكن أن تقف الولايات المتحدة تجاه هذا التصعيد موقف عدم الاكتراث) .

● شيك على بياض !

وعلى السطح يبدو هذا البيان في شكل تحذير قوى . ولكن الحقيقة انه اعطى للسوفيت شيكا على بياض ! فقد اعترف بالوجود القتالى السوفيتى في مصر باستثناء المنطقة المجاورة مباشرة لقناة السويس . وقال البيان للسوفيت في الواقع انهم احرار في حشد

قوات ضخمة في مصر طالما انهم لا يحركونها مباشرة الى منطقة القتال .

كانت الخطوة الاولى من جانبنا تسير في اتجاه مضاد لموقف المواجهة مع السوفيت . فقد كانت مبادرة سلمية اخرى . وقد حاولت ان استخدم اجتماعا لمجلس الامن القومي الامريكي في ١٠ يونيو للقيام باستعراض لاستراتيجيتنا من اساسها . ولكن وزارة الخارجية اجهضت محاولتي بتحويل الاجتماع الى مناقشة لقرار تكتيكي .

وكان روجرز قد اعد سيناريو مقعدا يستهدف حمل الاطراف على أن (تكف عن اطلاق النار وتبدأ الحديث) وتقوم هذه المبادرة الدبلوماسية على مطالبة مصر واسرائيل بقبول وقف اطلاق النار على اساس الاوضاع القائمة لمدة تسعين يوما واجراء مفاوضات غير مباشرة تحت اشراف الوسيط الدولي جوناو يارنج . ومن اجل تشجيع اسرائيل فان الولايات المتحدة تعرض - ردا على طلباتها من الاسلحة - ثلاث طائرات فانتوم في شهر يوليو واغسطس واربع فانتوم وسكاي هوك كل شهر يلى ذلك كنسوع من التمييز عن الخسائر . ومع ذلك فان هذه الامدادات تخضع لاعادة النظر اذا بدأت المفاوضات وظهرت بشائر النجاح) .

● سقطة كبرى

وهكذا قدمت وزارة الخارجية الامريكية لاسرائيل المبرر لاجباط المفاوضات حيث انها ستحصل على المزيد من الطائرات في حالة فشل هذه المفاوضات . ولم يكن نيكسون مقتنعا بان دبلوماسية وزارة الخارجية ستحقق نجاحا . ولكنه لم يكن يرغب في تخطي روجرز . وكان يتأمل تأثير حرب السويس عام ١٩٥٦ على بريطانيا كقوة عالمية . واعتبر ان عدم حل مشكلة اللاجئين العرب عقب تلك الحرب كان احدي السقطات الكبرى في فترة ما بعد الحرب .

وتم الاعلان عن مشروع وقف اطلاق النار والذي اعدته الخارجية الامريكية . في ٢٥ يونيو .

وكان رد فعل السفير دوبرينين فاترا . وسالت السفير السوفيتي عن رد موسكو على سؤالى عن انسحاب القوات القتالية السوفيتية (من مصر) . فاجاب باننى وجهت اسئلة كثيرة الى حد انه لم يستطع ان يتذكرها . وأبدى دوبرينين

غضبه مما ادعى انه محاولة امريكية (من جانب واحد) للانفراد بالعمل الدبلوماسي في الشرق الاوسط . وأكد ان المفاوضات هي المشكلة التي تعني الطرفين الان (يقصد أمريكا والاتحاد السوفيتي) ولكنه كان يستريب في اننا لن نتشاور مع موسكو بمد ذلك . وقال انه لا يعرف ماهي التنازلات التي ستكون متاحة عنده .

وفي ٢٩ يونيو ابلغ اندريه جروميكو وزير الخارجية السوفيتي السفير الامريكي في موسكو جاكوب بيم انه في الوقت الذي يدرس فيه السوفيت اقتراحنا (الخاص بوقف اطلاق النار) فانهم لا يرون فيه شيئا جديدا وأنه ينطوي على كل عيسوب أو نواقص الجهود السابقة .

في ذلك الوقت . . قررنا أن نوضح أن الرئيس نيكسون لا يتصرف من موقع الضعف وان وجود القوات السوفيتية في الشرق الاوسط . . قضية خطيرة . . وقلت في اجتماع في سان كليمنت يوم ٢٦ يونيو انه حتى اذا كانت هذه القوات قد أرسلت لتعزيز مركز عبه الناصر . . فان استمرار وجودها يشكل تهديدا استراتيجيا يجب مواجهته .

وقامت حملة عنيفة ضدي . . وتعرضت للاتهام من جانب وزارة الخارجية والصحافة بمحاولة اغراق المبادرة السلمية . وفي أول يوليو - وكان روجرز في رحلة في الخارج - أجرى نيكسون حديثا تليفزيونيا ، بعد أن أفاق من جرح كمبوديا ، كان يتفق مع وجهة نظري . واحتج روجرز . من اوربا . . بمرارة وأعلن ان مبادرته السلمية قد نسفت والقي اللوم على سيسكو لتأييده لنيكسون .

● دوبرينين متعاون

والحاسة السوفيتية ليست مرهفة جدا ، وحسابات السوفيت تركز على تقدير مصالحهم . والان بعد ان اخذت الشكوك تظهر في موسكو باننا جادون في العمل ضد خطر الوجود العسكري السوفيتي في الشرق الاوسط . . تحول سلوك دوبرينين خلال اجتماعين متتاليين (٧ و ٩ يوليو) ليصبح مرحا الى أقصى حد . وأبدى روح التعاون . وقال انه سيكون لديه ما يقوله عن الشرق الاوسط قريبا جدا . ولم يشر الى تحذيرنا . غير ان ذلك لم يحدث

والاول مرة نجرب في عهد حكومة نيكسون التكتيك السوفيتي في استخدام الوجود العسكري لتعزيز النفوذ الجغرافي - السياسي

٠٠ وكانت اسرائيل تقترب من نقطة اليأس التي قد تغرى بالقيام بعمل اجهاضى قبل أن يتغير التوازن بصورة لا رجعة فيها .

وفي أول يوليو بعثت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل برسالة الى نيكسون تهدد فيها بتدمير بطاريات سام - ٢ وسام - ٣ على جبهة القناة .

وعندما كانت كل الدلائل تشير الى أن صداما عسكريا أصبح أمرا حتميا ٠٠ وافق عبد الناصر فجأة في يوم ٢٢ يوليو على اقتراحنا بوقف إطلاق النار والتفاوض .

• التعليق على

الفصل السابع

الملك فيصل لعبد الناصر: المزايدين يريرون الحرب حتى آخر هندي مصري

هذه الصفحات الجديدة من كتاب هنري كسينجر ، أيام البيت الأبيض ، التي نختار أهم أحداثها للتعليق والرد عليها ٠٠ تنتهي بأن مبادرة روجرز وصلت الى الطريق المسدود في ١٥ سبتمبر ١٩٧٠ ٠٠ أى قبل وفاة عبد الناصر بثلاثة عشر يوما ، وذلك بعد أن أيد نيكسون وكسينجر اسرائيل في موقفها بأن مصر انتهكت وقف اطلاق النار بتحريك الصواريخ ٠٠ وكانت نتيجة ذلك هدية أسلحة



امريكية جديدة لاسرائيل تزيد عما وعدت به أمريكا اسرائيل - وهي صواريخ شرايك الامريكية التي تستخدم ضد صواريخ سام ٣ في مصر - وذلك بحجة ارضاء اسرائيل ومنعها من الهجوم على قواعد الصواريخ المصرية ٠ ووافق نيكسون على أن يقابل جولدا مائير بعد أن كان ممتنعا عن ذلك ٠

وسخر كسينجر من أى رأى أمريكى يدافع عن الموقف المصرى ، ولعله استطاع أيضا أن يجند لحسابه تقارير المخابرات الامريكية التى أيدت تقارير المخابرات الاسرائيلية التى كان ينقلها رابين السفير الاسرائيلى في واشنطن ٠٠ ويعلن غضبه لان أمريكا لا تثق فى تقارير مخابرات اسرائيل ٠

وكان بيجين قد انسحب بحزبه من حكومة الطوارئ . المؤتلفة
الاحزاب احتجاجا على أن مائير قبلت المشروع الامريكى وشن عليها
هجوما عنيفا ، وكان حزب بيجين مشتركا فى هذه الحكومة منذ
عام ١٩٦٧ .

وفشل روجرز فى الدفاع عن مشروعه . واتهم كسينجر فى
حضور نيكسون وسيكو بأنه يسعى الى تفجير أزمة ، بهذا الاصرار
على اثارة اتهام مصر بانتهاكات وقف اطلاق النار .

ولكن كسينجر انتصر على كل معارضيه . حتى ان هارولد
سوندرز خبير الشرق الاوسط فى الخارجية الامريكية المعروف
باعتداله مع العرب . اقر كسينجر على أن مصر انتهكت شروط
قرار وقف اطلاق النار . وحركت صواريخها من مواقعها .

● صواريخ . وصغرية :

وفازت اسرائيل بصفقة صواريخ جديدة ومضاعفة . ولا بأس
من أن يسخر كسينجر من طبيعة الاوضاع السياسية داخل اسرائيل
.. وهو يصفهم بقوله : ، وحتى عندما يقبل الاسرائيليون مشروعا
للسلام . فانهم فى البداية يقاومون بوحشية ، وهذه المقاومة تخدم
غرض اظهارهم فى صورة أنهم أشخاص قادرون على مقاومة الاغراء ،
وأنهم خصم يصعب التغلب عليه فى المفاوضات . وهكذا يضعون
السدود أمام مطالب أخرى موجهة اليهم بتقديم أى تنازل اسرائيلى .
وعادة ما تصاحب موافقتهم على اقتراح سلمى . طلبات اسرائيلية
لانهاية لها حول الضمانات ومذكرات التفاهم والتفسيرات السرية .
ويقول كسينجر أن كل هذه المناورات الاسرائيلية بقصد أن تحد
من حرية العمل الامريكى . . وأمريكا هى الحليف الذى يزود
اسرائيل بأسلحتها . ويمد اقتصادها بأسباب الحياة ، ويقدم القطاء
الذى يحى الدبلوماسية الاسرائيلية . . وهى الحليف الذى له
دوافع لا حدود لها لتقديم مشروعات للسلام .

ثم يقول : ، وأى زعيم اسرائيلى يتبنى فكرة تقديم تنازل يمكن
أن يواجه حركة انقضاض عليه ، من جانب زملائه ، كما يواجه
صرخات حادة تندد به فى البرلمان ، باعتباره خائنا ، أو على أقل
تقدير باعتباره أداة ساذجة للأمريكيين الماكين أو الحقى . .
وعبارة ، الضغط الامريكى ، يمكن أن تكون ذريعة لقبول أشياء
يعرف الكثيرون من الزعماء الاسرائيليين فى أعماقهم أن قبولها أمر
ضرورى لاسرائيل على أية حال ، !

هذه السطور التي يصف بها كسينجر أسلوب التناور الاسرائيلي صادقة كل الصدق .. ولكنه يسجلها ذرا للرماد في العيون .. ولكي يبدو وكأنه الرجل المنصف العادل .. في الوقت الذي سخر فيه كل « عبقرياته » لخدمة الخط الاسرائيلي قبل حرب اكتوبر .. وهو قد عانى بعد ذلك ، في مباحثات السلام المكوكية - بعد اكتوبر - حتى أنه ترك اسرائيل والدموع تملأ عينيه .. بعد أن تلقى صفقة قاتلة ممن كان رسولهم الاول والقوى في البيت الابيض قبل أن تغلب حرب اكتوبر كل الموازين .

● المتلاعبان :

ثم نرى في هذه الصفحات التلاعب الامريكي .. والتلاعب السوفيتي معا .. وكل يقضي على ليلاه .. لقد أبلغ نيكسون جولدا مائير أن عليها أن تطمئن أن أمريكا لا يمكن أن تقبل التفسير العربي لقرار ٢٤٢ (وهو الانسحاب الكامل) .

وفي الوقت نفسه أبلغ نيكسون مصر والدول العربية بما يوحي أن أمريكا تقبل التفسير العربي لقرار ٢٤٢ .

أما عن السوفيت .. فهم غاضبون لانهم ليسوا طرفا في اتفاق وقف اطلاق النار .. وأن أمريكا تستبعدهم ، فهم لا يفعلون الا الاحتجاجات البليغة .. رغم أنهم وافقوا بصوت مرتفع وعال على اتفاق وقف النار في ٢٣ يوليو ، .. ووصفوه بأنه خطوة أولى هامة .

● والآن بعد ٩ أعوام :

ويكفي فقط بعد هذه الملاحظات أن نرى الموقف اليوم .

● ● ● بيجين الذي انسحب من حكومة الطوارئ - بعد اشتراكه فيها ٣ سنوات - لمجرد أن مائير رئيسة الوزراء - المؤمنة بالتاكيد الامريكي بأنه لا انسحاب كامل من الارض المحتلة - وافقت على وقف النار وبدء محادثات السفير يارنج على أساس مشروع روجرز .. وشن أعنف الهجوم على مائير وأمريكا .. هو نفسه بيجين الذي يوقع على اتفاقات كامب دافيد ، وعلى معاهدة السلام بين مصر واسرائيل التي تعترف بحدود مصر الدولية وتحقق الانسحاب الكامل من كل شبر .. ويدعو سوريا والاردن - طبقا لاتفاق كامب دافيد - الى مفاوضات مباشرة .. لمعاهدات سلام .

●●● ثم نرى الجهود الامريكية لاقرار الحكم الذاتي للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وغزة .. والاعلان الامريكي بان وجود المستوطنات الاسرائيلية عمل غير مشروع .. الى آخر ما يجرى على الساحة الامريكية الآن ، رسميا ، وشعبيا .. بل اننا نقرأ لكتاب امريكيين يهود ، أن اسرائيل يجب ان تفهم أنها لا يمكن أن تستمر عبثا على أمريكا .. وعلى مصالح أمريكا القومية ، بالتصليب أو التعتن في مفاوضات الحكم الذاتي ..

●●● ثم نرى كيف حركت حرب أكتوبر ومبادرة السلام .. القضية الفلسطينية تحريكا عاليا .. واصبحت القضية الفلسطينية هي مثار الاهتمام والتأييد .. ثم نرى سعي ياسر عرفات الى الاتصال بأمريكا .. في الوقت الذي يهاجم فيه شعب مصر وقيادة مصر التي اتخذت الطريق المستقيم الشجاع البعيد عن التهريج والديماغوجية .. بل ان مصر هي التي فتحت أمام المنظمة كل الطرق المسدودة .. ومن يحاول الجحود الذي الفناء .. عليه أن يعود الى كل أحاديث السادات الرسمية والعلنية في زيارته لأمريكا .. وفي كل خطوات السلام .. عن قضية الشعب الفلسطيني .. وانه لن يتحقق السلام الدائم والشامل الا بحلها .. وهاهو قد وضع اقدامهم على اول الطريق الصحيح .. ولكن زعامة ياسر عرفات تواجه محنة رهيبة .. بعد ان اتضحت كل الحقائق ، ولذلك فهو يلجأ الى الاسلوب القديم العفن .. الاثارة والخطب الرنانة .. وهو يعلم أن أي تأييد عالمي لقضية الشعب الفلسطيني أصبح مرتبطا ، بالاعتراف المتبادل بين المنظمة واسرائيل .. وبوقف أعمال التخريب التي لاتقدم ولا تؤخر .. وبالمفاوضات المباشرة .. وماذا انتهى اليه الامر في مؤتمر قمتهم العربية في تونس اخيرا ؟ ..

الم يتعهد ياسر عرفات بعدم استخدام لبنان مبرا لاي عمل فدائي داخل اسرائيل ؟ .. الم يتعهد بالا ينسب أي عمل فدائي داخل اسرائيل الى المنظمة ؟ .. ثم ماذا قال الزعماء الامريكيون السود لعرفات ؟ ..

انهم يؤيدون حق الشعب الفلسطيني على ارضه .. ولكنهم أيضا يطلبون حماية بقاء اسرائيل والاعتراف بها .. والمفاوضات المباشرة معها ..

هذه هي الحقائق التي يعتمد تجاهلها كل من يتجهجون على مصر ..

● تصريحات خالد الحسن

ويكفي ان استشهد هنا بحديث لزعيم فلسطيني من زعماء
« فتح » وهو خالد الحسن عضو اللجنة المركزية للمنظمة .. وكثيرا
ما هاجم خالد الحسن اتفاق كامب دافيد ومعاهدة السلام ..
ولا يزال يهاجمها ! ولكنني اقرا له حديثا في صحيفة « الشرق
الاوسط السعودية التي تصدر في لندن » عن خيبة امله في جبهة
الرفض . وقد نشر هذا الحديث صباح يوم الاحد ٢٨ أكتوبر الماضي

يقول خالد الحسن في هذا الحديث أن قرارات مؤتمر قمة بغداد
انتهت الى الفشل لانها لم تقدم خطة عمل عربية تقدم البديل
بأسلوب علمي للمجتمع الدولي ، وتتيح ممارسة الحركة السياسية
على الصعيد الدولي فيما يختص بالصراع العربي الاسرائيلي
والصهيوني الفلسطيني .



وانا اسأل السيد خالد الحسن .. وماذا فعلت مصر غير
ذلك ؟ .. منذ حرب أكتوبر .. حتى مبادرة السلام ؟ ..



ثم يقول خالد الحسن : ولكن المؤسف أن قرارات بغداد - التي
كانت جيدة على المستوى العسكري والسياسي (!!!) لم تنطو على
تخطيط عملي او ديناميكي تطبيقي . مما أفقدنا الحركة السياسية
والعسكرية العربية الجماعية !! . ثم يقول انه لا توجد خطة
للتحرك السياسي .. او خطة للحرك الاعلامي .. ولم تتخذ أي
خطوة بشأن أي عمل عسكري عربي !! .. وهكذا أصبحت الثورة
الفلسطينية في فراغ سياسي ، والفراغ السياسي بالنسبة
للتورة يمكن أن يكون خطرا قاتلا . ولذلك لابد من التحرك
السياسي .



وانا اسأل السيد خالد الحسن .. وماذا فعلت مصر غير أنها
تحركت عسكريا وسياسيا على أساس استراتيجية علمية شجاعة
.. فكانت حرب أكتوبر التي قلبت كل الموازين .. وكانت مبادرة
السلام التي هزت ضمائر مئات الملايين في العالم كله .. ومع
ذلك .. فلم نلق الا الاتهام بالخيانة وبيع الشعب الفلسطيني من
اجل حفنة تراب في سيناء !

● هل هي الحقيقة ؟

يقول خالد الحسن - الذي اكن له احتراماً خاصاً - هذه التصريحات لكي يبرر التحرك السياسي الذي تقسم به منظمة التحرير الآن .. والذي يصفه بأنه حقق انتصارات معنوية .. حتى تستمر الحركة النضالية ولو بشكل جزئي ..

وهو يرى أن زيارة عرفات لاسبانيا ثم البرتغال .. هو هذا التحرك السياسي الذي يحقق انتصارات معنوية ! .. بل هو ينسب اقناع الاشتراكية الدولية بالحق الفلسطيني .. الى ياسر عرفات !! ..

هل هذه هي الحقائق يا أخ خالد ؟ .. هل يجحد أحد دور مصر في الاشتراكية الدولية ؟ .. وهل يجحد أحد الجهد الذي بذله السادات في مئات الرحلات الدولية لكي تتحرك قضية فلسطين وهل يتجاهل خالد الحسن دور مصر في تحريك موقف كرايسكي مستشار النمسا الذي يصف أنور السادات بأنه الزعيم العالمي الذي حقق المعجزة ؟ .. ولا أطلب من خالد الحسن الا قراءة خطاب كرايسكي أمام الامم المتحدة .. ثم تصريحاته في امريكا ..

هل هذه الزيارات الكسيحة التي يجريها ياسر عرفات .. الى دولتين أو ثلاث دول في أوروبا .. هي التحرك السياسي الذي يبقى على النضال .. والنضال من أجل ماذا ؟ .. من أجل الاتصال بأمريكا !!

الم تفتح لكم صدرها بكل صدق وسخاء ، في كل اجراءات السلام بعد حرب أكتوبر .. وكان ياسر عرفات يتقدم خطوة ويعلمها .. ويعود ليتراجع عشرات الخطوات وينكر ما التزم به .. وكان كل ذلك خلال اتصالات الرئيس السادات بالرئيس كارتر مباشرة .. ومن قبله فورد .. ونيكسون في أيام حكمه الاخيرة ؟ ..

ومع ذلك فان خالد الحسن يصف في نهاية حديثه ، موضوع الحكم الذاتي للشعب الفلسطيني .. بأنه مؤامرة !

مؤامرة .. لانه يتيح للشعب الفلسطيني أن يحكم نفسه .. وأن يقرر مصيره .. على أرض الضفة الغربية وغزة .. أرض فلسطين التي أعلنت مصر أن الشعب الفلسطيني هو صاحب السلطان الاول والاخير عليها ؟ ..

لقد أدلى خالد الحسن بهذه التصريحات قبل انعقاد مؤتمر تونس .. ومن حقنا أن نسأله .. ماذا حقق مؤتمر تونس غير بضعة ملايين من الدولارات للمنظمة .. ولحكومة لبنان ؟ .. أى شئ. قد تغير في موقف المتضامنين ، العرب .. حقق عملا إيجابياً ما لقضية فلسطين ولشعب فلسطين ؟ ..

● ماذا قال عبد الناصر للملوك والرؤساء ؟

أعود الى مذكرات كسينجر .. التي وصلت في هذا الفصل الى أن مبادرة روجرز وصلت الى الطريق المسدود بعد التناور الأمريكي الاسرائيلي الذي جعل من موضوع الصواريخ أزمة كبرى تمنع أى مباحثات غير مباشرة للسلام .. وبعد أن قامت مذبحه أيلول الاسود في الاردن ..

كان آخر عمل قام به جمال عبد الناصر هو دعوة الملوك والرؤساء العرب الى مصر .. ودعوة الملك حسين وياسر عرفات .. والدور الكبير الذي قام به الرئيس جعفر نميري باسم المؤتمر .. أعود الى المحضر السرى لهذا الاجتماع - الذى بدأ في ٢٢ ديسمبر ١٩٧٠ وقاطعته العراق - وانتهى بموت جمال عبد الناصر بعد أن ودع أمير الكويت .. ثم توقيع اتفاقية القاهرة التي تحمى العمل الفلسطينى بعد أن هددت أمريكا بالتدخل العسكرية .. ونصح الاتحاد السوفيتى بتجنب التدخل الأمريكى بكل وسيلة .. وتدخلت حكومة البعث المراقى ضد المقاومة الفلسطينية ..

ببساطة طالب القذافى فى هذا المؤتمر ، أن تحارب الجيوش العربية أمريكا ! .. نفس الاسلوب التهريجى الذى يستخدمه القذافى الآن بالنسبة لازمة أمريكا وإيران ،

وهاجمت الصحف والاذاعات في بعض الدول العربية المؤتمر الذى دعا اليه عبد الناصر لانقاذ الفلسطينيين ووقف اراقة الدماء .

قال عبد الناصر للمجتمعين .. أن مصر لن تتدخل بجيش .. وليكن هذا واضحاً .. لسنا فى مزايدات .. يجب أن نعرف أن هناك تناقضات فى العالم العربى .. وأنا بصراحة أقول لكم أن هناك عناصر من الفدائيين يريدون اشعالها (جماعة جورج حبش) .. وكذلك عناصر فى الاردن .. السؤال .. هل أحنا مستعدين نحارب فى الاردن ؟ لا .. أنا بصراحة أقول : لا .. السوريون أدخلوا ٣٠٠ دبابة ثم سحبوها .. ولست هنا لازيد .. من السهل أن أصدر بياناً ملتصباً .. ويقولوا الناس على ثورى وخلاص .. نريد وقف اراقة الدم



ديجول
صديق العرب .. لهجة أهل المغرب



الملك فيصل
طبا .. تطلع بيانات .. اننا
مستعدون ان نحارب الى اخر جندى
مصرى ..

العربى . هناك من يريد للفتنة أن تستمر . وهناك اسرائيل .
واذا اسرائيل دخلت لبنان لن نستطيع أن نستردها . وهذا الكلام
أقوله ليسجل للتاريخ . هدفكم الاول أن تحافظوا على لبنان وتنظموا
علاقاتكم بالفدائيين .. احنا اتعلمنا الحساب من بعد سنة ١٩٦٧ .
الى وطلونا اليمنيين سنة ١٩٦٢ والسوريين سنة ١٩٦٧ .

الاتحاد السوفيتى باعثنى يقولوا لى أن العملية خطيرة . ولا بد
أن نجنب المنطقة ويلات التدخل فى الاردن وفى لبنان وسوريا . وهم
منزعجون من دخول القوات السورية . أنا اعمل ايه لو نزل الامريكان
فى عمان . عندى قوات فى القناة لو طلعتها يهاجمونى اليهود . أنا
حأبقى احارب أمريكا . تقدير الاتحاد السوفيتى أن أى تدخل يضر
بمصصلحة العرب .

القذافى : بعد سنة ١٩٦٧ ماعدناش نصديق الاتحاد السوفيتى ..
« أما الآن فالقذافى هو أداة السوفيت لتحقيق اطماعهم فى المنطقة
.. وأولها ضرب النظام المصرى » ..

عبد الناصر - موجها حديثه الى ربيع رئيس اليمن الجنوبي : أنتم
فى اليمن الجنوبي عملتم بيان ضد مشروع روجرز .. ما أنتم
دوختونا ؟ .. أنتم تقدرؤا تعملوا ايه ؟ .. ما هى امكانياتكم ؟ ..

الرئيس ربيع : هذه هى مسئوليتكم ..
عبد الناصر : أنتم تطلموا بيانات .. وأنا الى احارب ..

الملك فيصل : طبا .. تطلع بيانات .. اننا مستعدون أن نحارب
الى آخر جندى مصرى ..

روجرز يتهم كسينجر

● في ١٥ سبتمبر ١٩٧٠ وصلت مبادرة روجرز الى الطريق المسدود .

● روجرز يتهم كسينجر امام نيكسون بأنه تعمد اثارة ازمة الصواريخ لنسف مبادرة روجرز .

● نيكسون ابلغ اسرائيل بأنه لا يوافق على تفسير العرب للقرار ٢٤٢ .٠ وابلغ العرب بأنه لا يوافق على تفسير اسرائيل للقرار ٢٤٢ !

* روجرز يغفى عن كسينجر اجزاء من مذكرة لدوبرينين السفير السوفيتى .

● .٠ وكسينجر يغفى عن روجرز معلومات اكثر اهمية !

* امريكا تستخدم طائرات الاستطلاع للتحليق فوق سيناء ومراقبة وقف اطلاق النار .



روجرز يتهم كسينجر

كتب كسينجر :

سب وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكى الفضيل في موافقة مصر على وقف إطلاق النار .. الى مبادرته . ولكن جوزيف سيسكو وكيل الوزارة اخذ يقول في احاديثه الخاصة أنه صاحب الفكرة في وقف إطلاق النار . أما الرئيس نيكسون فقد كان مقتنعا بأن بيانه المتشدد الذي ألقاه في أول يوليو هو الذي حقق هذا الانجاز البارع .

وبما أن التواضع ليس من صفاتي الحميدة فأننى لا أرفع عن أن أنسب بعض النجاح ، الى تحليلاتي للأحداث التي قدمتها في ٢٦ و ٣٠ يونيو ١٩٧٠ ومحادثاتي مع السفير السوفيتى دوبرينين .. وربما كنا جميعا محقين في تقدير كل منا لدوره . وعلى أية حال .. فقد اتضح بسرعة أن فرحتنا كانت سابقة لاوانها .

وقام دوبرينين بتشجيع مقصود لهذا الحماس الذي سيطر علينا في البداية . فقد أوضح لى في يوم ٢٣ يوليو أن الموقف السوفيتى تجاه وقف إطلاق النار المؤقت هو موقف ايجابى وأن الاتحاد السوفيتى يفضل أيضا استئناف مهمة الوسيط الدولى جوناو يارنج . وفى نفس الوقت سلم دوبرينين مذكرة الى وزارة الخارجية الأمريكية جاء فيها : أن السوفيت يوافقون على تجسيد المواقع العسكرية فى ظل وقف إطلاق النار ..

وقد أهمل روجرز فى أن ينقل لى جزءا مما ذكره له دوبرينين .. وتمويضا عن ذلك .. قدم لى دوبرينين مذكرة لا يعرف عنها روجرز

شيئا وهي تتعلق بالاسئلة التي سبق أن وجهتها في ١٠ و ٢٢ يونيو حول استمرار وجود القوات السوفيتية في الشرق الاوسط . . وجاء في المذكرة أن السوفيت « يمكن » أن يكونوا مستعدين « بعد » تسوية سياسية شاملة لبحث انسحابهم ما دام أنه يكون التزاما « متبادلا » . وعندما أوضحت أنه لا توجد قوات عسكرية تابعة لنا في الشرق الاوسط . . قال دوبرينين في البداية ان هذا أفضل لكل منا وأن التبادلية في الالتزام وضمت باعتبارها مسألة مبدأ لتحسين الصياغة . وفيما بعد أجرى تعديلا في أقواله ليذكر أن على الولايات المتحدة أن تسحب المسكرين التابعين لها من إيران .

● الاسلوب الاسرائيل

لو كنا قد تفهمنا الموقف بصورة أفضل . . لكننا قد أدركنا أننا لم نفعل شيئا سوى ازالة أدنى عقبة . فمن المؤكد أن المفاوضات التي اعدناها لها ستواجه طريقا مسدودا مادام أن مصر ما زالت تطالب باعادة حدود ١٩٦٧ كما أن اسرائيل ما زالت تصمم على تغييرات اقليمية جوهرية . وتوقعت مصر أن تمارس امريكا ضفطا على اسرائيل . بينما أرادت اسرائيل أن تكون طليقة في تصرفاتها تحت شعار « لا تسوية مفروضة » . وحتى عندما يقبل الزعماء الاسرائيليون مشروعا للسلام . . فانهم في البداية يقاومون بوحشية . وهذه المقاومة تخدم غرض اظهارهم في صورة أنهم أشخاص قادرين على مقاومة اغراء ما ، وأنهم خصم يصعب التغلب عليه في المفاوضات . وهكذا يضعون السدود امام مطالب أخرى موجهة اليهم لتقديم تنازلات اسرائيلية . . وعادة ما تصاحب موافقتهم على اقتراح سلمي . . طلبات لا نهاية لها حول الضمانات ومذكرات التفاهم والتفسيرات السرية . . وكل ذلك بهدف الحد من حرية العمل لدى حليف على مسافة خمسة آلاف ميل يزود اسرائيل بأسلحتها ويمد اقتصادها بأسباب الحياة ويقدم الغطاء الواقى الذى يحمى دبلوماسيتها ويملك على ما يظهر دوافع لا حدود لها لتقديم مشروعات للسلام .

ويؤدى النظام السياسى في اسرائيل الى تقوية هذه النزعات لديها . ففي ظل هذا النظام تتشكل حكومات فى العادة من عمليات ائتلاف مضطربة ومزعزعة بين احزاب متعددة واجنحة سياسية مستقلة بذاتها . ومثل هذا النظام غير مؤهل لاصدار قرارات سريعة او ممارسة دبلوماسية مرنة . واى زعيم يتبنى فكرة تقديم تنازل

يمكن أن يواجه حركة انقضا على من جانب زملائه كما يواجه صرخات حادة تندد به في البرلمان باعتباره خائنا أو على أقل تقدير، باعتباره أداة ساذجة للأمريكيين الماكريين (أو الحمقى) . أن اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلي هو مكان مناسب لفحص وتمحيص وتفلية مقترحات السلام بطريقة تشيع هذه المقترحات إلى مثواها الأخير ، كما أنه مكان أقل استعدادا لتطوير سياسة بعيدة المدى . وتجد إسرائيل في بعض الأحيان من الأسهل عليها أن تلقى مسئولية الاختيارات الصعبة على حليفها الكبير (الولايات المتحدة) بدلا من أن تتخذ القرار بنفسها . وعبارة « الضغط الأمريكي » يمكن أن تكون ذريعة لقبول أشياء يعرف الكثيرون من الزعماء الإسرائيليين في أعماقهم أن قبولها أمر ضروري لإسرائيل على أي حال .

ولذا فقد كان الرد بحماسة اقتراح وقف إطلاق النار وفكرة المفاوضات خروجاً على طبيعة إسرائيل .

● تفسيرات متناقضة

وأرسل نيكسون خطاباً إلى جولدا مائير رئيسة الوزراء الإسرائيلية يطعن فيها على أننا لا يمكن أن نرغم إسرائيل على قبول التفسير العربي لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ في وضع خطوط عريضة مهمة يارنج .

وقد قدم نيكسون للعرب الانطباع المضاد تماماً (بالإيماء اليهم) بقبول تفسيرهم للقرار ٢٤٢ عندما طرحت عليهم مبادرة وقف إطلاق النار !

وردت إسرائيل بتقديم طلبات معونة عسكرية إضافية وخاصة الأسلحة التي تتفوق على الصواريخ السوفيتية أرض - جو . وقدمت لها وعداً ينم عن التعاطف مع طلبها .

وطلبت إسرائيل المزيد من الإيضاحات حول موقفنا من قضايا مثل الانسحاب والأجئين . وكانت إجاباتنا تنطوي على قدر محدود من هذه الإيضاحات لأنه لم يكن هناك موقف موحد في الحكومة الأمريكية بشأنها ولأن هؤلاء الذين تتوافر لديهم أفكار واضحة كانوا يخشون الإعلان عنها حتى لا يفسدوا موافقة إسرائيل على المبادرة الأمريكية .

وكان لمخاوف إسرائيل ما يبررها ..

فقد استخدم السوفيت والمصريون بوضوح الفترة السابقة على وقف إطلاق النار لحشد الصواريخ بسرعة على طول القناة ٠٠ منتهكين بذلك روح - ان لم يكن نص - اتفاق التجميد العسكري المرتقب .

وفي الخامس من أغسطس جاء اسحاق رابين سفير اسرائيل في واشنطن مسرعا وهو يحمل معه صورة كئيبة للموقف . قال انه تم تحريك ١٤ منصة للصواريخ الى داخل المنطقة الواقعة على مسافة خمسين كيلو مترا من القناة ، وأنه تم تحريك ثلاث منصات لكمان الصواريخ الى منطقة تقع على مسافة ١٠ - ٢٠ كيلو مترا . وفي ٢٥ و ٢٧ و ٣٠ يوليو قامت عناصر سوفيتية بقيادة طائرات واشتبكت مع الطيران الاسرائيلي ، وفي ٣٠ يوليو اسقط السلاح الجوي الاسرائيلي أربع طائرات يقودها طيارون سوفيت .

● التهديد بالهجوم

وشعرت من حديث رابين أن اسرائيل قد تشن بالفعل هجوما برياً على منصات صواريخ سام - ٣ القريبة من القناة قبل تنفيذ وقف إطلاق النار ولذلك أبلفت نيكسون بالامر . وفي اللحظة الاخيرة اتخذ مجلس الوزراء الاسرائيلي ٧ اراء ضد اتخاذ مثل هذه الخطوة . ولم استطع أن أعرف أبدا ما اذا كان رابين قد بالغ في ترجيح احتمال شن هجوم اسرائيل .٠٠ ام أنه حدث في الدقيقة الاخيرة تغيير حقيقي في موقف حكومة اسرائيل .

وأبلغتنا اسرائيل رسميا في السادس من أغسطس بقبول وقف إطلاق النار . واندفع روجرز وسيسكو لاستكمال اجراءات تنفيذ هذا القرار قبل أن يغير أى شخص رأيه .

كانت اتفاقية وقف إطلاق النار بين مصر واسرائيل تنص أيضا على تجميد عسكري في منطقة عرضها خمسون كيلومترا على جانبي القناة .٠٠ ولسوء الحظ أن هذا النص المتفق عليه كان يشوبه القموض فيما يتعلق بطبيعة التصرفات التي يحظرها الالتزام بالتجميد . وكان ثمة « تفاهم » منفصل بين اسرائيل والولايات المتحدة يستهدف ملء هذه الثغرة عن طريق ايضاح تفصيل لوجهات نظرنا المشتركة في الاجراءات التي نشعر بأنها تشكل انتهاكا للاتفاقية المصرية - الاسرائيلية .

● مشكلة التوقيت

وصدرت تعليمات الى ممثلنا في القاهرة بابلغ المصريين بأمثلة يمكن القول بأنها « توضيحية » للأنشطة التي يمكن اعتبارها انتهاكا

للتجميد العسكري وذلك في ضوء التفاهم الإسرائيلي - الأمريكي
وفضلا عن أنه لم يكن من الواضح كيف يمكن أن يكون تفاهم بين
إسرائيل والولايات المتحدة ملزما لمصر والاتحاد السوفيتي ؟ ٠٠ فقد
حدث أيضا مشكلة خطيرة تتعلق بالتوقيات ٠٠ فقد وافق المصريون
رسميا على اقتراحنا بوقف إطلاق النار في ساعة مبكرة من يوم ٧
أغسطس بالتوقيات الأمريكية ، وبدأ سريان وقف إطلاق النار في
الساعة الواحدة من فجر يوم ٨ أغسطس بتوقيات القاهرة ٠ ولكن
بسبب المساومات مع إسرائيل حول بنود الاتفاقية ، فإن ممثل وزارة
الخارجية الأمريكية لم يستطع أن ينقل للقاهرة «الكتالوج التوضيحي»
لنماذج الانتهاكات الا في الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر
يوم ٩ أغسطس بتوقيات القاهرة ٠٠ أي بعد الموعد ب ٣٦ ساعة ٠
وهكذا سيدعى الإسرائيليون بعد ذلك أن مصر انتهكت اتفاقية
التجميد خلال ٨ - ٩ أغسطس حتى قبل أن تكون لدى مصر أي
وسيلة محددة لمعرفة ما تقصده بالتجميد العسكري ٠ ومن أمثلة
المحظورات التي يفرضها التجميد :

- ١ - عدم ادخال أو تحريك (الى الامام نحو القناة) أو تشييد .
أو وضع صواريخ في المنطقة المذكورة ٠
- ٢ - عدم اقامة أية منشآت من الاسمنت للصواريخ ٠
- ٣ - عدم القيام بأي عمل لاقامة أي منصات جديدة للصواريخ ٠
- ٤ - الموافقة على استثناء المنشآت القائمة فيما يتعلق بالصيانة
غير أنه لا يجب ادخال تحسينات على منصات الصواريخ القائمة أو
قواعدها الثابتة ٠

وقد تم نقل وثائق « وتوضيحات » اتفاقية وقف إطلاق النار الى
السوفيت ٠ ولكن موسكو لم تكن من الناحية الرسمية طرفا في
اتفاقية وقف إطلاق النار أو التجميد العسكري على حد سواء ٠
وعندما تصاعدت الاتهامات حول انتهاك الاتفاقية ٠٠ أصرت موسكو
بصورة متزايدة على أنها ليست ملزمة بشئ رغم موافقتها بصوت
عال على هذه الاتفاقية في ٢٣ يوليو ٠٠ ووصف السوفيت وقف
إطلاق النار بأنه « خطوة أولى هامة » ٠ وأبلغ جوزيف سيسكو
« المجموعة العليا لاستعراض المواقف » المتبثقة من مجلس الأمن
القومي الأمريكي في يوم ١٢ أغسطس أنه بدأ بالفعل صياغة مشروع
اتفاقية كاملة ، يتضمن بنودا قاطعة حول الحدود النهائية ٠

• المعلومات عن التحركات الأولى داخل حصة القناة (التي اشتهرت باسم أزمة تحريك الصواريخ المصرية • كانت مشوشة • ولا شك ان الدعاية الاسرائيلية قدمت هذه المعلومات في أكبر جو من الاتارة • عبر أنه لا شك أن شبكة الدفاع الجوي المصرية - السوفيسية قد تحركت الى الامام لمسافة كبيرة خلال فترة الاسابيع الثلاثة التي مضت بين قبول مصر للاقتراح الامريكى وبدء سريان وقف اطلاق النار والتحميد العسكرى • ويكاد يكون من المؤكد أن ما كان يجرى تشييده عندما بدأ سريان مفعول وقف اطلاق النار • قد استكمل فيما بعد • ويحتمل ايضا أن يكون السوفيت والمصريون قد أخذوا على غرة بالسرعة غير العادية التي تحرك بها جهازنا البيروقراطى من أجل اقرار وقف اطلاق النار •

وتفجرت قصة انتهاك مصر لاتفاقية وقف اطلاق النار • وانسحب حزب مناحم بيجين من حكومة الطوارئ • الائتلافية فى اسرائيل والتي كان قد اشترك فيها منذ عام ١٩٦٧ وشن هجوما عنيفا على جولدا مائير رئيسة الوزراء بسبب موافقتها على المشروع الامريكى •

● وقائع جديدة :

ومع ذلك • فقد اتحدت وزارة الخارجية الامريكية موقفها على أساس أن الولايات المتحدة • لم تتوصل الى نتائج • بصدد التقارير الاسرائيلية عن الانتهاكات • وصدرت تعليمات الى سفيرنا فى اسرائيل لبحث الحكومة هناك على أن تكف عن النفاش العلنى حول هذه المسألة وأن تعين مندوبها فى معادثات باريس •

وفى يوم ١٥ اغسطس جاء اسحق رابين لقابلتى وهو يحمل وقائع جديدة عن انتهاكات مصر لاتفاقية التحميد العسكرى • وقال أن جولدا مائير تريد أن تعرض هذه المشكلة بنفسها على الرئيس نيكسون شخصيا •

● صواريخ شرايك :

واعترضت وزارة الخارجية الامريكية أن هذه الخطوة غير مناسبة فى الوقت الحالى • وعوضا عن ذلك رتبت لقاء بين رابين ونيكسون • وشكا رابين بمرارة للرئيس من أن أجهزة المخابرات الامريكية لا تريد تصديق معلومات المخابرات الاسرائيلية • واكد أن هناك انتهاكات حقيقية للتحديد العسكرى •

وعلى ذلك وافق نيكسون على ارسال شحنة سريعة من صواريخ شرايك الأمريكية لاستخدامها ضد شبكة صواريخ سام - ٣ تم وافق على أن يجتمع في واشنطن مع جولدا مائير خلال شهر سبتمبر عندما يحضر الى أمريكا للاشتراك في العيد الخامس والعشرين للأمم المتحدة .

ويحتمل أن يكون موقفنا المتردد في البداية تجاه اتهامات إسرائيل لحصر باننهاك الاتفاقية .٠٠ قد شجع عبد الناصر على زيادة سرعة عملية نشر الصواريخ على مسافات أقرب الى القناة . ولابد من الاعتراف بأن المعلومات التي قدمت في النصف الاول من أغسطس .٠٠ كانت غامضة ولا تتيح التأكد من أن التحرك أو النشاط الذي حدث على جبهة القناة .٠٠ قد تم مباشرة قبل أو بعد سريان وقف إطلاق النار .

كان الشرق الاوسط هو القضية الوحيدة التي بقيت لوليام روجرز ليكون مسئولاً عنها وبملك سلطة في التحرك لعلاجها . وقد تلقينا دليلاً قاطعاً ، في يوم ٢٢ أغسطس على انتهاك مصر للتحديد العسكري .٠٠ واكن الخارجية الأمريكية حاولت معالجة هذه المشكلة بهدوء ، حرصاً على بدء المفاوضات . وقد أبلغنا القاهرة بهذا الدليل القاطع في نفس الوقت الذي حرصت فيه واشنطن على الامتناع عن توجيه اتهامات علنية .

● روجرز يتهم :

وفي اجتماع عقد في سان كليمنت يوم ٢٥ أغسطس يضم الرئيس نيكسون وروجرز وسيسكو .٠٠ وأنا .٠٠ وجسه روجرز لي تهمة السعي الى تفجير أزمة باصرارى على اثاره موضوع انتهاكات وقف إطلاق النار .٠٠ وانتهى الاجتماع بلا نتيجة .

وكنا قد أبلغنا السوفيت في الثامن من أغسطس بأننا سنراقب وقف إطلاق النار بطائراتنا الاستطلاعية (يو - ٢) وفي ٢٨ أغسطس جا. الرد السوفيتي بأن هذه الخطوة من جانبنا تمثل « عنصراً جديداً في تعقيد الموقف » . . . وتتناقض مع بنود وقف إطلاق النار ، وتنتهك السيادة المصرية .

وفي ٢٩ أغسطس توصل « راي كلين » مدير مكتب المخابرات والابحاث في وزارة الخارجية الأمريكية الى أنه أصبحت توجد سبع أو ثمانى منصات لصواريخ سام - ٢ وثلاث أو أربع منصات

لصواريخ سام - ٣ فى المنطقة التى يبلغ عرضها ثلاثين كيلو مترا غربى القناة . ومعظم هذه المنصات - كما قال - قد أقيمت بعد سريان وقف إطلاق النار . وفى يوم ٣١ أغسطس جاء تقرير من وكالة المخابرات المركزية يؤكد هذه المعلومات .

وكان لايد من عقد اجتماع فى سان كليمنت فى اول سبتمبر اشترك فيه الرئيس نيكسون وروجرز والقائدان العسكريان مورير وليرد وريتشارد هيلمز مدير المخابرات . وانا . واصدر نيكسون توجيهاته بإرسال احتجاج قوى للغاية الى كل من القاهرة وموسكو . ومطالبة اسرائيل بإيفاد ممثل لها الى محادثات جوناو يارنج فى نيويورك . وفى ٣ سبتمبر اكدت وزارة الخارجية الامريكية علنا حدوث الانتهاكات بطريقة لا يشوبها الفيوض فى هذه المرة ولكنها تتسم بقدر كبير من ضبط النفس . وأوضحت الخارجية الامريكية أنها ستعالج المسألة من خلال القنوات الدبلوماسية فقط . كانت وزارة الخارجية لا تزال حريصة على بدء محادثات يارنج .

● مقاطعة المباحثات :

وظلت مصر والاتحاد السوفيتى يرفضان احتجاجاتنا . وانكرت القاهرة الانهزامات فى يوم ٤ سبتمبر وأعلنت أن استمرارنا فى امداد اسرائيل بالاسلحة يتعارض مع التأكيدات المزعومة عن ضبط النفس .

وفى يوم ٦ سبتمبر ابلغ سرجى فينو جرادوف نائب وزير الخارجية السوفيتى . سفيرنا فى موسكو بأن الاتحاد السوفيتى لم يبرم أية اتفاقية لوقف إطلاق النار مع الولايات المتحدة ولذلك فإنه غير مسئول عن أية انتهاكات . وأشار فينو جرادوف الى الترتيبات الغريبة ، التى تقوم الولايات المتحدة بموجبها بمراقبة وقف إطلاق النار دون أن تطلب مصر منها ذلك . وانتهاك الولايات المتحدة للأراضى المصرية عن طريق التحليق فوق سيناء .

وفى نفس الوقت سلم قائم بالاعمال بالسفارة السوفيتية فى واشنطن رسالة الى الخارجية الامريكية تعرب عن القلق ازاء ماأسماء بهجوم اسرائيل وشيك على منصات الصواريخ غربى القناة . وطلب منا السوفيت اتخاذ خطوات لمنع هذا الهجوم . ولم يكن لدينا ما يشير الى وقوع هذا الاحتمال . وأظن أن هذا السعى السوفيتى كان جزءا من جهود موسكو التى تتكرر بانتظام لحملنا

على اتخاذ موقف دفاعي . وطلبت من سيسكو أن ينقل هذا التحذير الى اسرائيل بدون تعليق . . . ولكن دون أن يؤكد للسوفيت أنه فعل ذلك . . . اذ ليس هناك معنى لكي نجعلهم يعززون مكانتهم في القاهرة بوصفهم حماة العرب .

بعد كل هذه الخلافات والانتهاكات ام يكن من قبيل المفاجأة ان نعلن اسرائيل يوم ٦ سبتمبر انها لا تستطيع الاشتراك في محادثات تسوية تحت اشراف پارنج . وعلاوة على ذلك فقد اختطف الفدائيون الفلسطينيون ثلاث طائرات . والتطورات التي بدأت قبل شهر على انها خطوة نحو السلام تحولت الى تحرك سريع نحو مواجهة .

● تقرير سوندرز :

وفي نفس الوقت . . ابلغني هارولد سوندرز الخبير في شئون الشرق الاوسط - الذي يعمل في مكتبي - بأن الانتهاكات السوفيتية والمصرية قد تزايدت بالفعل بعد احتجاجاتنا في أوائل سبتمبر . ولم يعرف عن سوندرز - وهو محلل ممتاز ومستشار يتصف بالموضوعية - أنه متحيز ضد العرب . ومع ذلك فقد كتب تقريراً الى أوضع فيه ذلك على ضوء الصور التي التقطتها طائرات (يو - ٢) عقب مساعيها في بداية سبتمبر لدى موسكو . والقاهرة . . وقال ، يبدو أن شبكة الصواريخ الدفاعية على القناة تهم المصريين أكثر من محادثات السلام نظراً لأن الاسرائيليين أعلنوا بوضوح تام أنهم لا يستطيعون المضي في المحادثات ما لم يعد الموقف الى ما كان عليه قبل وقف اطلاق النار . .

وحتى ذلك الوقت . . كان هناك بعض المحللين الجامدين الذين يصممون على العودة الى مبادرتنا السلمية عن طريق تصوير الواقع بصورة تناسب الافكار التي يفضلونها . فقد طرح خبير مبدع في وزارة الدفاع الامريكية نظرة فريدة في نوعها . قال أنه يحتمل أن عبد الناصر لم ينتهك على الإطلاق وقف اطلاق النار . وقال أنه من غير المستبعد أن الصواريخ كانت محببة في منطقة الحسين كيلو مترا التي تقع غربي القناة قبل سريان وقف اطلاق النار وانها لم تظهر فوق السطح الا بعد ذلك التاريخ . . وبالتالي فإنه لم يتم « ادخالها » الى المنطقة وظل اتفاق التجميد العسكري محتفظاً بنقاوته الاصلية .

وهذا التفسير المعقد لم يفسر لنا السبب الذي دفع المصريين الى اخفاء الصواريخ عندما كان ظهورها على السطح مسموحاً به ثم

الكشف عنها فقط عندما يصبح انتشارها محظورا . كما أنه لم تظهر في الصور التي التقطت من الجو أية آثار لمخازن حربية كبيرة تكفي لايواء مثل هذه المعدات الكثيرة . كما أن إخفاء هذه الصواريخ في الرمال كان يحتاج الى حفرة في حجم الاهرامات .

وعكذا لم يكن هناك ببساطة مفر من الاعتراف بأن مبادراتنا وصلت في منتصف شهر سبتمبر ١٩٧٠ الى طريق مسدود .

● في ذيل الاحداث :

وخلال المسامحات . . قمنا بتلبية طلب اسرائيل من الاسلحة . بعد أن ظل معلقا منذ شهر مارس . . وزدنا من حجم الصفقة بحيث نكون في الاطار الذي تكسب به مرونة اسرائيل في مفاوضات السلام (التي لم تحدث) والذي يحول بينها وبين شن هجوم اجهاضي ضد زحف الصواريخ المصرية الذي لم نستطع أن نوقفه .

ولم نجد لدى اسرائيل الاحساس بالعرفان ازاء هذه الصفقة وفي الوقت نفسه جعلنا سخط العرب علينا يتضح وأقام السوفيت وجودا قتاليا في مصر أصبح يهدد اسرائيل بالفعل ويمكن أن يخدم اغراض التواطؤ مع عبد الناصر ضد أى حكومة عربية معتدلة .

ان نصراتنا وأعمالنا لم تهيم على الاحداث بل كانت تسير في ديل الاحداث . . وأحيانا كانت هذه الاحداث تكتسح أعمالنا .

وأزمات أخرى واجهت حكومتنا في شهر سبتمبر فقد وجدنا أنفسنا وفي وقت واحد . . بازا، حرب اهلية في الاردن ومحاولة سوفيتية لاقامة قاعدة للتفاوض في كوبا وتولى سلفادور الليندي السلطة في شيل .

وكانت تلك اخطر فترة بل اكثر الفترات حسما في عهد حكومة نيكسون الجديدة . . وأشد خطورة من عملية كمبوديا بسبب حالة الهستيريا والاهتمام الذي قوبلت به هذه الاحداث في وسائل الاعلام .

والاستراتيجية الشاملة التي كنا نجمع عناصرها بمشقة على مدى عام ونصف عام . . بدأت تتكامل فقط بعد أن اجتزنا هذه المواقف .



كسينجر في مواجهه نكسون

اجتماعات مستمرة تقدم خلالها كسينجر مذكرات سرية الى الرئيس
الامريكي حول ضروره اتخاذ مواقف متشدده لكي لا يفسر موقف امريكا
على انه تعبير عن الضعف ..

تمه حرب أهلية في مملكة صحراوية - هي الاردن - بين حكومه
ملكبة وفدائيين مسلحين . يسعون الى تأمين قاعدة لهم لمهاجمة
• بلد محاور •

وعبر التاريخ كانت الحدود في الشرق الاوسط تتحرك مع الرمال
المتحركة .

فالامة العربية التي حققت الاتحاد في عمليات بنائها الاساسي
خلال الخمسمائة سنة التي أعقبت ظهور الاسلام .. وحدث نفسها
عبر مرحلة طويلة نالبة تحت سيطرة حكام اجانب متعددين .

فقد تم تقسيم الدول شبه المستقلة في العالم العربي بعد الحرب
العالمية الاولى . تحت وصاية الدول الاوربية . وكانت من بين هذه
الدول المملكة الاردنية الهاشمية التي سميت شرق الاردن في عام
• ١٩٤٩ •

فماذا جرى في الاردن عام ١٩٧٠ ؟ •

• التقييم على

الفصل الخامس

فضيحة العراق .. وتراجع سوريا في مزججة سبتمبر

يتضح من هذه الصفحات الجديدة المركزة من مؤلف
كسينجر • سنوات البيت الابيض • عن أزمة
سبتمبر ١٩٧٠ في الاردن ، التي تعارفنا على تسميتها
بأزمة أيلول الأسود • ان الاتحاد السوفيتي
تراجع تراجعاً كاملاً ، عندما وجد التهديد الأمريكي
جاداً وحازماً - بالتدخل العسكري • لانقاذ الرهائن
الأمريكيين والاسرائيليين والاوربيين • وللتصدي
ضد أي تدخل سوفيتي عسكري • ولحماية عرش
الملك حسين • ثم لمساعدة حسين في القضاء على الفدائيين
الفلسطينيين وتصفيتهم •



تراجع الاتحاد السوفيتي • وأخذ يصدر البيانات التي تطالب
بضبط النفس • • لان الخلاف العربي هو لمصلحة اسرائيل والقوى
الامبريالية التي تساندها •

ويعلق كسينجر على ذلك ، بأن هذا الموقف السوفيتي المتراجع ،
كان سببه الجشع السوفيتي على دعم نفوذه في المنطقة • لان الاتحاد
السوفيتي وقف في أول الامر موقف الصمت • بل انقطعت
صلاته الدبلوماسية عشرة أيام خلال الأزمة ، بعد اختطاف الجبهة

الشمعية الماركسية (جورج حبش) للطائرات الاربع الامريكية
والالمانية والسويسرية .

وقد نسفوا طائرة منها في مطار القاهرة بعد اطلاق سراح ركايبها
.. ثم هبطوا بالطائرات الاخرى على ممر ترابي يبعد ٣٠ كيلو مترا
من عمان .. وهددوا بنسف الطائرات بمن فيها اذا لم يفرج عن
الفلسطينيين المسجونين في اوربا وفي اسرائيل . وكان واضحا من
هذا العمل ، ان المقصود به هو الرد على عبد الناصر بقوله مبادرة
روجرز .. اى قتل اى محاولة للسلام . وكانوا لا يعلمون حقائق
ما يجرى داخل البيت الابيض .. وهو ان كسينجر يعمل بكل حيلة
الشيطنانية لقتل هذه المبادرة .. لانه يريد استراتيجية سلام كاملة
.. ويعلم مقدما ان مصيرها الى الفشل . وينتظر الفرصة لاقتناع
نيكسون بامداد اسرائيل بالمزيد من السلاح . ثم يضخم أزمة تحريك
الصواريخ المصرية على القناة حتى اتهمه روجرز أمام نيكسون بأنه
يريد افتعال أزمة مع مصر ، لكي ينسف مبادرته .

ولعل من الملاحظ على مدى السنوات الماضية منذ حرب اكتوبر
.. ان مثل هذه الاعمال الفدائية لا تظهر ، الا كلما لاح أمل فى
السلام .. ثم تحول العمل الفدائى الى أعمال اغتيال وارهاب
وتخريب ضد مصر .

● موقف المتفرج .. لماذا ؟

ولذلك ، على الرغم من استنكار الاتحاد السوفيتى لخطف
الطائرات ، فانه فضل ان يقف موقف المتفرج فى اول الامر .. على
أساس ان الامر سسيطور الى تراجع أمريكى .. وان المنظمات
الفلسطينية قادرة على اسقاط الملك حسين .. وهو الذى يساعد ،
وهو الذى يمد بالسلاح .

وبذلك سيكون النصر مظهرا للاتحاد السوفيتى .. بعد ان
هاجمت المنظمات الفلسطينية عبد الناصر واتهمته بالخيانة لانه قبل
مشروع روجرز .. فى الوقت الذى كان السفير السوفيتى فى
واشنطن يؤكد لامريكا - سرا - ان الاتحاد السوفيتى لم يرفض
مبادرة روجرز !

ونجحت خطة كسينجر فى الاعداد الفعل للتدخل العسكرى
الامريكى فى الاردن ، اذا ما حدث تدخل سوفيتى .. وكان الخلاف

بسه وبين نيكسون أن الرئيس الأمريكي كان يريد تدخل أمريكا عسكرياً فقط . مع منع إسرائيل من التدخل . وكان نيكسون يريد أن يترك الأمر لإسرائيل ، بالمساعدات الأمريكية طبعاً . إذا حدث أى تدخل من دولة عربية أخرى . وبحثت أمريكا تدخل العراق . وكانت التقارير إليها من سفارتها في عمان أن سوريا لن تدخل .

واشتدت البيانات العراقية التي تهاجم مصر . يوماً بعد يوم . ثم يتضح بعد ذلك - لكسينجر - من واقع الأحداث أن القوات العراقية الموجودة حينئذ في الأردن وعددها ١٧ ألف جندي لم تحرك ساكناً . بينما الجيش الأردني - الموالي للملك حسين - يسحق قوات الفدائيين على مقرية منها . هذا ما سوف يسجله كسينجر في صفحات مقبلة ، بل أنه يسجل أيضاً ما نصه : « أن الجيش العراقي ظل ساكناً وكان يحرك نفسه - كلما ظهرت الضرورة لكي يعتمد عن طريق الأذى » .

● تحليل كسينجر للسوفيت :

ولكن كسينجر يحلل موقف الاتحاد السوفيتي بأنه أخطاء التقدير . لأنه لو كان قد ضغط على المنظمة الفلسطينية الماركسية (جورج حبش) وأنقذ الرهائن . وكسب للفلسطينيين إطلاق سراح المسجونين في أوروبا . لكان موقف الاتحاد السوفيتي قد تدعم أكثر في الشرق الأوسط ولكان موقف الملك حسين قد تدهور . وتهدد عرشه ، لأن التهديد الفلسطيني قد أفلح . ولأن أمريكا عجزت عن التدخل ولأن موسكو هي التي حلت الأزمة .

ولذلك قرر كسينجر وأقنع نيكسون بأن الوصول بالموقف إلى حافة المواجهة العسكرية بين أمريكا والاتحاد السوفيتي . بطريقة جادة وحازمة . سوف يجبر الاتحاد السوفيتي على التراجع . وسوف يدعم عرش الملك حسين الصديق المعتدل المتجاذب مع السياسة الأمريكية . وسوف يقضي على الفدائيين . بل أن نيكسون هو صاحب فكرة انتهاز الفرصة للقضاء على الفدائيين وتصفيتهم تماماً .

وتشجع حسين للمواجهة الشاملة مع الفلسطينيين في الأردن . (أما ياساً . أو ثقة في قدرته) كما يقول كسينجر . وشجعه على ذلك أن الجيش الأردني الذي يدين بالولاء له . شمر أن كرامته

تأبى عليه هذه الاهانات التي يتلقاها من المنظمات الغداثية .. وقرر أن يتدخل لضرب الغدائين .

وأذكر في ذلك الوقت أن صديقا ماركسيا لي من المتصلين اتصلا وثيقا بالتحرك الفلسطيني في الاردن .. قال لي أن ياسر عرفات قد دعم كل مواقفه العسكرية حول عمان .. وأن اسقاط حسين سوف يتم في ساعات .

وطبعا هذه المعلومات كانت مقنعة للاتحاد السوفيتي ، لانها وصلتهم بالقطع عن طريق المنظمات الفلسطينية الماركسية وغير الماركسية .. ولذلك فضلوا أن ينتظروا .. لكي يحققوا هذا المكسب .

ولكن ما أن راوا أن الموقف الامريكى سوف يضطربهم الى تدخل عسكري .. وحتى لا ينكشفوا أمام العرب .. تراجعوا .. وطلبوا من عبد الناصر أن يتدخل ، ومن الدول العربية الصديقة لهم أن تتدخل .. وحذروا من خطورة الموقف . بل طالبوا - واشتغلون سرا - بموقف امريكى سوفيتى موحد ، لوقف القتال .. وتنصلوا من اى علاقة لهم بالمنظمات الفلسطينية .. وبعثوا الى امريكا فى الرسالة السرية يقولون أنهم سيحاولون الاتصال بالغدائين عن طريق غير مباشر !!

وكانت رسائل السوفيت الى عبد الناصر وباقي الدول العربية تقول : حاولوا أن تصلوا الى حل سياسى .. وتجنبوا التدخل العسكري الامريكى .

● تنسيق حسين مع امريكا واسرائيل :

وسيجد القارئ فى الصفحات المقبلة من مذكرات كسينجر ، كل أسرار اتصالات الملك حسين بامريكا ، واعتماده على المساعدة الامريكية ، وضمان التشاور مع اسرائيل قبل أن تقدم على أى عمل .. كما سيجد كيف أن القوات السورية قد تحركت - وهى على بعد ١٠ أميال فقط فى ٢٠ سبتمبر ١٩٧٠ - بماتنى دبابه فى منطقة أربد شمال الاردن ، دمر الجيش الاردنى منها ٣٠ دبابة فى اول هجوم .. ثم يطلب حسين من امريكا أن تشن غارات جوية على خصومه وتقرر امريكا ترك هذه المهمة لاسرائيل .. ويطلب حسين قوات امريكية برية .. وانتهزت اسرائيل الفرصة وقالت أن الموقف يقتضى هجوما برىا سريا .. وتم التنسيق .

وكان كافيا لانسحاب القوات السورية ، مجرد بيان أمريكي ينذر
بخطورة العواقب .. ويطلب الانسحاب السوري الكامل ..
وانسحبت القوات السورية على الفور .. بل أن الاتحاد السوفيتي
أبلغ أمريكا وأقسم أنه لم يكن يعلم بنوايا سوريا .. وأنه يكرر
أصراره على الموافقة على مبادرة روجرز وأنه يقف الى جانب تسوية لازمة
الشرق الاوسط على أساس قرار مجلس الامن ٢٤٢ .. وخلت من
بيانات الاتحاد السوفيتي كلمات الامبريالية .. وخلت من اتهام
أمريكا بالتواطؤ مع الملك حسين .. وبعد أن كانت موسكو لا ترد
على طلبات واشنطن بأن يتدخل الاتحاد السوفيتي بمساعيه لوقف
الحرب الاهلية في الاردن .. انتظارا لسقوط حسين ، تغير الموقف
بعد التحركات العسكرية الامريكية .. واصبحت أمريكا هي التي
لا ترد على اعتذارات الاتحاد السوفيتي .. بل تضاعف من تحركاتها
العسكرية المكشوفة لارهاب الاتحاد السوفيتي .. وظهر السفير
السوفيتي في واشنطن بعد أن اختفى عشرين يوما .. وفهم أن
أمريكا لن تغير موقفها الا اذا انسحبت الدبابات السورية على الفور
.. وتم ذلك في نفس اليوم .. بل أن سلاح الطيران السوري الذي
كان يرأسه حينئذ حافظ الاسد لم يشترك بطائرة واحدة .

ولكن البيانات السورية ضد حسين .. لم تنقطع !! والاتهامات
المعروفة ترددت من دمشق التي تراجعت في خزي .. ومن بغداد
التي هربت بقواتها وخانت الفلسطينيين .. ولكنها لم تتوقف عن
البيانات الملتهبة .. ورفض العراق الاشتراك في مؤتمر القمة العربي
الذي دعا اليه جمال عبد الناصر في القاهرة ، وكانت تونس قد
طلبت منه عقد المؤتمر . وهكذا انعقد مؤتمر القاهرة في ٢٢ سبتمبر .
وكانت كل محاولات عبد الناصر هي أن توقف المذبحة . لأن
الفلسطينيين يتساقطون بالآلاف رجالا ونساء وأطفالا .. والملك
حسين مستمر في عملية الإبادة ، والاتحاد السوفيتي متراجع ..
وأمريكا تنذر بالتدخل العسكري .. وامرائيل تهدد بضرب مواقع
الصواريخ المصرية في القناة .. ولا سبيل لانقاذ الفلسطينيين
الا بتدخل الدول العربية لوقف اطلاق النار .. وأرسل المؤتمر
نداءاته الى الملك حسين ليقف النار أكثر من مرة .. وذهبت أكثر
من بعثة عن المؤتمر برئاسة الرئيس نميري .. وفشلت كل المحاولات
مع الملك حسين الذي اكتشف ثلاث مؤامرات لاغتياله ، والذي ظل
يراوغ حتى يقنى الفلسطينيين .

واستطاع المؤتمر أن يفرج عن عدد من زعماء المقاومة السجنا. من عمان ومنهم . أبو اياد ، الذي ينهم مصر الآن بالخيانة . . وقد حضر مع نمرى والى على المؤتمر أن يسعى لوقف النار انقاذا للأرواح الفلسطينية . . ثم حضر ياسر عرفات الذى طالب المؤتمر أيضا بوقف النار . . وخرجت من المؤتمر فكرة عاقلة . بدعوة الملك حسين للحضور . . لانه لا سبيل الا مواجهة الطرفين والوصول الى حل يوقف المذبحة . . وحسين فى موقف المنتصر .

● مزايادات القذافي وعرفات :

وبدأت مزايادات من معمر القذافي . . ومن ياسر عرفات . وانتهى الامر الى حضور حسين . . واجتماعه بعرفات . . وتدخل عبد الناصر المباشر . حتى أوقف إطلاق النار وقفا فعليا . . وحتى تم اصدار اتفاق القاهرة الذى ينظم العلاقات مع العمل القذافى . . وفى اليوم الاخير للمؤتمر . . مات عبد الناصر بعد وداعه لأمير الكويت . ويذكر أنور السادات فى كتابه . البحث عن الذات . عن هذا المؤتمر هذه السطور :

« لم يستطع عبد الناصر السكوت على تصفية المقاومة فى الاردن . فدعا الى مؤتمر الفساهرة - برغم كل ما ناله من اذى . من تهجم الفلسطينين عليه بحملتهم الشرسة لانه وافق على مشروع روجرز - وحضر جميع الملوك والرؤساء العرب ما عدا الملك حسين . . أما أنا فقد كنت قد شفيت لتوى من الازمة القلبية التى انتسابتنى للمرة الثانية سنة ٧٠ وحضرت الى القاهرة للاشتراك فى المؤتمر . . »

ثم يقول السادات :

« حضر المؤتمر معمر القذافي وكان ظاهرة تلفت النظرة بالطبينة التى لا تفارق حزام سترته . كما كان دائم السباب فى الملك حسين . . كان يصفه بأنه رجل مجنون ولايد من دخوله مستشفى المجاذيب . . وكنت أنا . الى ذلك الوقت . افسر سلوكه على أنه نوع من اندفاع الشباب والحماس الزائد عن اللازم . . المهم . . انقسم الاعضاء الى مؤيد لمجى الملك حسين ومؤيد لعدم مجيئه ولكنهم انتهوا الى اقتراح عبد الناصر من ضرورة اشتراك الملك حسين فى المؤتمر . . فعلا جاء الملك حسين وسار المؤتمر . ولكنه أصبح يشكل تقلا رهيبا على الاعصاب . لا من ناحية الملك حسين . بل من ناحية معمر القذافي وتصرفاته هو وياسر عرفات من خلف الكواليس . . »

ثم يروي السادات :

« كنا مجتمعين ذات صباح في جناح عبد الناصر في فندق هيلتون أثناء انعقاد المؤتمر ، وكان معنا ياسر عرفات .. وكان جمال حريصا على أن يصل الى صيغة يحل بها المشكلة .. وكان من رايه أن يتنازل كل من الطرفين قليلا ، فكلاهما مخطئ ، .. فإذا بياسر عرفات يفعل ويبدأ سلسلته من الانفجارات لا نهاية لها .. ضاق جمال بالوقف فقال له : أنا ما أعلمش ده كله عشانك ويتحرق دمي بالشكل ده عشانك وانت يبقى موقفك كده »

وترك عبد الناصر الجناح عائدا الى بيته بعد أن أعلن تصميمه على عدم العودة الى المؤتمر .. لحقنا به وهو يهم بركوب المصعد ، فأقنعناه بالعودة معنا .. وبعد محاولات عديدة ابتداء ياسر عرفات يستجيب .. »

ثم يقول السادات :

« المهم ان المؤتمر كان حملا ثقيل على أعصاب عبد الناصر ، فقد أجهد فيه أعنف اجهاد بسبب القذافي وتصرفاته من ناحية ، ومن ناحية أخرى بسبب ياسر عرفات الذي كان عبد الناصر قد دعا الى عقه المؤتمر ليحل له مشكلته .. »

ويصف السادات بعد ذلك قصة وفاة عبد الناصر .. بعد أن ودع الملك فيصل ثم أمير الكويت .. بعد انتهاء المؤتمر الى قراراته ..

● حوار من المؤتمر

وحديث المزايدات في هذا المؤتمر ، يمكن أن يملا مجلدا ، اذا نشرت محاضرات اجتماع جلسات المؤتمر الثلاث .. وما دار وراء الكواليس .. ذكرت بعضها في تعليق سابق ..

ومنها قول القذافي : يجب ألا نشق في الاتحاد السوفيتي بعد حرب ٦٧ .. واذا كان الاتحاد السوفيتي يطلب منا الآن الحل السياسي ، ويطالبنا بالتدخل لوقف المذبحة .. ويتراجع أمام التهديد الأمريكي بالتدخل العسكري .. فان مسئوليتنا جميعا أن نتدخل كل الجيوش العربية لمحاربة أمريكا ..

ثم قال القذافي - وهذا مسجل - بعد أن سخر الكثيرون من هذه الهلوسة : اؤكد لكم أن عددا ضخما من الشعب الأمريكي سيتطوع مع الجيوش العربية .. لكي يقاتل الاساطيل الأمريكية .. وقواتها البرية والجوية ..

أما عن واقعة اتهام القذافي للملك حسين بالجنون ، فهذا نص حوارها .. كما جاء في جلسات المؤتمر :

الملك فيصل : جاءتنى برقية من الملك حسين يطلب موعدا .
القذافي : والله ملك مجنون ، وهذه أبسط كلمة تطلق عليه .
وأبسط شيء أن يؤخذ لمستشفى الامراض العقلية .
عبد الناصر : الموضوع عايز لجنة طبية تفحصنا جميعا وتشوف
نمجن المجنون ، وأول واحد تشوفه القذافي .
الملك فيصل : مستعد أقدم نفسى خليهم يعطونى شهادة
وأستريح .

القذافي : فيه اعراض !!

ولم يقتصر القذافي على هذا .. بل اتهم الملك فيصل . وأمير
الكويت بمساعدة الملك حسين .. ضد المقاومة .
وسأروى في تعليق مقبل قصة مزايده القذافي .. عندما عرض
عبد الناصر حضور الملك حسين .

ولكننى اكتفى - فى هذا التعليق - بما جاء على لسان عبد
الناصر عن هدف المؤتمر :

- نحن هنا لا نزايد . نريد وقف اراقة الدماء . أنا ارسلت الى
الملك حسين برقية قيل فى دمشق أنها شديدة اللهجة . واحنا سوف
لا نذيعها لاننا لا نريد المزايدة . أنا عندى جواب من ياسر عرفات
يقول أن كل ما يهمه هو وقف اطلاق النار . الوفد الذى أرسلناه
سوف يحاول مع الملك حسين تحويل الوضع العسكرى الى مدنى .
سيحاولون أيضا ايجاد صيغة لاتفاق يضمن عدم تجدد هذه المأساة .
ان القوات الاردنية لا تزال تضرب الفدائيين ولم تحترم وقف النار .

● لن ادخل بقوات مصرية

وقال عبد الناصر فى حوار آخر :

- أنا مستعد اصدر بيان ملتهب واستريح . ويمكن تصفقوا لى .
وأنا مستعد اعطى الفدائيين اذاعة أو اثنين وأذهب الى الاسكندرية
والناس تقول انى ثورى ونترك الناس تدبغ بعض . الواقع أن هناك
مخطط فى الاردن . جورج حبش اخذ مطارا وأحرق طائرات .. هل
تقبل انت يا سالم ربيع (رئيس اليمن الجنوبي الماركسى) أن تأتى
جماعة الى اليمن ويتصرفوا هذا التصرف حتى لو كانوا من بلد شيوعى
.. ان السلطة فى الاردن تستطيع ان تقضى على الفدائيين . تدخلنا

لغائدة العدائين • الملك حسين غير مهدد • الناس الى ينسحب هم
العدائين • وهناك فلسطينيون يريدون ان يشعروا • • وهناك في
الاردن المجالي ووصفي النبل • والسؤال : هل احنا مستعدين نحارب
في الاردن ؟ • لا • انا بصراحة : اقول لا • • السوريون ادخلوا
٣٠٠ دبابه ثم سحبوها • •

وقال عبد الناصر :

- المهم ان نوقف المجزرة • لقد خططوا على اساس ان يفصوا على
المقاومة في ٣ ساعات • وقد قلت للمفدائين انكم عندما تفسعون
الحسابات فان الاردن لديه أكثر من ٥٠٠ دبابه • عندما تقول صحف
المقاومة والعراق والجزائر : الملك العميل • معناه انه سوف يضر بهم •
وهذا الكلام لو قيل للنبي محمد لما سكت • اقول نحن ننوسط لوقف
المذبحة • لو كان الهدف من المؤتمر هو ادانة الملك حسين لخلصنا
الموضوع في ٥ دقائق • لكن حاليا في اذاعة الجزائر وبغداد ودمشق
أكثر من ادانة • بل يبلعنوا أبوه • الاتحاد السوفيتي باعثن يقولوا
لي أن العملية خطيرة ولا بد ان تجنب المنطقة ويلات التدخل الامريكي
والاسرائيلي في الاردن وفي لبنان وسوريا • وهم مترجعون من دخول
القوات السورية • أنا أقدر اطلع ببيانات •

أنا اعمل ايه لو نزل الامريكان في عمان • عندي قوات في القناة •
لو طلعها يهاجموني اليهود • أنا حابقي أحارب الامريكان • تقدير
الاتحاد السوفيتي ان أي تدخل يضر بمصلحة العرب •

القذافي - بعد ٦٧ ماعدناش نصديق الاتحاد السوفيتي • •

ربيع - مسئولية مصر التدخل العسكري • •

عبد الناصر - انتم تطلعوا بيانات وانا الى احارب • عايزين تحرروا
تعالوا قدامي • واحنا مش عاوزين مزايديت والي يتكلم ينكم بالحساب
أنا عندي ٦٥٠ الف عسكري • وفي ديسمبر حيصبحوا ٧٥٠ الف
عسكري العراقي عملت ايه ؟ • نقصت ميزانية الجيش • هيه عملية
استكراد والا ايه ! • • الي يحب يحارب الملك حسين يروح يحارب
• • هذا واقعنا العراق انشتم من اسرائيل • مفيتر أي تعليق من
بغداد على كلام اسرائيل • وانما ضد مصر • • على مايجرى على القناة •
القذافي • يجب ان نحارب امريكا • وسوف ينطوع امريكيون
للفتال معنا •

● سألنا سويا

عبد الناصر : الاخوان السوريون دخلوا وقالوا انهم لم يتقدموا



ملفين لورد

اجتماع مع روجرز ثم نيكسون لوضع
خطة الطوارئ. لعملية عسكرية في
الاردن ..



هارولد سوندز

تقرير متشائم عن تدهور سلطة
ومكانة النظام الهانسي ومستقبل الملك
حسين ..

جنوب أريد . سألناهم - هل حسبتم حساب اسرائيل وامريكا ..
قالوا لا .. انا لا أريد ان أخدع أحدا . لقد قيل اليوم ان الدبابات
السورية انسحبت لان مصر ضغطت عليها . هذا كذب . عندي
تفصيلات كاملة على كل ما حصل .

عرفات . اسرائيل فتحت حسمورها لاستقبال جرحانا ..
القدافي : نقطع العلاقات مع الاردن . والذي لا يقطعها مجرم .
وتدخل الجيوش العربية لمحاربة امريكا اذا تدخلت ..
عبد الناصر : الموقف يتطلب الا نتكلم بعصبية ونرفزة اى كلام
.. من الناحية العسكرية انا لا استطيع ان أحرك اى عسكرى .
الى عنده الوية بيعت بها الاردن . اذا رأيتم ان ياسر عرفات يخرج
جماعة من أريد ثم يعيد بناء الجيش الفلسطينى .. احسبوا انتم ايه
القوات الى ممكن تبعثوها .

مصر لن تشترك . المعلومات التى لدينا ان اسرائيل تستعد
لضربنا . لقد دخلنا الحرب فى سنة ٦٧ علشان سوريا موش علشان
مصر . عندنا قتلى ١٩ الف و ٥٠٠ ضابط وجندى . لا استطيع ان
أغامر . واعطى لاسرائيل فرصة القيام بعبور الى غرب القناة .



وبعد .. فأننى اعتذر للقارىء عن اطالة التعليق .. ولكن الحقائق
يجب ان تظهر للجماهير العربية سريعة النسيان . هذا هو موقف
العراق من مذبحه سبتمبر . وهذا هو موقف سوريا . وهذا هو
موقف المزايدين باصدار البيانات .. والمطالبين بمحاربة امريكا ..
وهذا هو موقف مصر .

مذبحة "أيلول" الأسود

✱ كسينجر يشرح من وجهة نظره كيف تفجر الموقف في الاردن .. ودى المذبحة الفلسطينية في « أيلول الأسود » ٠٠٢

✱ الاتحاد السوفيتي يعطي الفرصة كاملة لأمريكا لكي تعيد التوازن في الشرق الاوسط لصالحها .

✱ حسين يطلب مساعدة امريكا واسرائيل لضرب الفلسطينيين .

✱ نيكسون يعارض أى تحرك عسكري اسرائيلي .

✱ العراق يوجه الانذارات .. ولا يفعل شيئا .

✱ أمريكا تتعمد ان تكشف تحركاتها العسكرية لموسكو ..

مزيج "أيلول" الأسود

كتب كسينجر :

بعد عام ١٩٦٧ بوجه خاص ٠٠ قام رجال حرب المصائب الفدائية بتدعيم مراكزهم في الاردن داخل مخيمات وقواعد يشنون منها هجمات في داخل اسرائيل والاراضى التى تحتلها ٠٠ وهى قواعد منظمة جيدا .

وبالإضافة الى هؤلاء ، كان يوجد ١٧ الف جندي عراقي فى القطاع الشرقى من الاردن ٠ وكان وجوده هناك من مخلفات حرب ١٩٦٧ .



فى صيف عام ١٩٧٠ كان الملك حسين يواجه خطرا محدقا . الفدائيون الغاضبون من جهوده للتوصل الى تسوية سياسية مع اسرائيل يتحدون جيشه (الذى يتكون أساسا من البدو) بصورة متزايدة ٠ وكانت قد جرت محاولة لاغتيال الملك فى ٩ يونيو ٠ وطرد الملك حسين بعض قادة جيشه بنفسه ٠ وتردد فى مهاجمة الفلسطينيين الذين كان يحكمهم حتى عام ١٩٦٧ وكان يأمل فى إعادة توحيدهم مع مملكته .

فقد كانت فلسطين تشمل جميع الاراضى الواقعة بين العراق والبحر المتوسط الى أن جاء عام ١٩٢١ وقررت بريطانيا تأسيس مملكة لحلفائها الهاشميين فى شرقى الاردن .

وتدهورت الاوضاع فى عمان فى عام ١٩٧٠ .

الاحتمالات ولم تكن عملية كمبوديا قد وصلت الى نهايتها . وقواتنا موزعة حول العالم والمتظاهرون حول البيت الابيض علامة على تفكك داخلي لدينا . كما ان العمل العسكري في الاردن يتسم بصعوبة فنية ايضا لاننا فقدنا خلال السنوات التي مرت منذ عملية الانزال الامريكية في لبنان (اكثر من ١٠ سنوات) في عام ١٩٥٨ قواعدنا في بعض المناطق (ليبيا واليونان وتركيا) او الحق في استخدام هذه القواعد في منازعات الشرق الاوسط .

ومما ساعد على استبعاد فكرة التدخل العسكري الامريكي ذلك الاعتقاد السائد لدى الكثيرين بانه حتى في حالة نجاح هذا التدخل فانه سوف يشوه صورة حسين في سائر انحاء العالم العربي وربما يكون بمثابة حكم باعدامه سياسيا .

● نيكسون يوجه استنطة

وشعرت بميل الى دعم حسين اذا أمكن ذلك . . تماما كما كنت اسمي الى احباط عبد الناصر مادام يعتمد بشدة على السوفيت ويساند

كل الحركات المتطرفة . وهكذا بدالى فى ذلك الوقت أنه من الاهمية
 بمكان البرهنة على ان الصداقة مع الولايات المتحدة لها منافعها .
 فقد دافع حسين دائما عن الاعتدال وقاوم المد المتطرف وتفادى
 « موضة » الشعارات المناهضة للغرب . وكان يواجه صعوبات بسبب
 امتناعه عن السماح للفدائيين باطلاق العنان لحركتهم . وانهيار حسين
 يمكن أن يؤدى الى سيادة التطرف فى الشرق الاوسط كله .
 ولن تقبل اسرائيل اقامة قواعد للفدائيين على طول حدودها مع الاردن
 . . وسيكون احتمال نشوب حرب جديدة فى الشرق الاوسط هو
 الأرجح . وهكذا كان الاردن - فى رأى - اختيارا لقدرتنا على التحكم
 فى احداث المنطقة . وكان نيكسون يتفق مع هذا الرأى . فقد ذكر
 فى اجتماع لمجلس الامن القومى الأمريكى يوم ١٧ يونيو :

« دعونا نفترض اننا تلقينا فى اواخر هذا الصيف طلبا من لبنان
 أو الاردن للمساعدة ، أو أن شيئا ما حدث فى لبنان . ما الذى
 نستطيع أن نفعله ؟ سوف يأتى وقت تتمرض فيه الولايات المتحدة
 لامتحان من زاوية مدى جدارتها بان تكون موضع ثقة وتصديق فى
 المنطقة . وسيكون السؤال الحقيقى هو : هل سنتحرك ويجب أن
 يكون عملنا موضع دراسة من هذه الزاوية . يجب أن نكون
 مستعدين . . هل هى مسألة عسكرية فى الحقيقة ؟ أم هى مسألة
 الثقة بنا كقوة فى تلك المنطقة ؟ »

● انفجار الموقف

واعد هارولد سوندرز ، أحد الخبراء الذين يعملون فى مكتبى ،
 تقريرا للرئيس نيكسون فى اوائل شهر يوليو كان يتضمن الكثير
 من العبارات المتشائمة : « سلطة ومكانة النظام الهاشمى فى تدهور
 . . المزيد من حرية العمل للفدائيين سيؤدى حتما الى المزيد من
 انتهاكات وقف اطلاق النار فى وادى نهر الاردن . . حسين يواجه
 مستقبلا سياسيا غامضا » .

والحادث الذى فجر الموقف فى الاردن وقع اول سبتمبر عندما
 حاول الفدائيون الفلسطينيون للمرة الثانية خلال ثلاثة أشهر اغتيال
 الملك حسين . ونشب القتال على الفور بين الجيش الموالى لحسين وبين
 الفدائيين .

وحدد العراقيون باستخدام قواتهم المسلحة فى الاردن « لاتخاذ
 جميع الاجراءات الضرورية لحماية العمل الفدائى » . وكان الملك
 قد ابلغ بالفعل المسئولين فى سفارتنا فى عمان بأنه قد يضطر الى

اتخاذ خطوات أشد خطورة ، وأعرب الملك عن الامل فى أن يتمكن من الاعتماد على الدعم الأمريكى . وكان الملك يظن أن إصدار بيان علنى قوى من جانب الولايات المتحدة يمكن أن يكون له اثره فى اضعاف فرص حدوث تدخل خارجى وسيكون من الافضل أن يكون بيانا مشتركا مع الاتحاد السوفيتى .

واتخذت وزارة الخارجية الامريكية موقفا يبعث على الحيرة ازاء طلب الملك حسين .

● طلبات اودنية

كانت الوزارة تحرص فى المقام الاول على الاستمرار فى مبادرتها السلمية (مشروع روجرز) . ولم يرفع المسئولون فيها هذا الامر (فى حدود معلوماتي) الى البيت الابيض او الجهات المختصة بل اتخذوا موقفا ينم عن عدم الالتزام بشئ ، وأرسلوا ردا فى اليوم التالى الى الملك حسين لابلague بأن التحذيرات العلنية من جانب الولايات المتحدة ستكون لها مضاعفات كثيرة يجب تقديرها ووزنها بعناية .

وفى نفس يوم اول سبتمبر وجه العراق انذارا جديدا بأنه اذا لم تتوقف المدفعية عن قصف الفدائيين حتى الساعة الحادية عشرة مساءً فان الجيش العراقى سيتخذ الخطوات التى من شأنها ايقاف عمليات القصف . وابلغ زيد الرفاعى المستشسار الوثيق الصلة بالملك (وتلميذى السابق فى هارفارد) سفارتنا بهذا الانذار وجدد طلب الملك المتعلق باصدار بيان من الدول الكبرى . كما وجه سؤال الى سفارتنا حول ما اذا كنا نعرف ما ستفعله اسرائيل اذا تحرك العراق .

وكان السؤال الاخير بالغ الاهمية اذا انه من المستبعد ان تسمح اسرائيل للعراق بتحريك قواته لتقترب هذه القوات من حدودها كما أنه من المستبعد أن يقف الجيش الاسرائيلى ساكنا أمام احتلال الفدائيين الفلسطينيين لوادى الاردن . ولكن مشكلة الملك حسين هى أنه لم يكن يستطيع ان يوافق على انضمام القوات المسلحة الاسرائيلية اليه فى نزاعه مع خصومه اذ لا يوجد لديه الدافع لتدمير مركزه الادبى فى العالم العربى . ولم يكن توجيه السؤال عن التوايا الاسرائيلية جديدا ، فقد طرح نفس السؤال من جانب الملك فى يوم ٤ أغسطس عندما رفضت القوات العراقية التى تعسكر فى شرقى الاردن انها مناورتها العسكرية فى الموعد المقرر وذلك بهدف ممارسة الابتزاز . فى ذلك الوقت ابلغ سفيرنا فى اسرائيل واشنطن

بان اسرائيل سوف تشن هجوما اذا تحركت القوات العراقية صوب الغرب . ولم يثر السفير الامريكى فى تل ابيب هذه المسألة مع الحكومة الاسرائيلية . ولم يأخذ مكتب الشرق الاذن بوزارة الخارجية الامريكية هذه المسألة باهتمام فى ذلك الوقت الى حد ان الملك حسين لم يتلق ردا على سؤاله .

● تسوية على الطبيعة

وفى يوم ٢ سبتمبر زار جاكوب بيم سفيرنا فى موسكو سرجى فينوجرادوف نائب وزير الخارجية . وبطريقته المهدئة طلب من السوفيت استخدام نفوذهم فى حمل اصدقائهم المراقبيين على ضبط النفس . وابتدى فينوجرادوف اهتماما يشبه اهتمام المم بتصرفات ابن شقيقه . فقد كان الاتحاد السوفيتى مهتما بالابقاء على ظروف موالية لمعادنات السلام . وقال فينوجرادوف ان الاتحاد السوفيتى لا يعرف شيئا عن اى انفار عراقي ولذلك فمن الصعب على موسكو اتخاذ موقف رسمى . اعرب فينوجرادوف عن رايه الخاص بان العراق لن يتدخل فى شئون الاردن ، ثم عاد يقول انه لا يوجد من يستطيع التنبؤ بما يمكن ان يحدث فى الشرق الاوسط .

وبايجاز فان موسكو كانت تحتفظ لنفسها باختيارات مفتوحة . كما ان بقاء اناولى دوبرينين (السفير السوفيتى فى واشنطن) فى موسكو فى فترة اواخر الصيف لا يدع مجالا للشك فى ان السوفيت ليسوا مستعدين لبذل اى جهد لتهدئة الموقف . ولذلك كان لابد من تسوية الامر على الطبيعة .

وفى يوم ٢ سبتمبر ابلغ زيد الرفاعي سفارتنا فى عمان بان المراقبين لم ينفذوا تهديدهم . وبعد ثلاثة ايام اعاد الرفاعي تأكيد اهتمامه باصدار بيان من الدول الكبرى يحث على ضبط النفس . ورد القائم بالاعمال الامريكى فى عمان على الاسئلة الاردنية المتجددة حول نوايا اسرائيل بتصريح فريد فى نوعه . وكان هذا التصريح يعكس موقف وزارة الخارجية الامريكية . قال القائم بالاعمال الامريكى انه لا يستطيع ان يتصور قبول الاردن المساعدة من عدوتها اسرائيل ضد دولة عربية شقيقة .

وكان الملك ، بطبيعة الحال ، ابرع من ان يطرح المسألة بهذه الطريقة . واذكى من ان يطلب القاء محاضرات عليه (عن نتائج السؤال الذى صدر منه) من جانب مسئولين امريكيين .

● هدوء قبل العاصفة

وفي الخامس من سبتمبر هدأ الموقف .. فقد تم منع الفدائيين من السيطرة ولكن الملك لم يكن قد استعاد سلطته على الإطلاق . لكنه كان الهدوء الذي يسبق العاصفة .

لا يوجد تفسير مقنع للسبب الذي جعل الفدائيين يتصرفون على النحو الذي تصرفوا به خلال الفترة التي أطلقوا عليها ، هم أنفسهم فيما بعد اسم (سبتمبر أو أيلول الأسود) .

ففي بداية سبتمبر كان عبد الناصر والسوفيت قد نجحوا في تحريك شبكة صواريخهم صوب قناة السويس . وكانت الولايات المتحدة تستعد للضغط على إسرائيل لدخول مفاوضات يشترك فيها الاردن الذي يتطلع الى الانسحاب الاسرائيلي من الضفة الغربية . ولو كانت الامور قد سارت دون قلاقل .. فان العملية كانت ستحتمل في طياتها الكثير من عناصر الامل بالنسبة للعرب . فقد تحطمت السيادة العسكرية الاسرائيلية المطلقة على القناة .. وكان من المؤكد أن تتكاثر الضغوط على إسرائيل بمجرد بدء المفاوضات .

ولكن المتطرفين في وسط الفدائيين كانوا يتطلعون الى شيء آخر . ان هدفهم ليس السلام مع إسرائيل بل تدميرها . لم يكن هؤلاء يجدون من يعترف بهم باعتبارهم كيانا سياسيا وعوملوا على الصعيد الدولي كلاجئين .. وفي العالم العربي كانوا محور مزيج من الخوف والمداينة . أما بالنسبة لإسرائيل فقد كانوا قتلة ارابيين .

ولم يكن هؤلاء يسمعون وراء تسوية سياسية يمكن عن طريقها إيجاد حل وسط لمطالبهم أو تفاهم حولها بل كانوا يريدون قاعدة تحت سيطرتهم يستطيعون أن يشنوا منها الهجومات الحاسمة على إسرائيل وتدميرها . ومن هذه الزاوية فان محاولتهم اعاقا التقدم الدبلوماسي كان لها أساس عقلائي .

ومن ناحية أخرى ، فقد كان الفلسطينيون يوسعون نفوذهم تدريجيا في الاردن . كانوا يقتربون من نوع من الاستقلال الذاتي ..

بمخالفاتهم في تصرفاتهم .. حطموا بأنفسهم الافاق التي كانت توجد أمامهم وانتهى الامر بطردهم الى لبنان . والازمة التي تسببوا فيها اتاحت للولايات المتحدة (وفي هذا ما يكفي من سخيرية الاحداث) الفرصة لاستعادة الكثير مما خسرت بسبب ترددها خلال الاشهر السابقة .

● طائرات بالجملة

وانفجرت الازمة مرة أخرى في ٦ سبتمبر عندما قام أعضاء في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - الماركسية - وهي أكثر حركات الفدائيين تطرفا باختطاف عدة طائرات . وارغمت إحدى هذه الطائرات (وهي جامبو ٧٤٧ تابعة لشركة بان أميركان) على التوجه الى مطار القاهرة حيث أطلق سراح ركبائها ونسفت الطائرة . وتم ارجاع طائرة ركاب أمريكية أخرى من طراز ٧٠٧ وطائرة ركاب سويسرية (د.س. ٨٠) على التحليق الى مطار دوسان وهو شريط قدر من الأرض على مسافة حوالي ثلاثين ميلا من عمان . وفي يوم ٩ سبتمبر اختطفت طائرة أخرى بريطانية (في.سي. ٠ - ١٠) وانضمت الى الطائرتين الأخريين في مطار دوسان . واحتبطت محاولة لاختطاف طائرة اسرائيلية في نفس ذلك الوقت .

عدة مئات من الركاب كانوا ضحايا عمليات الاختطاف بالجملة للطائرات . بينهم سويسريون وألمان وبريطانيون وفرنسيون وأمريكيون وآخرون . وكانت أكثر المجموعات تعرضا للخطر . . الاسرائيليون أو أصحاب الجنسية المزدوجة . . أي هؤلاء الذين يحملون جوازات سفر اسرائيلية وأمريكية في وقت واحد .

وفي السابع من سبتمبر ، عرضت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين إطلاق سراح كل الركاب فيما عدا الاسرائيليين وذوي الجنسية المزدوجة في مقابل إطلاق سراح جميع الفدائيين المحتجزين في السجون السويسرية والألمانية والبريطانية والاسرائيلية . وحددوا مهلة قدرها ٧٢ ساعة .

وفي الثامن من سبتمبر عقد روجرز اجتماعا في مكتبه حضره ملفين ليرد وزير الدفاع وريتشارد هيلمز مدير المخابرات المركزية والكسيس جونسون وكيل الخارجية وجوزيف سيسكو وأنا .

● غاز الاعصاب

افكار حماسية سيطرت على مناقشة مفككة بلا منهج أو هدف . وعلى سبيل المثال . . خصص وقت طويل لمناقشة احتمال استخدام نوع من غاز الاعصاب ضد المختطفين لشل حركتهم دون أن يأخذوا حذرهم . وتوقفت المناقشة حول هذه النقطة لان المجتمعين لم يكونوا على يقين من توافر هذا الغاز في ترسانتنا الحربية ! . . ولان المجتمعين لم يتوصلوا الى رأى حول كيفية توصيل هذا الغاز

الى مسرح الاحداث كما لم يصل المجتمعون الى رأى محدد حول
امكانية القيام بعمل عسكري وكيفية تنظيحه او تنفيذه .

واختتم روجرز الاجتماع باعلان رايه الذي كان قد استهل به
نفس هذا الاجتماع . . وهو أنه لا يمكن عمل أى شىء . .

وتكررت نفس الحجج فى اجتماع عقد فى المساء مع الرئيس
نيكسون وحضره ملفين ليرد وروجرز والكسيس جونسون وسييسكو
وأنا بالإضافة الى ادجار هوفر مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى وجون
ميتشيل مستشار نيكسون . . وتناول الاجتماع الآثار الناجمة عن
عمليات الاختطاف فى داخل أمريكا . . ولم يتخذ الرئيس نيكسون
أى قرار . وكان قد أبلغنى من قبل - ونحن على انفراد - أنه يجب
استخدام عمليات الاختطاف كذريعة لسحق الفدائيين . ولكنه لم
يقبل ذلك فى الاجتماع . وقال انه عند الضرورة القصوى . . يفضل
تدخلا عسكريا أمريكيا على تدخل عسكري اسرائيلي . واعترض
روجرز قائلا أن الولايات المتحدة ستدفع ثمننا باهظا فى حالة اتخاذ
مثل هذه الخطوة العقيم .

● انباء مزعجة

فى تلك الاثناء كنا نتلقى انباء مزعجة من عمان . فقد جاء أن
الجيش الاردنى فى حالة عصيان فعلى بسبب ما يعتبر انه اهانات
واستفزازات من جانب الفدائيين ، والجيش موال للملك ولكنه
يرفض أى تفاهم ويهدد بأن يمسك بزمام الامر لصالح الملك .
ويتزايد الضغط على حسين لاتخاذ اجراء عنيف .

وقمت ، بموافقة الرئيس نيكسون ، باحياء جهاز العمل فى
الازمات داخل مجلس الامن القومى الأمريكى لانتهاء الازمات
البيروقراطية . ومنذ ٩ سبتمبر ظل هذا الجهاز - الذى يحمل
اسم (مجموعة الاعمال الخاصة لواشنطن) - يجتمع مرة كل يوم
على الاقل طوال ١٧ يوما لمناقشة الاختيارات واعداد خطط الطوارئ
وتنفيذ القرارات على أساس منسق .

وفى المرحلة الاولى من الازمة الاردنية كنت أقدم يوميا تقريرين
- وأحيانا ثلاثة تقارير - للرئيس نيكسون حول الموقف . . وكانت
تتضمن توصيات مجموعة الاعمال الخاصة ووقائع عن الاحداث فى
عمان وعن مدى تقدم المفاوضات لاطلاق سراح الرهائن .

واتفقتا في اجتماع في البيت الابيض يوم ٩ سبتمبر على ضرورة ممارسة ضغط امريكي لمنع الدول الاوربية من محاولة عقد صفقات منفصلة تقوم على أساس الاذعان لمطالب المختطفين . وكان موقف اسرائيل هو رفض الابتزاز الارهابي حتى لا تتكرر حوادث الاختطاف .

● مصر الملك والرهائن

ومن خلال تطور الاحداث كان من الواضح أن مصر الرهائن أصبح جزءا لا يتفصم عن مستقبل الملك حسين نفسه . لو لقي مئاث الرهائن مصرعهم على أرضه فان السلطة الملكية في الاردن سوف تسقط أمام العالم أجمع . واما أن يتحرك حسين بدافع اليأس ضد الفدائيين أو أن يطيح به الفدائيون ، وإن كان الجميع قد اتفقوا على أن القيام بعملية انقاذ هي الملاذ الاخير .

● خطط الطوارئ .

كانت لدينا اربعة الوية فقط تستطيع الوصول بسرعة الى الاردن . . . ومثل هذه العملية تعتمد على الاحتياطي الاستراتيجي كله لدينا . . . وسوف يستغرق الامر ٤٨ ساعة لتحريك اللواء الامريكي في المانيا و ٧٢ ساعة لتحريك الفرقة ٨٢ المحمولة جوا من الولايات المتحدة . . . وتدخل هذه القوات يقتضى الحصول على تصريحات بالتحليق فوق دول أو مداخل برية في بلدان مجاورة . وطلبت من هيئة أركان الحرب الامريكية المشتركة تقديم مقترحات خلال ٢٤ ساعة لرفع درجة تأهب قواتنا في أوروبا . . . وأمر الرئيس نيكسون حاملة الطائرات اندبندانس التابعة للأسطول السادس بالتحرك شرقا لتكون على مقربة من الساحل اللبناني على أن ترافقها أربع مدمرات وتنضم اليها - بعد ٢٤ ساعة - مدمرتان أخريان . وتقرر وضع ٦ طائرات من طراز سي - ١٣٠ في قاعدة اينسر ليك الجوية في تركيا لاستخدامها في اجلاء الامريكيين . كان لابد من اتخاذ هذه الخطوات دون اعلان .

وكنيت على ثقة من أن المخابرات السوفيتية - ربما بمساعدة الانباء التي تنسرب في العادة من البنتاجون - ستكشف أمر كل هذه الخطوات . ويمكن أن يكون التزامنا بالصمت سببا في اضفاء طابع ينذر بالسوء . . . على هذه الخطوات .

وأصبح الموضوع أكثر تعقيدا عندما بدأت مجموعة الاعمال الخاصة في بحث الظروف التي تستخدم فيها هذه القوات . لم



زيد الرامحي

سؤال الى السفارة الامريكية في
عمان عن معلوماتنا حول موقف اسرائيل



حافظ الأسد

كان قائدنا ل سلاح الطيران السوري
عندما بدأت المذبحة .. ولكنه لم
يتحرك ولم ينطق ..

يكن هناك شخص واحد يتقبل فكرة تورط عسكري جديد بينما
عدة مئات من الآلاف من الامريكيين مازالوا يقاتلون في جنوب
شرقي آسيا . كان علينا أن نستخدم كل الاحتياطي الاستراتيجي
لدينا - كما ذكرت - وننقله بطريق الجو مما قد يعرضنا للخطر
في حالة هجوم سوفيتي في مكان آخر .. وسيصعب تعزيز العمليات
العسكرية كما أن خطوط امداداتنا غير واضحة المعالم ولا يد أن تمتاز
دولا اجنبية عديدة . وفي هذه الحالة كلما طال أمد الحرب ..
ازداد التعميد في موقفنا .. فاذا ما تدخلت اسرائيل في الاردن
لحسابها الخاص .. فسوف نقوم بعمليات عسكرية موازية لها
لاغراض أخرى . بل ان الامر سيزداد سوءا بالنسبة لمركزنا وهيبتنا
في العالم العربي لو أننا لقينا مصاعب واضطرونا أن نطلب من
اسرائيل أن تخرجنا من ووطنتنا .

● في حالة الطوارئ

لكل هذه الاسباب .. رايت انه من المرغوب فيه أن تفصل بين
عملياتنا العسكرية وعمليات اسرائيل لان ذلك يخدم مصالحنا على
المدى البعيد . وكانت وجهة نظري ان القوات الامريكية يجب
ان تستخدم لاجلاء الامريكيين لان ذلك يمكن ان يتم بسرعة كما
انه يشكل مصلحة امريكية مباشرة . أما في حالة صدام كبير
ينشأ عن تحرك عراقي أو سوري ، فأنني كنت افضل أن تقسم

الدول المعنية مباشرة بتولى المسئولية الرئيسية . ولما كنت اعتبر أن حدوث ود إسرائيل على تحرك عراقي أو سورى شبه مؤكد . فقد كان ظنى أن أحسن استخدام لقوتنا فى هذه الحالة الطارئة هو ردع أى تدخل سوفيتى ضد إسرائيل .

وقد اجمعت الآراء فى واشنطن على هذه الافتراضات . واهلقت نيكسون بهذه الآراء . وظل متمسكا برأى سابق له بأن أى عمليات عسكرية يجب أن تكون عمليات أمريكية فقط . وأراد منا أن نتحرك فقط ضد تدخل عراقي أو سورى أو اضطرابات يثيرها الفدائيون والا ندع إسرائيل تتدخل .

أن وضع المستشار لشئون الأمن عندما يختلف مع الرئيس بالغ الدقة ذلك أن الرئيس يجب أن يطمئن الى أن مستشاره سوف يتصرف كامتداد له وأن يضمن هذا المستشار أن رغبات الرئيس قد وضعت موضع التنفيذ فى كل الوزارات . ومن ناحية أخرى ، فإن الرئيس يجب أن يكون قادرا على الاعتماد على أنه سيتلقى تحذيرا أيا كانت أوامره خطيرة وكان هذا التصرف مهما بوجه خاص بالنسبة لنيكسون فى ضوء ميله الى التصريحات المندفعة التى لم يكن هو نفسه يتوقع أبدا أن توضع موضع التنفيذ .

وفى أزمة الاردن .. وضمت حلا لهذه المشكلة عن طريق اعداد خطتين للطوارئ فى وقت واحد : احدهما تمكس تفضيل الرئيس لعمل امريكى منفرد ، والاخرى تمكس ما توصلت اليه (مجموعة الاعمال الخاصة) - مجلس الأمن القومى - حول وقوف الولايات المتحدة حائلا دون تدخل من الخارج وبهذه الطريقة يستطيع الرئيس أن يختار عندما تجى لحظة القرار .

وفى التاسع من سبتمبر قام يولى فورونوف القائم بالاعمال السوفيتى فى واشنطن بإبلاغنا (عن طريق سيسكو) بأن السوفيت حثوا الاردن والعراق على ضبط النفس . وفى رأى أن الكرملين كان يلعب بالازمة الاردنية كما حدث فى موضوع وقف إطلاق النار . فهو يعلن عن مواقف صحيحة من الناحية الرسمية ولكنه لا يفعل شيئا ببناء للحيلولة دون الاندفاع نحو الازمة .

وعقدت مجموعة الاعمال الخاصة اجتماعا مرة أخرى فى مساء ١٠ سبتمبر . فى ذلك اليوم .. كان الفلسطينيون قد غيروا مطالبهم نتيجة للجهة المتحدة التى استطعنا ان نجعلها تقف بازانهم . فقد وافق البريطانيون والسويسريون والامان على

تسليم المسجونين من الفدائيين في سجونهم بشرط اطلاق سراح جميع الرهائن أولا . واقترح الفلسطينيون عندئذ مبادلة جميع الركاب من النساء والاطفال والمرضى بالفدائيين المحتجزين في أوروبا . وقالوا ان جميع الركاب من الرجال هم الفدية لجميع الفدائيين في سجون اسرائيل .

● مناورة عسكرية

وقررنا زيادة سرعة تخطيطنا للطوارئ . وفي اجتماع مجموعة الاعمال الخاصة (في نفس يوم ١٠ سبتمبر) قال الاميرال توماس مورير ، رئيس هيئة الاركان المشتركة ، ان اجراءات التاهب التي سبق الاتفاق عليها ادت الى تخفيض فترة رد الفعل لدى قواتنا في أوروبا الى النصف تقريبا . وقال انه وجه غواصتين لارسالهما الى البحر المتوسط لتعقب الاسطول السوفيتي وان مناورة عسكرية بر مائية تجري قرب شواطئ جزيرة كريت سوف تنتهي في يوم ١٤ سبتمبر وانه يمكن الاحتفاظ بقوات هذه المناورة (وهي تضم مجموعة انزال تابعة لمشاة البحرية) قرب ساحل لبنان اذا استمرت الازمة .

وطلبت من رؤساء الاركان دراسة كيفية قيام الولايات المتحدة بعمليات عسكرية في الاردن في حالة تنفيذ الرئيس لوجهة نظره التي تفضل عملا امريكيا يقوم على طرف واحد .

وأعرب ريتشارد هيلمز عن رأيه بأن حسين سوف يسعى على الأرجح لتجنب صدام مع الفدائيين خوفا من تدخل سوريا أو العراق . وقد اختلفت معه في الرأي . وكان ردى عليه : « ان ذلك يعني نهايته . ولا طريق أمامه لاستعادة السيطرة بدون القتال » . كنت ارى ان المواجهة حتمية رغم الهدنة الجديدة التي تم الاتفاق عليها بين الحكومة والفدائيين .

● طاحونة الشائعات

وفي ١١ سبتمبر بدأت اجراءات التاهب التي اتخذناها في اليومين السابقين تؤتي ثمارها . فقد تحولت الشائعات عن تحركات اسطولنا في طاحونة نشر الشائعات في عمان . الى انباء عن تدخل امريكي وشيك الوقوع . فقد اطلق الفدائيون فجأة سراح مجموعة من ٨٨ رهينة بينها بعض الامريكيين ، ولكن ليسوا من ذوي الجنسية المزدوجة .

ظهر واضحاً الخلاف بين روجرز وبينى فى ذلك اليوم حول أسلوب معالجة الازمات .

كان روجرز يعتقد انه من المرغوب فيه اشاعة الطمانينة لدى الخصوم المصبيين الذين لا نضمر لهم سوءاً وكان رأى هو العكس . ذلك أننا مادمنّا دخلنا فى مواجهة . . فان التصلب هو احسن السبل واكثرها اماناً . وطن روجرز ان تهدة الجو يمكن أن تساهم فى حل المشكلة . وكان اعتقادى ان الخطر من افلات الموقف وخروجه عن الطريق المرسوم هو الذى يولد الحوافز للتسوية السريعة .

● روجرز يفسد الخطط

وها هو ذا روجرز يستعرض الموقف امام زعماء الكونجرس بنفس المنطق الذى استخدمه قبل ذلك بثلاثة ايام مع الرئيس نيكسون . فقد قال : اننا درسنا كل خطوة عسكرية ممكنة لانقاذ الرهائن وتوصلنا الى انه لا يمكن عمل أى شىء .

وهكذا يفسد روجرز مفعول التحركات العسكرية التى جرى ترتيبها . . بالدقة . . لخلق الانطباع العكسى . . الذى يتناقض تماماً مع الانطباع الناشئ من كلمات روجرز .

ومن حسن الحظ ان الفلسطينيين صدقوا اعمالنا ولم يصدقوا اقوالنا ويحتمل انهم تصوروا أن استعراض الموقف الذى قدمه روجرز امام الكونجرس هو محاولة لخداعهم .

واثناء اجتماع بين الرئيس نيكسون وملفين ليرد ووليام روجرز . . وانا مع زعماء الكونجرس فى المكتب البيضاوى فى البيت الابيض . . استدعانى سيسكو فجأة الى خارج الاجتماع . . وكان شديد الاهتمام . قال انه بسبب التحركات التى يقوم بها الاسطول السادس والتى تنطوى على التهديد . . فان الفلسطينيين حددوا بقتل من تبقى من الرهائن .

● عواقب خطيرة

واجتمعنا فى المكتب البيضاوى بأسرع ما يمكن دون أن نخلق جوا من الرعب .

وطلب الرئيس نيكسون من روجرز وليرد البقاء ودعا سيسكو الى الانضمام إلينا . والح سيسكو وروجرز على اصدار بيان

يتضمن تكذيب أية أنباء عن عمل عسكري أمريكي . وعارضت هذا الموقف لأن اشاعة الطمانينة لدى الفدائيين ستؤدي ببساطة الى اخطار فادحة . وقدمت اقتراحا بديلا بابلغ الحكومات العربية بأن قتل الرهائن ستكون له عواقب جسيمة . ووافق نيكسون على توصيتي .

ونتيجة لذلك قمت بصياغة بيان يلزم جانب الحصر في غموضه لكي يقرأه رونالد زيجلر المتحدث الصحفي باسم البيت الابيض ويتضمن البيان لفت النظر الى بيان للصليب الاحمر جاء فيه أنه « لا يجري التفكير في عمل عسكري » .

● تفجير الطائرات

وفي يوم ١٢ سبتمبر قام الفلسطينيون بتفجير الطائرات الثلاث الخاوية في مشهد مثير وظلوا يحتجزون الرهائن في اماكن متعددة غير معروفة في عمان . وتناقشنا - نيكسون وأنا - في تزايد احتمال تنفيذ خطط الطوارئ الموضوعة . وكان رأيي أنه في حالة وقوع صدام بين الملك والفدائيين بمساندة القوات العراقية فانه يجب علينا ان نترك اسرائيل تتحمل العبء . وأصر نيكسون على رأيه بضرورة استخدام القوات البرية الامريكية في حالة انقاذ الرهائن أو الاحتمال الآخر . ولذلك طلبت من مجموعة الاعمال الخاصة نقل المزيد من القوات الامريكية الى المنطقة بسرعة اكبر .

وفي يومي ١٣ و١٤ سبتمبر كان اشد ما يقلقنا هو تزايد الشواهد على ان الالمان ، وربما البريطانيين ايضا ، على وشك تحطيم جبهة المفاوضات المتحدة لكي يعقدوا أخيرا صفقات منفردة مع الفدائيين لاطلاق سراح رعاياهم . وعزز هذه المخاوف صدور بيان فلسطيني بأن الرهائن الامريكيين سيعاملون معاملة الاسرائيليين .

وبدأت السفن الحربية السوفيتية تتعقب خلسة اسطولنا السادس على مقربة من ساحل لبنان ، ولكن ميزان القوى البحرية في البحر المتوسط كان لصالحنا بصورة كاسحة وتزايد قواتنا البحرية كل يوم .

● حسابات موسكو الغاطئة

ولم يحدث اتصال دبلوماسي مع الاتحاد السوفيتي منذ ٩

سبتمبر ، ويبدو ان السوفيت قد راوا أنه افضل سبيل لهم هو ان يرقبوا من الخطوط الجانبية اضمحلال مملكة الاردن والارتباك المتزايد الذي توجد فيه الولايات المتحدة . ولكن ثبت ان حساباتهم خاطئة . ولو كان الاتحاد السوفيتي قد الح في حوالى ١٠ سبتمبر على اطلاق سراح الرهائن ووقف اطلاق النار في الاردن لكان المكسب الذي حصل عليه الفدائيون مكسبا ضخما . . . ولكانت سلطة الملك قد أصيبت بضعف خطير . . . ولو كان ذلك قد حدث . . . وأضيف عنصر عدم الاستقرار في الاردن الى عنصر عدم استتباب الهدوء في قناة السويس . . . لكانت مكانة الاتحاد السوفيتي قد تدعمت . . .

وهكذا اتاح لنا السوفيت الفرصة لاعادة التوازن قبل أن ينقلب ميزان القوى من اساسه .

وفي نهاية النصف الثاني من سبتمبر كان الفلسطينيون قد دمروا الطائرات الاربع ولكنهم لم يحصلوا على تنازلات من الولايات المتحدة أو اسرائيل على السواء .

● حسين يقرر الصدام

وعند هذا التوقيت حسم الملك حسين أمره . . . أما بسبب اجراءاتنا للاستعداد والتي شدت ازره نفسيا واما لانه وصل الى نقطة اليأس . فقد قرر الدخول في مواجهة شاملة مع الفدائيين في ساعة متأخرة من ليلة ١٥ سبتمبر بعث « دين براون » سفيرنا في عمان الذي وصل الى هناك مؤخرا ببرقية عاجلة جاء فيها أن حسين قرر اعادة القانون والنظام الى عاصمته . . . وانه بعد ان يحاصر المدينة بقوات الجيش الموالية له . . . سيعلن تشكيل حكومة عسكرية في الصباح الباكر ليوم ١٦ سبتمبر ولن يتعجل الامور . ولكن اذا تصدى الفدائيون بالمقاومة فانه مستعد لاستخدام كل ما يملك من قوة لتأكيد سلطته . وطلب حسين بصورة عاجلة أن تستخدم الولايات المتحدة نفوذها لمنع اسرائيل من العمل على تفاقم الموقف . وقال الملك ايضا انه قد يضطر الى طلب المساعدة اذا تدخلت دول عربية أخرى . وبعد عدة دقائق جاء نبأ اتصال بين بريطانيا والولايات المتحدة وتأكيد من ادوارد هيث رئيس الحكومة البريطانية حول خطورة الموقف في الاردن .

وعقدنا على الفور اجتماعا لمجموعة الاعمال الخاصة استمر من العاشرة والنصف مساء حتى منتصف الليل ثم استؤنف الاجتماع في مكتبي بالبيت الابيض في الطابق الاعلى .

● مساندة قوية للملك

واستعرضنا كل الاحتمالات : نشوب قتال بين الملك والفدائيين وتدخل العراق (لسبب غير معروف لم يتوقع أى شخص سواء فى عمان أو واشنطن تدخل سوريا) . . أو تدخل مسلح من جانب الولايات المتحدة على الاقل بهدف اجلاء الرهائن . واكد الاجتماع ما سبق الاتفاق عليه فى الاسبوع السابق : الاحتمال هو ان يهزم الملك الفدائيين . . يكاد يكون من المؤكد أن اسرائيل سوف تتدخل اذا تبين أن الفدائيين سوف يتفوقون فى القتال . . ومن المؤكد أن اسرائيل ستدخل اذا تحرك العراق . واتفق الجميع على أنه فى حالة تدخل اسرائيل فان الولايات المتحدة يجب أن تقف جانبا ولكنها ستدعم أى رد انتقامى سوفيتى ضد اسرائيل . ولكى نظهر تأييدنا للملك يجب ارسال معونة مادية فورية له . اننا نعلق أهمية كبرى على بقاء حكم الملك حسين .

واصدرت توجيهات الى الوكالات المتخصصة للمطالبة بخطط تفصيلية فى المجالين الدبلوماسى والعسكرى لمواجهة احتمالات تقديم امدادات مادية للقوات الاردنية وتدخل امريكى مسلح بغرض اجلاء الرهائن وضربات جوية امريكية أو هجوم برى لمساندة حسين فى حالة وقوع تدخل خارجى .

وابلغت الرئيس نيكسون بهذه الاستعدادات وثار غاضبا . انه يحسب حساب حملته الانتخابية القادمة ومازال يأمل فى عقد قمة موسكو . وقال انه يفضل عدم حدوث مواجهة على الاطلاق . وقال ايضا انه اذا كان لا مفر من عمل شيء فان القوات الامريكية وحدها هى التى تضطلع بالامر . وعارض اية تحركات عسكرية اسرائيلية . وفى ١٦ سبتمبر اعلن حسين تشكيل حكومة عسكرية ولكنه لم يتخذ اجراءات عسكرية فى عمان . واعرب مع سفيرنا دين براون عن قلقه من احتمال تدخل سوريا وليس العراق . ولم تأخذ الحكومة الامريكية على محمل جدى هذا الاحتمال .

وفى ١٧ سبتمبر امر الملك حسين جيشه بالنزول الى عمان . . وانفجر قتال واسع النطاق . انه سبتمبر الاسود ، أو مذبة ايلول ، كما اسماها الفلسطينيون .

• التعليق على

الفصل التاسع

ما هو السر العراقي الأمريكي .. الذى أفضاه كسينجر ؟

في هذه الصفحات الجديدة من مذكرات كسينجر
التي ننشر خلاصتها حول أهم الأحداث .. تبرز
عدة مواقف ..

في غمار أزمة الاردن ، وتحركات الاساطيل والقوات
الامريكية .. كان نيكسون مختفيا في بدروم في
البيت الابيض حيث كان يلعب « البولنج » ..
- وأنا لا أعرف هذه اللعبة - ولكن هذا يعني أن
رئيس الدولة يمارس حياته العادية ، بعد أن يضع
الاستراتيجية العامة ، وبعد أن يتخذ القرار السياسي .. ولا شأن
له بعد ذلك بالتفاصيل ..



وتكشف المذكرات ايضا عن انتصار التخطيط الذي وضعه
كسينجر لمواجهة الاتحاد السوفيتي .. وهو شعار « دعوهم يأتون
الينا » ! امريكا توجه الاساطيل والقوات ، وتضاعف من الاستعداد
المسكري العلني .. والثقة كاملة أن السوفيت سوف يتراجعون عن
أي تصرف .. بل ان بياناتهم الملتهبة ، وقد اصبحت هادئة وباقصى
روح المودة والاعتدال .. ولذلك فان نيكسون قد سخر من وزارة
الدفاع عندما وضعت في تصورها ، ان الاتحاد السوفيتي سيؤف
يهاجم اسرائيل بالغارات الجوية .. وقال الرئيس الأمريكي ان هذا
لن يحدث ..

ان اللعبة بين القوى الكبرى ، معروفة أصولها وقوانينها لهذه القوى الكبرى .. ومن يجهل هذه الحقيقة من الدول الصغرى ، فانه هو الضحية .. وهذا ما أدركه جمال عبد الناصر . عندما قبل مشروع روجرز واجه بذلك الزعماء السوفيت وهو مجتمع بهم .. فقد اتضح بعد ذلك ان الاتحاد السوفيتي كان يبلغ امريكا سرا انه ليس ضد مشروع روجرز على الاطلاق .. وهذا ما أدركه جمال عبد الناصر ايضا .. عندما دعا الى مؤتمر القمة العربي في اواخر ايام حياته .. لكي ينقذ حياة الفلسطينيين في الاردن ، بعد ان تطورت المذبحة الى اباداة .. وبعد ان تيقن على من يعتمد الملك حسين .. وان الاتحاد السوفيتي لن يتحرك .. ولذلك اتخذ الموقف العاقل بدعوة الملك حسين لحضور اجتماع القمة .. وعقد مصالحة مع المنظمات الفدائية .. لوقف اراقة المزيد من الدم .. وكان ياسر عرفات يصرخ ملحا على وقف اطلاق النار الذي لم يحترمه الملك حسين اكثر من مرة .. وراوغ وهو في موقف المنتصر .. على الرغم من ان مذكرات كسينجر تريد ان توحى لنا ، بان الموقف كان بالغ الخطورة .. بما يعظم به دوره .. والدور الامريكى فى انتصار الملك حسين ، لسبب بسيط هو ان الجيش الاردنى جيش مدرب ممتاز ، وكان مؤيدا للملك تأييدا كاملا .. والخطا الذى وقعت فيه القيادات الفدائية .. هو انها تمادت فى تصرفاتها داخل الاردن .. حتى اصبحت دولة داخل الدولة .. ثم حصنت نفسها فى مواقع محيطة بعمان .. وتصورت انها قادرة على مقاومة جيش اردنى يملك ٥٠٠ دبابة .. وحدثت قبلها احتكاكات عديدة بين رجال القبائل فى الجيش ورجال المقاومة .. بعد ان تعرضت القبائل لاهانات مستمرة من افراد المقاومة .. وكل ذلك كان يمكن اصلاحه بتدخل عربى يصل الى اتفاق مثل اتفاق القاهرة الذى وصل اليه عبد الناصر مع حسين وعرفات فى اجتماعات القمة .. ولكن قيادات المقاومة كانت على يقين من انها قادرة على اسقاط حسين .. والاستيلاء على الحكم .. وكان حسين فى الوقت نفسه ينتظر الفرصة المتكاملة ، لكي يقضى قضاء كاملا على المقاومة الفلسطينية .. حتى ان شقيقه أعلن ان الملك مستعد لتدمير عمان كلها وتحويلها الى انقاض .. ويمكن ان يعيش الاردن بغير عمان .. ودفع الى هذا الموقف كله ، الجانب الماركسى من المقاومة باختطاف الطائرات ، والتهديد باهلاك الرهائن الاوربيين والامريكيين والاسرائيليين .. لانهم ارادوا أن يخلقوا موقفا يعطل استمرار عبد الناصر فى قبوله مبادرة روجرز ، لانهم لا يريدون السلام .. ولا يمكن ان يكون هذا الجانب الماركسى ، منفصلا عن تنفيذ الاستراتيجية السوفيتية ..

التي تحرك كل هؤلاء ، وفقا لمصالحها كقوة عظمى .. وتبلغ امريكا في الظلام انها تؤيد مبادرة روجرز !

● ماذا يخفاه عن موقف العراق ؟

وتكشف هذه المذكرات ايضا عن براعة الملك حسين وذكائه .. كان جيشه وحده . كامنا لآبادة الفدائيين .. فلا يمكن لحرب عصابات أن تقضى على جيش .. والوضع في الاردن مختلف عن الوضع في فيتنام .. ولكنه ظل متأخرا في الاقدام . لكي يكون واثقا من الانتصار .. وظل يضحك المعلومات عن حاجته الى المعونة من امريكا .. حتى يضمن موقفا امريكي حاسما .. وضمن التنسيق الكامل مع اسرائيل . حتى أن نيكسون وافق أخيرا .. على تحرك اسرائيلي ، يتسم بالتنسيق مع الاردن على أن يترك القرار النهائي للتدخل الاسرائيلي جوا أو برا لامريكا ..

اطمان حسين الى كل ذلك .. وكان اتصاله بامريكا مستمرا .. وكذلك اتصاله باسرائيل - وهذا ما لم تكشفه مذكرات كسينجر - واصبحت بين يديه كل عناصر القدرة على إبادة الفلسطينيين .. لان امريكا لمصالحها كقوة عظمى تريد حماية عرش حسين .. وكذلك صالح اسرائيل . وهكذا بدأ حسين معركة إبادة الفلسطينيين حتى انهارها بالانتصار المحقق .. واخذ يراوغ مع نداءات مؤتمر القمة ، ووفوده . ثم عرض الحضور الى القاهرة .. معلقا رغبته في التفاهم وتكشف هذه الصفحات أيضا .. الجديد عن الموقف العراقي .. والموقف السوري ..

كانت امريكا .. لا تفكر لحظة في أن سوريا سوف تتدخل . حتى ان معلومات وصلت الى لندن عن احتمال هذا التدخل .. ولم تبلفها الى واشنطن . باعتبارها معلومات تافهة . وذلك لسبب بسيط هو أن العاصمتين تعرفان تماما . أن ضربة جوية واحدة من اسرائيل .. كافية للقضاء على سوريا .. ولكن اسرائيل تمادت ، وطلبت ايضا التصريح من واشنطن بهجوم برى على سوريا .. فرصة !

وكان كل التفكير منحصرا في مواجهة احتمال التدخل العراقي .. وله قوات مسلحة عددها ١٧ الف جندي داخل الاردن . والبيانات تصدر من حكومة البعث العراقي .. ومن اذاعة بغداد تهدد وتزجر وتهاجم الامبريالية .. كما يحدث تماما في التهجم على مصر .. بعد مؤتمر التهريج والشتائم في بغداد .. ثم لا شيء غير التهجم .. ولا تحرك سياسي أو عسكري من أجل قضية فلسطين .. بل توقع

فى المؤتمرات اعام العالم الخارجى ٠٠ لا يؤثر قيد شعرة فى مكانة مصر العربية والدولية .

وكسينجر يسخر فى مذاكراته من موقف البعث العراقى ٠٠ ويقول ان القوات العراقية داخل الاردن لم تكتف بمجرد الصمت والتفرج ٠٠ بل انها كانت تحرك مواقعها الى مواقع بعيدة عن التدخل ، حتى تنقى شر الاذى ٠٠

ولكننى اعتقد جازما ان هذا الداهية كسينجر ، يخفى شيئا هاما . فى مذاكراته عن موقف العراق ٠٠ وهو لاشك اتفاق سرى بين أمريكا والمراق وحسين واسرائيل ٠٠ وهو يخفيه الآن متمدا لانه ليس خافيا فى الدوائر الامريكية . ان العلاقات العراقية الامريكية الان (سمن على عسل) كما يقولون ٠٠ وكان قبول العراق للحل السلمى قبل مؤتمر بغداد كشفا لموقف العراق ٠٠ ثم هذا الغزل المكشوف عن اعادة العلاقات ٠٠ ثم العلاقات التجارية ٠٠ الى آخر كل ذلك ٠٠ ولكن لا بأس ان تهجم اذاعة بغداد وصحفيها ٠٠ الامبريالية الامريكية التى تتآمر مع مصر ، لبيع قضية فلسطين ٠٠

لا يمكن ان يكون كسينجر ساذجا لهذه الدرجة التى يصور لنا بها الموقف ٠٠ ان امريكا كانت تخشى تدخلا عراقيا عسكريا ٠٠ وموقف العراق فى حرب ٤٨ ليس مجهولا من احد . فجيوش العراق تحت شعار ، ماكو اوامر ، هو الذى اتاح استيلاء عصابات اسرائيل على النقب ٠٠ وموقفه فى العدوان الثلاثى معروف ٠٠ وموقفه فى هزيمة ٦٧ معروف ٠٠ ومشاركته الرمزية فى حرب اكتوبر معروفة .

ولكن هناك حقائق عن الاتصالات العراقية الامريكية الاسرائيلية الاردنية اخفاها هذا الرجل .

● سوريا تهرب

بعد ٤٨ ساعة

بقى الموقف السورى ، وهو ايضا البعث السورى ، عندما كان حافظ لا يزال قائدا لسلاح الطيران . ما دامت هناك قوات للبعث العراقى فى الاردن ٠٠ فيجب ان يقوم البعث السورى ايضا بظاهرة ٠٠ فالصراع بين البعثيين على المواقف المسرحية صراع علنى . وقد انكشف أخيرا بعد ان اذاع مؤتمر التهريج فى بغداد ٠٠ اعلان الوحدة بين العراق وسوريا ٠٠ ان ليست هناك وحدة ولا يحزنون ٠٠ بل

ان البعث السوري كان مشتركا في مؤامرة للإطاحة بصدام حسين .
وخرس كل لسان عراقي او سوري كان يصرخ بهذه الوحدة المزعومة
.. وها نحن اخيرا نرى البعث السوري العلوي يتمسح في ثورة
ايران .. ويعلن تأييدها بعد ان ارسل الاسد صبيه وزير الاعلام لكي
يقبل اقدام الحسيني .. ونجد للبعث العراقي - في الوقت نفسه -
موقفا مختلفا وصل الى حد التدخل بأعمال التخريب .. والى
التهديد بقطع العلاقات .. ثم الاعلان العراقي بأنهم يطلبون اطلاق
سراح الرهائن الامريكيين ..

ماذا فعلت سوريا .. في مذبحه الفدائيين بالاردن !

اول تحرك فقدت فيه ٣٠ دبابة .. وعندما تمكن حسين استطاع
ان يدمر ١٢٠ دبابة .. وكان مجموع الدبابات السورية التي دخلت
٢٥٠ ياردة داخل حدود الاردن - حسب تقدير اسرائيل - ٢٠٠ مائتي
دبابة فقط ..

وكم بقت سوريا في الاردن ؟ ..

٤٨ ساعة فقط ! .. ولم يجرؤ الطيران السوري على التدخل بقيادة
حافظ الاسد .. وكان مجرد ظهور لواءين اسرائيليين بتحركات صوب
مرتفعات الجولان .. كفيلا بانسحاب القوات السورية على الفور ..

وانتهت الحركة المسرحية - التي شجع عليها السوفيت في بادئ
الامر ، املا في سقوط حسين - ثم عادوا واستنكروها وقالوا انه لا
علم لهم بها .. بل تعرض البعث السوري لموقف سوفيتي جديد
يطالبهم بالانسحاب فورا .. وتم الانسحاب فورا ، وتركوا ١٥٠
دبابة محترقة ..

سألهم عبد الناصر .. هل وضعتم في حسابكم الموقف الامريكي
والموقف الاسرائيلي ؟ .. فكانت اجابة البعث السوري .. لا ..

اذن كان الاعتماد على السوفيت .. اى على الحائط المائل ، حتى
يكون لهم في مأدبة سقوط حسين نصيب .. وما دامت القوات
السورية قد أسهمت في اسقاطه .. فهي الدولة التي تستولى على
العرش الجديد .. وليست المنظمات الفلسطينية ..

وقد بالغ كسينجر في تقييم هذا التدخل السوري عن عمد ..
حتى يعطى لنفسه فضل الانتصار على التكتيك السوفيتي .. وهو
لا يخفى في مذكراته انه يفتقد الى فضيلة التواضع .. وهو الذي يريد

أن يظهر الرئيس نيكسون . وكأنه كان مجرد منفذ للاستراتيجية التي وضعها كسينجر . ولكنه في كثير من السطور أضطر الى الاعتراف ببراعة نيكسون السياسية . وسيطرته الكاملة على استراتيجية السياسة الخارجية الأمريكية . التي هو واضعها وصانعها .

ولكن البعث السوري لم يتوقف أيضا عن اصدار البيانات الملتهبة . وكما قال عبد الناصر حينئذ : اذا كان على البيانات أنا مستعد اصدار بيانات . وتقولوا على ثوري . وأروح اسكندرية . ونترك المذبحة مستمرة .

● حقائق اللعبة بين القوى العظمى

كان هدف مصر حينئذ - بعد فهم واع لحقائق اللعبة بين القوة العظمى في موسكو والقوة العظمى في واشنطن - هو إيقاف المذبحة وانقاذ العمل القداني ، واتفاقا يضمن للعمل القداني استمراره . ويشعر معه حسين أيضا ، أنه لا توجد دولة أخرى ، داخل الدولة التي يجلس على عرشها .

ولذلك أتى وفد مؤتمر القمة برئاسة جعفر نميري ، بياسر عرفات الى المؤتمر . وجاء أخيرا الملك حسين بناء على دعوة عبد الناصر . بعد أن أطمأن حسين تماما ، أنه أدى الدور الذي خطه تماما . ولكن بدأت المزيادات داخل المؤتمر . من القداني وعرفات بعد حضوره .

القداني يرفض حضور الملك حسين . ويرفض أن يكون مع جمال عبد الناصر في استقباله بالمطار ، ويعتبر التعامل مع الاتحاد السوفيتي خيانة ويطالب بأن تحارب الجيوش العربية أمريكا . ويؤكد أن متطوعين من الشعب الأمريكي سيسرعون الى الأرض العربية لمحاربة الاساطيل والقوات الأمريكية مع الجيوش العربية ! ولم يكن هناك جيش عربي مطلوب منه الحرب إلا جيش مصر . وقال عبد الناصر له . ولربيع رئيس اليمن الجنوبية الماركسية . وعلى بلاطة . مصر لن تحرك جنديا واحدا الى الاردن . ومعنى ذلك كشف جبهة القناة لضربة اسرائيلية كان واضحا انهم يتوقون اليها . لآبادة قواعد الصواريخ والعبور الى غرب القناة . وكان عبد الناصر عارفا بحقيقة موقف الاتحاد السوفيتي ، بعد طول تجاربه ومعاناته معهم . وقال بكل الوضوح : لقد أخذت الدرس من هزيمة ٦٧ .

جاء ياسر عرفات الى المؤتمر ، لكي يسمى الى وقف النار . وهو

يشرح المذبحة الرهيبة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني ٠٠ ولكنه رفض الاجتماع مع الملك حسين مع لجنة من الرؤساء برئاسة عبد الناصر ٠٠ وأصر على موقفه أن يصدر المؤتمر قرارا باعتبار حسين مجرم حرب ٠٠ وقطع العلاقات الدبلوماسية معه ٠٠ والتحرك ضده ٠٠ الى اخر هذه المواقف التي لا تجدى في حل مشكلة الألوف من الفلسطينيين القتلى الذين تعفنت جثثهم في الشوارع ٠٠ والجرحى من الرجال والنساء والأطفال الذين يمانون ولا يجدون طبيبا واسعافا ٠٠ ولذلك قرر المؤتمر تأليف لجنة للأغاثة برئاسة الملك فيصل ووضعت كل امكانيات مصر من الطيران تقدم ادوية واسعافات واطعمة قيمتها مليون من الجنيهات ٠٠ واليوم يعايرون مصر بالمعونات ! ويطلب عرفات قطعها عن مصر !

ثم كان الموقف الاهم بالنسبة لعبد الناصر ٠٠ ماهو مستقبل العمل الفدائي الذي يجب أن نحرص عليه ونحميه ، وهو في هذه المحنة القاتلة ٠٠ وكان ذلك لن يتقرر الا باتفاق مع الملك حسين ٠ ولكن عرفات كان يرفض الاتفاق ٠ واكتفى اليوم بأن أسرد على القراء ، كلمات ياسر عرفات عن الملك حسين أمام المؤتمر ٠٠ وهو الذي يجتمع به الان ٠٠ وهو الحليف الوطني القومي الجديد ٠ الذي يحج اليه ياسر عرفات ٠٠ ويحج اليه معمر القذافي ٠٠ ويشيدون بصموده ٠٠ ويتمنون مصر أكتوبر ٠٠ ومصر مبادرة السلام ٠٠ ومصر أم قضية فلسطين ٠٠ يتهمونها بالخيانة !

وهذه السطور التي انقلها عن ياسر عرفات هي جزء قليل جدا من اقواله في المؤتمر ٠

● ماذا قال عرفات ؟

قال ياسر عرفات في جلستي ٢٥ ، ٢٦ سبتمبر ١٩٧٠ :
- العملية ليست بسبب الاعمال الفدائية ٠٠ والمجزرة الان لا شيء يمكن أن يبررها الا انتقام صهيوني استعماري خطط لكل هذا الشعب ليضرب ضربة كبيرة ٠

المذبحة الفعلية بدأت يوم ١٦ سبتمبر ٠ لكن ظهرت بوادرها في ٢٦ اغسطس ٠

في يوم واحد ٦٦ قاعدة هوجمت بواسطة اللواء المدرع ٤٠ ولكن استطعنا رغم فداحة المأساة أن نفرض الطرف ٠ أن نطلع أول اتفاقية بيننا وبينهم ٠ من نهار كنا مجتمعين مع أعضاء اللجنة المركزية واصيب هذا الاجتماع ب ٨٦ قذيفة ٠ ومع ذلك عاودنا الاتصال ٠ ثم بدأت

حوادث الزرقاء . وبعد ذلك علمنا أن حكومة جديدة شكلت . واتصل
 بي أخ من اللجنة وقال هؤلاء يطلبون منا تسليم السلاح وإنا لا نستطيع
 أن نحكم على نفسي بالاعدام . وقد قيل لنا هذه أوامر الملك . واتصلنا
 بنائب رئيس الوزراء لتلافي المذبحة . شاهدت شخصيا مذابح ومجازر
 كثيرة من قبل لكن لا اعتقد أن ما يحدث في عمان حدث من قبل .
 فهناك ثلاثة ألوية مدرعات وأربعة ألوية مشاة أحضرهم من الجبهة ،
 وبقي على الجبهة سرية واحدة أي ١٢٠ جنديا فقط . اتصلت ثانية فلم
 أجد نائب رئيس الوزراء ولا مدير العمليات ولا نائبه الذي قيل لي أنه
 يصل . ولم أستطع الاتصال بالملك ولا بزيد شاكر . وبدأت المذبحة
 في عمان . أول يوم كان بيني وبين الدروع تقريبا ٢٠ مترا تعاملنا
 معها يوما كاملا حتى استطعنا أن نشق طريقنا لكن كيف نتعامل مع
 المدفعية . الكتيبة السادسة كانت ومازالت تدك عمان بمدفعية
 الدبابات . أما الرشاشات الثمانمائة فغير محسوبة . وهذه أول مرة
 تظهر فيها الرشاشات . ولكن ما ذنب مخيم الوحدات ؟ لم أستطع
 أن أمشي أكثر من مائة متر . لأن روائح الجثث في الشوارع وتحت
 الانقاض مافيش حد يدفننها . حبيت أندفننها قالوا لي حرام . مافيش
 ماء في الأحياء الشعبية إطلاقا . حتى سمعت أن السفارات مافيش
 ماء أيضا . أكل مافيش حتى الأدوية لم تصل إلى مستشفياتنا إطلاقا
 . اليوم ذكوا مستشفى الأشرفية واستطاع شبابنا أن يعطلوا
 الدبابات ثم لجأوا إلى حيلة . وضعوا أطفالا فوق الدبابات واقتحموا
 المستشفى واخذوا الأطباء والمرضات . وأنا أعرف أين ستبيت
 الممرضات الليلة . لأن عمان استبيحت كما تستباح المدن في القرون
 الوسطى . ذكوا مخيم الحسيني ومازالوا يدكون . أنا مضطر أن أقدم
 غدا شكوى إلى مجلس الأمن بإبادة جنسية . والعميلة فوق أن الفدائيين
 انصرفوا . وهذه السلطة لا تشعر بانها من هذا الشعب وأمس كنت
 في بيت انفجرت فيه قذيفة . وفي البيت امرأة تقول لي إياك أن تصالحه
 لقد صالحت ثلاث مرات . أنا اعتقد أننا مقبلون على مذبحة غدا . في
 أربد اليوم حي المصاروة والحرائق مشتعلة . طبعاً فيه تناقض . .
 يقول أنا اسمح بالتجول وهو مسيطر على هذه الأماكن ويرسل بعثة
 للصليب الأحمر ويذيع مطالب بوقف إطلاق النار . لن يعطونا لا هدنة
 ولا شيء . المخطط ماشى . فيه إصرار عليه . هل نخون . . نروح
 نتفق مع أمريكا ونأخذ حماية منها . نروح نتفق مع إسرائيل .
 عبد الناصر : أود أن نسمع من الأخ الباهي الإدغم . إذا كان هناك
 لا أمل في وقف إطلاق النار . الإخوان إلى حضروا نحب نسمع منهم .

● تونس تتهم حسين

الباهي الإدغم : باختصار رحنا الى عمان للنظر في حل يرضح حدا للقتال بدون سابق تحيز . فاتصلنا بالملك وبحثنا معطيات القضية من جميع نواحيها وتحادثنا ساعات . وخلاصة الامر في خصوص وضع حد للقتال يوقف اطلاق النار فهو يقول هذا صعب بل مستحيل . لان الفدائيين لا يريدون وقف اطلاق النار . هناك نهب ولا بد من مواصلة الاعمال . قلنا طيب . . . فيه حالة هيجان يمكن يكون هنالك عمليات بوليسية في المرة الاولى . بقينا في ضيافة الملك لكن علمنه من جهات أخرى أن اطلاق النار تقوم به القوات المسلحة ورائنا أن هناك عمليات مخططة منطقة بعد منطقة هناك قتلى بالآلاف والجرحى بالآلاف . قلنا ذلك للملك . فلم يعتذر بل قال أنه لم تتم العملية بعد . فقلنا طيب لابد من حد أدنى من ظروف الحياة الخاصة وأن ٣ مستشفيات ضربت واستنتجنا أن عمليات حربية تجاوزت بكثير الاهداف التي قامت من أجلها . فحاولت أن أتحدث معه على الأقل من حيث أن الافراط مضر . هذه عملية ابادة في مدينة أهلة بالسكان . رد الفعل موش طبيعي ولا يوجد من نحاسبه . أخ الملك يحضر الاجتماعات وهو يقول لي أنه ينصح اخوه ومصر الشعب بيد اخوه الذي يقول لو لزم محو عمان فسوف تمحي : فبقية الاردن تكفي . هناك مخطط يشمل عمان . وقد قلنا هذا للملك . وحال وصولنا الى القصر أعطينا شظايا باردة ولا علاقة لها بالقصف لا يهنا . . . عندما كنا في السفارة المصرية أطلق علينا النار . هناك أشياء لم نعرف مثلها في التاريخ لقد اتفقنا على إيقاف النار ثلاث مرات . ولم ينفذ شيء . . . هناك حالة جنونية .

ياسر عرفات : جبل الاشرفية بالليل في الفجر الساعة ٤ر٣٠ ضرب يدك عمان بلا رحمة ولا هوادة حتى حوالى الساعة ٧ر٣٠ A والرشاشات تحصد وهرب الى سوريا ٧٤٠٠٠ مواطن .

فاروق ابو عيسى (وزير خارجية السودان) : أريد أن أسجل ما تعرضت له السفارة المصرية اليوم . حتى أن أحد الجماعة التي بعثهم الملك اتصل بغرفة العمليات وقال لهم هذا موش معقول لاننا احنا موجودين . جاء الاخوان السودانيين . قالوا أن ما جرى لم يشاهدوا مثله عندما كانوا في الكونغو . ان العملية عملية ابادة .

الباهي الإدغم : أحب أن أقول أن مجيء الاخ ياسر عرفات لم يتم بموافقة الملك .

عبد الناصر : عندى اقتراح نحن عقدنا مؤتمر بدعوة من الاخوان فى تونس .. وفى الايام الى فاتت كان هدفنا وقف اطلاق النار وهى عملية انسانية . كل هذا يبين انه ليس هنالك فائدة . وأنا حدثت معى عدة مراوغات . قلت له فى الاسكندرية ازاى تقيم بلدا على القتل . اقترح أن الاخ نميرى والاخوان الى كانوا معاه . يعملوا لنا التقرير كامل ، وبكره الاخ نميرى يقدم لنا التقرير ويعقد اثر ذلك مؤتمرا صحفيا ثم نناشد القادة العرب الا يقبلوا هذا الوضع . واني موافق على أن يذيع الاخ نميرى تقريره ويعلن للعالم ، وبعدما يعلم الملك أنه لن يستطيع أن ينفعنا .

● ذبحنا من حسين ٥ مرات

القذافي : وبعد ماذا .. نفعل ؟

عبد الناصر : انتظر حتى نخلص من هذه النقطة . الكلام الى قتلوه هنا يقال للعالم . ويحضر المؤتمر الصحفى الاخوان أعضاء الوفد . اذا أقرينا هذا . يبقى نفكر .. ماذا نعمل .. فاذا اتفقنا عملنا . فاذا لم نتفق كل واحد يعمل على كيفه . ماذا تقترح يا ابو عمار ؟

عوفات : انا متهم انى معتدل وقرات هذا الكلام فى الصحف الاجنبية قبل ما اسمعه فى الصحف العربية . وأربع مرات وهذه الخامسة وهو يذبحنا . وكل مرة آخذ على عاتقى مسئولية التفاهم معه رغم كل المزايدات . أما هذه المرة فانى أعتبر نفسى مفرطاً فى حق هذا الشعب . فاما أخونه أو اجد له منفذا . وأنا فى حل ان الجأ الى الشيطان . غدا ستسمعون صيحات الى يذبحوهم فى اربد .. أناشدكم انتم مسئولون عن الامة هذا الرجل غرق فى الدم . واذا تراجع فهو أدين . انه لا يستطيع أن يتراجع . هؤلاء لن يتراجعوا . سوف يكملون المذبحة . هذا الرجل الدموى لا يوقفه بيان . فانا سأوقع مع الشرق والغرب . أورط المنطقة العربية . ولا أفنى شعبى .

هناك استغزاز . ان هذا الشخص اذان الامة ولم يحترم المؤتمر واستغزه . فما دمنا مؤمنين بذلك يفكر الرؤساء الليلة ويتخفون الترتيبات التى ينبغى اتخاذها .

عبد الناصر : الحقيقة أن هناك شقين : الشق الاول الاعلان عن التقرير . الشق الثانى ماذا نعمل لايقاف ما يجرى .. هذا هو الموضوع الثانى .

القذافي : واضح أن الامة العربية يجب أن تقاتل الى جانب الشعب الفلسطيني ويدخل من يدخل . ولو دخلت أمريكا فماذا ستفعل أمريكا ؟ انا متأكد ان أمريكا فيها ناس متطوعين حياقتلوا معنا .

الباهي الادغم : اذا حصل تدخل حاليا فان سلوك الملك حسين نفسه غير معروف .

عرفات : اسرائيل فتحت جسورها لاستقبال جرحانا .

عبد الناصر : نسأل ياسر ماذا يطلب منا ؟

عرفات : جريمة حدثت في الأردن فعلا ، هذا الملك حاربنا بالدبابات التي اشترت من دم الامة العربية هذا الشعب يطالبنا هل نسمح لفئة من الناس أن تذبحنا ، بأموالكم وباسم الجامعة والاخوة ثم يقول انها فتنة عليه . قال علينا أننا مجرمون خونة مرتبطون بإسرائيل . لدى المقاومة اثباتات أنه يجتمع مع إسرائيل وهذا موسى العلمي عنده اثباتات أن ذلك حدث في لندن . حتي مستشفانا الوحيد ضرب واحتل . يعني نصف مليون شخص وما عندنا مستشفى . كان في الوفد عسكريين يقدرؤا لكم كم طنا من المفرقات نزلت علينا .

عبد الناصر : مازلت أعتقد أن وقف اطلاق النار هو المهم . النهارده الساعة السابعة الا عشرة اتصل بي الملك حسين وقال لي ان الحالة اهدأ وان تصريحات الرئيس نمري سيكون لها صدى كبير . فقلت له أن هذا الكلام موش كلام النمري وما نطلبه هو وقف اطلاق النار . وكان معاي الاخ أمير الكويت . فأجابني بأن التحريض مستمر . فقلت له لازم تبذل المستحيل بنفسك لوقف اطلاق النار وقلت له انتم ضربتم مستشفى الاشرفية .. ليه تضربوا الاشرفية .. فقال سأعمل المستحيل لوقف اطلاق النار وقال انه مستعد للحضور الى القاهرة ورأيي هو الآتي : أنا ارسلت البرقيات التي كلفتوني بها .. واتوترس كان نوعا من وثيقة اتهام . ثم يقول انه يحب أن يجيء وانه يمكن أن نصل الى اتفاق غير الاتفاق الي حصل مع أبو اياد . ان هدفنا هو إيقاف القتال والا سيزيد القتل .. وهما أن نجنب الاردن مثل هذه النتيجة . وأنا نى كلامي مع الملك حسين أردت أن نعطي فرصة للملك حسين .

وعندنا عدة اختيارات • ممن نقول للملك حسين انه مايجيش
لكن اذا جاء أحسن •

وبيع : لقد توصلنا الى اقتناع بأن الملك حسين عنده اصرار
مسبق على القضاء على المقاومة الفلسطينية وهذا معناه أنه مسئول
مسئولية مباشرة عن ابادة الشعب الفلسطيني •

السودان : كل الحاضرين مقتنعون بأن الملك حسين يرتكب
جريمة ابادة المقاومة الفلسطينية وقد قمنا باطلاع الرأي العام
العربي والدولي • والآن السؤال •• ماذا نستطيع أن نقدم للشعب
الفلسطيني ؟

السيد الباهي الادغم : فيما يخص الملك حسين يمكن دعوته
لقد تحملنا البقاء تحت الرصاص وكل أصناف سوء المعاملة فضلا
عما تقتضيه الكرامة وصلة الرحم • هناك أيضا مقتضيات المصلحة
العليا وتقديرهم الاهم على المهم • هذه سياستنا نحن أمام خطرين:

أولا : أن يأتى الملك حسين يحكى لنا الحكاية ونحن مستعدون
لدحض كلامه اذا اقتضى الحال نظرا لمشاهدتنا مشاهدة عيان •
الخطر هو بعد حضوره يرجع لعمان ويتصرف نفس التصرفات
ولكن وجوده يمكن من اقناع غير المقتنعين •

ثانيا : أن يرفض القدوم •

اكبادنا تتمزق وقد قلنا لهم أنكم تقومون بعمليات محق بالنيابة
عن اسرائيل قلناه ومستعدون لاعادته وتتخذ مسئولياتنا واذا تمكنا
من استدراجه الى خطة يكون كسبا بالنسبة لآخواننا • ولكن لازم
يدفع الثمن ثمن الدماء • نحن لا ندخل فى مغامرات ، هو أطلق
علينا الرصاص وأنا مستعد لمصافحته • نحن لم نوجه اليه دعوة •
نحن نترك له خط الرجعة • نتسامع اذا جاء وننظر ما هي الاسباب
التي جعلت اتفاق وقف النار غير صالح للتطبيق ؟ نحن نسعى
الى توفير أسباب النجاح ووضوح الرؤية • لان البشر يعيش حالات
جنونية •

انا شخصيا أؤيد اقتراح الرئيس عبد الناصر •

التميرى : الملك حسين عفا الله عنه •• انا اوافق على قبول
الملك حسين مع حضور رجال المقاومة •

عبد الناصر : قلت في البرقية أن الكلام إلى جاء في الندوة
للصحفية ليس كلام النيمري فقط بل هو تقرير اللجنة .
الباهي الادغم (رئيس حكومة تونس) : بمجرد ما خاطبناه
بالتليفون عن موضوع المستشفى أجابونا بالرصاصة ..
النيمري : أهم شيء إذا جاء الملك حسين عليه أن يوافق على
تقديم المساعدة في صورة وقف إطلاق النار .

محمد المصمودي (وزير خارجية تونس) : تونس عندما
قدمت الاقتراح كانت أول ما فكرت فيه احضار ياسر عرفات
والحسين .

وشيد كرامي (رئيس وزراء لبنان) : هناك اجماع حول
الهدف .. وقف إطلاق النار . من أجل الوصول لذلك ، أرى أن
اجتماع حسين بعرفات بحضور ناصر وفيصل ومن يشاء .. سيكون
مفيدا .. وسيتم ما يرضى ضمائرنا .

فيصل : اني أوكل الاخ عبد الناصر .. حل المشكلة ايش
السبيل للوصول الى الهدف هذا هو المهم ..

عبد الناصر : هدفي هو وقف إطلاق النار ثم تنفيذ الاتفاقية -
الحسين قلنا له تفضل وفي استطاعتي أن أبرق له بعدم الحضور
.. هل يرى الاخوان القذائيين فائدة في حضوره ؟ .. اذا كانوا
لا يرون فائتي أبرق له معذرا .

● حاكموا حسين

كمجرم حرب

ياسر عرفات : لقد استباحوا دمنا وما يزالون حتى أمس باعترافهم
١٤ ألف قتيل . في اسرائيل - انا محكوم على بالاعدام . وسيادة
الفريق صادق شاهد واحدا من أعضاء الصليب الاحمر بكى خمس
ساعات عندما رأى حالة الجرحى ٢٥٠٠٠ عدا الاموات . والله أعلم .
البعض ما يزال تحت الانقراض الحقيقة ليحضر حسين ولكن ..
شكلوا لجنة لمحاكمته كمجرم .. أمريكا اهتزت لمذبحة ٢٥٠ في
فيتنام ، أخو الملك قال والوفد سمح ذلك أن اسرته جاءت الى هذه
الارض وهي خلاه وستتركها كذلك .

القذافي : من أين جاءوا ..

أبو عمار : من الجزيرة .

فيصل : هربوا .

اليمين الشمالي : المأساة مريرة وشديدة .. ولكن هل تحولت القضية من قضية أساسية الى قضية بين المؤتمر وبين دولة الاردن لا اعتقد أن أحدا يوافق على ذلك .

عبد الناصر : مافهمته من كلام الاخ ياسر ان يحضر الملك حسين ولكن لا كمشارك في المؤتمر .. ولكن يجب أن يكون مفهوما انه اذا حضر .. لابد أن أستقبله .

القذافي : ماتروح لوش !
عبد الناصر : بعد استقباله من سيحضر في لجنة العمل ! الاخ نميري ؟ الاخ القذافي ؟ الاخ ربيع ؟
القذافي : الاخ فيصل .. لانه اذا لم يحضر فسيكون لهذا معنى .
فيصل : اقترح الاخ الباهي .
عبد الناصر : اللجنة الاخ نميري . الملك فيصل . الامير الصباح ،
الاخ الباهي ، الاخ ياسر عرفات .

● لا طاعة لي .. اذا صافحته

ياسر عرفات : وصلني انذار من القيادة العسكرية أمس أنني اذا صافحت الملك حسين هذه المرة فلا طاعة لي .

عبد الناصر : ننهي المؤتمر ونبعث للملك رسالة .

القذافي : ما هي القرارات التي توصل اليها المؤتمر ؟

الباهي الادغم : أستطيع أن اجاب .

عبد الناصر : انت الداعي .

الباهي الادغم : لقد ابعدنا تدخل الاجنبي . فرضنا الطرف الفلسطيني ، واخرجنا من السجن أقطاب المقاومة . من الناحية المعنوية ، أفهمنا الملك انها خطة فاشلة وفرضنا عليه ان يحضر الذين كانوا أسرى كطرف مقاتل . وجود الاخ عرفات بيننا كطرف يمكن أن ينهي الازمة .

النميري : ننهي المؤتمر ويستمتع حسين .

القذافي : حسين استطاع أن ينفذ الجريمة وهو ينفذ المخطط رجل يضيع الوقت .. السعودية بعثت له كم مليون ؟ الكويت جمدت المعونة هل هذا يعتبر تأييدا للمقاومة ؟ .. بودي أن أسمع من الملك فيصل بعض ايضاحات .

عبد الناصر : الملك فيصل أدان تصفية العمل الفدائي ووافق على نص البرقية .

فيصل : أنا أتكلم لاني متهم . نحن خلال هذه الفترة لم ندفع

شينا ٠ دفعنا قسط ونصف أكتوبر وما تدفعه المملكة هو بناء على قرار مؤتمر القمة في الخرطوم ونحن من أوائل من ساعد المقاومة منذ ١٩٦٥ اليس كذلك يا أبو عمار ؟

نحن نستقبل حسين ٠ وإذا لم توافق المقاومة الى حل مرض نحن نتخذ كل الاجراءات بثقلنا ٠ وموقفنا يتضح على ضوء النتائج ٠ أبو عمار : أنا أخشى أن يأتى الى هنا وهو يعتقد أنه فى مركز قوة ٠ نحن لا نجتمع معه كمؤتمر - نشكل لجنة للتفاوض معه - نتخذ قرارات (ادانه) ٠

عبد الناصر : مازلت أهدف الى وقف اطلاق النار ٠ تقييد الملك حسين بوقف اطلاق النار ثم سحب الجيش من عمان وكذلك بالنسبة لقوات الفدائيين ٠ يمكن بحث لجنة من الضباط للمراقبة وقد يقال أن الملك حسين سيأتى ويفدر بنا ٠ وإذا غدر نقطع العلاقات ٠ ونقطع عنه المعونة وندينه ٠

فيصل : توقيعنا غدا سيكون على ذلك ٠ اذا لم ينفذ حسين ٠ عبد الناصر : اذهب الى المطار غدا يرافقنى السيد الباهى الادغم هل هناك من يريد أن يصاحبنا ؟

القذافى : سأغادر القاهرة حال وصول حسين ٠ عبد الناصر : ما أن يحضر كل رؤساء الوفود أو ننهى المؤتمر الليلة ونعلن القرارات المتفق عليها ٠ فيصل : لا أوافق على انتهاء المؤتمر واصدار القرارات الليلة ولا بد من مواصلة السعى ٠

عرفات : اقترح اجتماع حسين مع لجنة ٠ الباهى الادغم (الى القذافى) : اذا كنت تعتبر من يحضر متخاذلا فانه يمكن أن يقال فى حقك أنك منفصل ٠ ابراهيم بكر : موقف العراق والجزائر سلبي ٠ نريد وقف اطلاق النار بصفة دائمة وضمانات دائمة ملزمة لان هذا الملك مخادع ورائنا أن الملك حسين يجئ، لان له جيشا ماليا ولذلك يجب أن يقول له كل رئيس وفد ما قاله الرئيس نمري ٠



وحضر الملك حسين ٠ وتم توقيع اتفاق لقاهرة بعد أن هدد عبد الناصر بالانسحاب من المؤتمر ٠ ازاء مزايدات عرفات والقذافى ٠ كما شرحت فى مقال سابق ٠

ومات جمال عبد الناصر بعد أن ودع أمير الكويت فى المطار ٠ وتسلم أنور السادات أمانة المسئولية فى ظل هذا الموقف العربى المصيب ٠



بعد ما قاله ياسر عرفات امام الملوك والرؤسا. العرب في سبتمبر ١٩٧٠ عن خيانة الملك حسين. وعن مطابعه الاجرامية . وعن مطالبه المؤتمر بمحاكمة حسين كمجرم حرب .. بعد كل هذا .. ياسر عرفات يقول عل الملك حسين مرحبا وفاتحاذراعيه. وحسين يتقبل هذا الاندفاع براحة وكبريا. . ان المسودة للحلطين الجسديدين في مؤتمر هالانا الذي انعقد اخيرا لكي يتبارى الاثنان في اتهام مصر بالخيانة :

- المقاومة الفلسطينية تنزف دما .
- دول عربية تريد أن تحارب .. ولكن حتى آخر جندي مصري .
- دول عربية في موقف انعزالي عن القاهرة تماما .. ولكن بياناتها عنيفة وملتعبة .
- أمريكا يسيل لعابها للتدخل العسكري .
- الاتحاد السوفيتي يطالب بتجنب دفع أمريكا الى التدخل العسكري .
- مصر متهمة بأن قبول مشروع روجرز .. هو الاستسلام .
- وأخيرا الموقف الداخلي في مصر .
- ولكن أنور السادات .. بدأ يفكر منذ اللحظة الاولى في المعركة. والاعداد الحقيقي الكامل للقتال .

انتهت المذبحة بالتسليم الطامل .. بيه أمريكا وحسين وإسرائيل

* كان الجيش العراقي في الاردن يتحرك فقط لكي
يتعد عن الاذى !

* سياسة نيكسون نحو الاتحاد السوفيتي : دعوهم
ياتون الينا صاغرين .

* قالت واشنطن لموسكو : يجب ان تنسحب سوريا
فورا .

* وانسحبت سوريا فورا بغضن دبابه بمجرد
ظهور لواءين اسرائيليين عند الجولان .

* حسين دمر ١٥٠ دبابة سورية .

● الفصل التاسع ●

انتهت المذبحة بالتسوية الظالم بين أمريكا وحسين وإسرائيل

كتب كسينجر :

الآن .. يمتد القتال من عمان الى شمال الاردن
أيضا حيث توجد تجمعات فلسطينية في مدينة أربد .
وفي يوم ١٧ سبتمبر عقدت اجتماعين لمجموعة
الاعمال الخاصة في مجلس الأمن القومي الأمريكي .
وتم إبلاغ دين براون سفير الولايات المتحدة في
عمان بأن يعرب للملك حسين عن تعاطف واشنطن
مع جهوده وأن يؤكد له أنه - أي السفير - سيتولى
إبلاغ أمريكا بسرعة بأية طلبات للمعونة المادية .



وقد أوضحنا لبراون - لمعلوماته الخاصة - أن الدعم العسكري
الأمريكي ضد تدخل خارجي غير مستبعد . وصدرت تعليمات
لسفارتنا في إسرائيل بالحصول على تقدير الحكومة الإسرائيلية
للموقف كما كنا على اتصال بالحكومة البريطانية . ولكننا قررنا عدم
إجراء أي اتصال بالاتحاد السوفيتي وقلت في اجتماع مجموعة الأعمال
الخاصة أننا تحدثنا مع موسكو كثيرا جدا دون أن نتلقى أي إجابة
مرضية .. . دعوهم يأتون إلينا ، وتحدثت في نفس الموضوع مع
نيكسون الذي وافق على توصيات « مجموعة الأعمال الخاصة » ،

« يجب أن نحيط أنفسنا بحر من الالغاز .. . والأ نقول شيئا » .

● تحركات عسكرية

وفي الوقت الذي كانت فيه نيران الحرب الاهلية مشتعلة في الاردن .. كان لابد من انتشار سريع للقوات الامريكية بهدف سد الطريق أمام شيء يفرى الآخرين بالتدخل . فقد صدرت الاوامر الى حاملة الطائرات «ساراتوجا» - التي كانت في مياه مالطة - للانضمام الى الحاملة « اندبنانس » قرب الساحل اللبناني وبرفقتها طراد و ١٢ مدمرة . وتم ارسال حاملة طائرات ثالثة (جون كيندي) للانضمام الى الاسطول السادس . وهي تقطع المسافة من بورتوريكو للوصول الى هناك في تسعة ايام غير أن المخابرات السوفيتية سوف تلاحظ تحركها بالتأكيد . وصدرت الاوامر الى قوة المهام الخاصة البرمائية (١٢٠٠ من مشاة البحرية) التي أنهت للتو مناوراتها العسكرية قرب جزيرة كريت ، بأن تكون في حالة استعداد على مسافة ٣٦ ساعة من الساحل اللبناني . على أن ينضم اليها الطراد « سيرنجفيلد » . وكانت حاملة طائرات الهليكوبتر (جوام) وقوة عمل خاصة مرافقة لها في الطريق لالتقاط مجموعة أخرى من مشاة البحرية ، وصدرت الاوامر اليها بأن تسرع في حركتها صوب البحر المتوسط .

● شيء من الاثارة !

وناقشت ذلك كله بالتفصيل مع نيكسون الذي كان في مدينة شيكاغو في ذلك الوقت . ووافق على كل عمليات الانتشار العسكري بحماسة فقد كانت هذه التحركات تتلام مع نزعته الرومانسية . وقال « المهم انه لا شيء افضل من قليل من المواجهه من وقت الى آخر .. انها تصنع شيئا من الاثارة » واقتنع نيكسون بأن افضل السبل هو عدم الاعلان الرسمي عن تحركاتنا العسكرية وعدم توجيه تحذيرات .. وفي نفس الوقت وافق على أن نعامل السوفيت من موقع التباعد وبروح من الفئور وفي اجتماع مع محرري صحيفة « شيكاغو صن تايمز » غير مصرح بنشر شيء عنه .. تحدث نيكسون وقال أن الاسرائيليين أو الولايات المتحدة هم الذين يستطيعون وقف تدخل عراقي أو سوري في الاردن . وأنه يفضل أن تقوم الولايات المتحدة بهذه المهمة . وجره الحديث .. فقال انه سيجعل الروس يدفعون غالبا ثمن مفاعلاتهم بالصواريخ على قناة السويس . وقال أيضا « اننا سنتدخل اذا كان هذا التدخل من شأنه تغيير الموقف » .

ومن الصعب أن يتوقع المرء أن تظل هذه الاخبار المثيرة في طي

الكمان . ونشرت الصحيفة نص تصريح نيكسون في أولى طبعاتها . ورغم أن رونالد زيجلر المتحدث باسم نيكسون أصدر على الفور بياناً فيه حديثاً أدلى به الرئيس ليس للنشر إلا أن هذا التصريح زاد من تأثر كلام نيكسون الذي وحه تهنئة فيما بعد الى الصحفي الذي نشره لمهارته ومعالجته الحريصة للقصة !

● بعيداً عن الأذى

وابلغت نيكسون أن القوات العراقية (١٧٠ ألف جندي) لا تحرك ساكناً بينما الجيش الأردني يسحق قوات الفدائيين على مقربة منها . وفي يوم الجمعة ١٨ سبتمبر كان الجيش الأردني يستعيد بخطى منتظمة سيطرته على عمان . رغم البطء المتزايد في إنجاز هذه المهمة فقد لقي الجيش مقاومة عنيدة من جانب الفدائيين في شمال الأردن أيضاً حيث أعلن الفلسطينيون في الواقع « منطقة محررة » هناك . وصدرت عن سوريا - التي تقع على مسافة عشرة أميال من هناك - ضوضاء توحى بالتهديد .

وظل الجيش العراقي ساكناً وكان يحرك نفسه - كلما ظهرت الضرورة - لكي يتبعد عن طريق الأذى .

ولم يسمع شيء يصدر من عبد الناصر

والتقى نيكسون مع جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل في البيت الأبيض في يوم ١٨ سبتمبر أيضاً . وجرى الحديث حول طلبات المعونة لإسرائيل والانهاكات السوفيتية - المصرية - لوقف إطلاق النار في قناة السويس . وأعرب نيكسون ومائير عن اعتمادهما بأن الأرجح أن الملك حسين سوف ينتصر وأن الأزمات في الأردن تكاد تكون قد انتهت . وقال نيكسون أنه يأمل في امتناع إسرائيل عن القيام بعمل متهور . وأكدت مائير لنيكسون أن إسرائيل لن تتحرك دون إحاطة الولايات المتحدة علماً بذلك . وأن إسرائيل لا ترى حاجة لأن تتحرك .

● موقف موسكو

وفي نفس يوم ١٨ سبتمبر أصبح واضحاً أيضاً أن موسكو قد سمعتنا فقد توجه القائم بالأعمال فورانسوف لمقابله رودجر ديفيز نائب مساعد وزير الخارجية لتسليم رسالة من حكومته .

انتهت اللامبالاة السوفيتية ازاء تهمة انتهاك التحجيد العسكري

على القناة واختفت ايضا التمويذة المثيرة للمشاعر حول « أخطار الامبريالية » التي استخدمتها موسكو في الايام السابقة وهي تحت الاطراف على ضبط النفس « حتى تقطع الطريق على الخطر الامبريالي » وبدلاً من ذلك اعرب السوفيت عن قلقهم ازاء الموقف الذي يزداد « تعقيداً » في الشرق الاوسط ولا أثر لعبارات اللوم « كما اعربت موسكو عن « الامل » في أن تشاركها الولايات المتحدة الراى بان تمارس جميع الدول « بما في ذلك الدول التي لا تنتمي الى المنطقة » الحكمة والتعقل « و (تأمل) ايضا في أن تستخدم الولايات المتحدة نفوذها لدى اسرائيل في هذا الاتجاه « وجاء في الرسالة ايضا ان الاتحاد السوفيتي قام من جانبه بدعوة حكومات الاردن والعراق وسوريا ومصر الى انهاء الحرب الاهلية في الاردن : « اننا نبحث عن وسائل لنقل وجهة نظرنا ايضا الى قيادات الحركة الفلسطينية » . وبذلك يبلفوننا - ربما بصدق - أن موسكو فقدت اتصالها بالفدائيين وانه لا علاقة لها بتصرفاتهم وخاصة ما يتعلق بالرهائن .

ولا أثر في الرسالة السوفيتية « للتحذير » من أوحش العواقب رغم أن مثل هذا (التحذير) عنصر رئيسي في الدبلوماسية السوفيتية عندما تكون المخاطرة بتنفيذه ضئيلة ، أو عندما يكون ميزان القوى لصالحها . كذلك لم يأت ذكر اتهام بالتواطؤ الامريكي مع الملك حسين . بل ان الرسالة كانت تتحدث بلهجة تنم عن الاسى وهي تعيد تأكيد أن الحكومة السوفيتية تقف « كما كانت من قبل » الى جانب تسوية لازمة الشرق الاوسط على أساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . كذلك كان تعليق وكالة تاس السوفيتية الذي يحذرنا من التدخل قد صيغ بعبارات غامضة لابد انها لم تغب عن ملاحظة زبائن الكرمليين في الشرق الاوسط .

● البحث عن مخرج

وتأكد اعتقادنا بان السوفيت يتطلعون الى مخرج « بعد الحديث الذي دار بين فاسيلي كوزنتسوف نائب وزير الخارجية السوفيتي وجاكوب ابيم سفيرنا في موسكو في يوم ١٩ سبتمبر . في ذلك اليوم كان الجيش الاردني يواصل احراراً تقدمه البطيء - والواضح في نفس الوقت - ضد الفدائيين . واعرب كوزنتسوف مرة أخرى عن « الامل » في ألا تكون لدينا نية التدخل في الاردن حيث أن هذا التدخل سيخلق « مصاعب » لجميع الدول التي لها مصالح في المنطقة . وسأل عن الغرض الذي يختفي وراء حشد الاسطول السادس

في البحر المتوسط . ورد السفير بيم بأنه لم يبلغ بشئ عن تحرركاتنا العسكرية . وكان هذا الرد صحيحا من ناحية ويساعد من ناحية أخرى على أن يثير في الاغلب القلق السوفيتي .

كان اعتقادي دائما ان افضل استراجية هي عدم تقديم مايسبب الطمأنينة وانما خلق موقف لا يستطيع فيه الاتحاد السوفيتي أن يخفف من قلقه الا عن طريق حث اصدقائه المتطرفين على الامتناع عن التدخل وكذلك عن طريق وضع نهاية حاسمة للآزمة . وهذا ما دعاني الى أن اطلب عدم تقديم اجابة في الوقت الراهن (عندئذ) وعلى أية حال فقد تركنا السوفيت ينتظر عشرة أيام قبل ان يردوا على مذكرتنا عن الانتهاكات للتجميد العسكري (في القناة) .

والصمت هو افضل موقف وسط بين اعادة الطمأنينة - التي يمكن أن تكون هزيمة ذاتية بالنسبة لنا - والمخالة في التشدد التي يمكن أن تتحول الى موقف استعزازي .

وبوجه عام فقد كان اعتقادي اننا نقتررب من نهاية الآزمة التي اعادت قدرا كبيرا من الثقة بالولايات المتحدة . وفي مساء يوم ١٩ سبتمبر اتصلت بالرئيس نيكسون - الذي كان في كامب ديفيد - لابلأغه بالرسالة السوفيتية . وقلت له انها توضح انه يوجد تراجع سوفيتي ولكن سكسون . الذي يلزم الحذر دائما من الاخبار الطيبة . أعرب عن شكوكه . وقال انه كلما تطوع السوفيت بحلق جو من الطمأنينة . فان حدنا مشنوما لابد أن يقع وكان على حق .

ففي صباح يوم الاحد ٢٠ سبتمبر قامت الدبابات السورية بغزو الأردن .

● في سيارة مدرعة

بعد أن أمر الملك حسين قواته بالدخول الى عمان . انغزلت السفارة الامريكية عن القصر الملكي وقبل ذلك كان الملك وزيد الرفاعي يتصلان بسرنا بين وقت وآخر تليفونيا . وكان اللاسلكي يستخدم بصورة متقطعة بين القصر وسفارتنا ولكن الارسال كان مفتوحا مما يجعل في الامكان التقاطه وبالتالي لا يمكن الاعتماد عليه . وكنا محظوظين لان لدينا . على الطبيعة هناك . دين براون وهو واحد من أقدر واشجع دبلوماسيينا وأكثرهم اطلاعا . ومن وقت لآخر كان يذهب للقاءة الملك والرفاعي في سيارة مدرعة . وليس هذا هو اسلوب الاتصال

البريق بطبيعة الحال . وكان البريطانيون أكثر حذرا فقد كانت سفارتهم اقرب الى القصر .

اتخذت الدبابات السورية مواقع على مسافة حوالي ٢٥٠ ياردة داخل الاردن . ولما كان الخبر قد جاء من مسئول بريطاني في القاهرة ولم تجد لندن انه من المناسب ابلاغنا مباشرة . . فاننا لم نعتقد أن الحكومة البريطانية تعلق أهمية كبيرة عليه . وكذلك نحن . ورغم صعوبات الاتصال ، فقد تصورنا أن حسين كان سيجد وسيلة لابلاغنا لو انه كان يشعر بقلق شديد من هذا التطور .

● الملك يتصل تليفونيا

ومع ذلك . ففي الساعة السادسة من صباح يوم ٢٠ سبتمبر اتصل الملك ورفاعي - كل على حدة - تليفونيا بالسفير دين براون لابلاغه بأن الدبابات السورية قامت بهجومين كبيرين على مدينة رمثا الاردنية . ودمر الاردنيون ثلاثين دبابة سورية وارغموا المهاجمين على التفرار وطلب حسين مساعدة امريكية دون أن يحدد نوعها .

وفي الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل بتوقيت واشنطن كان الرفاعي أكثر تحديدا . فقد طلب باسم الملك أن تقوم الولايات المتحدة بعمليات استطلاع لمعرفة ما اذا كان السوريون يتعمقون قوات اضافية في اتجاه الاردن . وفي ذلك الوقت عبر لواءان مدرعان سوريان جديدان الحدود الى الاردن وشنا هجوما على جبهة اوسع . ولم نستطيع التاكيد من ذلك الا بعد نضع ساعات .

● ساعة الخطر

لم يكن عندي شك في ضرورة مواجهة التحدي . وبعد مشاور بين روجرز وسييسكو وبينى وضعنا معا صيغة بيان صدر باسم روجرز ويطلب بلهجة فاطمة بالانسحاب الفوري للقوات السورية ويحذر من الاخطار الناجمة عن توسيع نطاق النزاع . وسلم سييسكو الى القائم بالاعمال السوفيتي رسالة حا فيها :

في هذه اللحظة يتفاقم الموقف بشدة وعلى نحو أكثر خطورة بدخول قوات مدرعة من سوريا الى الاراضي الاردنية وحشد المزيد من القوات الهجومية في سوريا على الحدود الاردنية . وقد أدانت الحكومة الامريكية هذا التدخل في الاردن ودشت الى الانسحاب الفوري لقوات الغزو . واذا لم يوقف على الفور هذا التصرف غير المسئول والذي

لا يمكن احتمالاه من جانب سوريا فانه يمكن أن يؤدي إلى توسيع نطاق النزاع الحالي . وحكومة الولايات المتحدة تدعو الحكومة السوفيتية إلى أن توضح لحكومة سوريا الاخطار المحتملة
تترتب على تصرفها الزاهن والحاجة إلى سحب قواتها دون تدخل من الأراضي الأردنية والامتناع عن أي تدخل آخر في الأردن .

والحكومة السوفيتية لا يمكن أن تكون على غير علم بالمرتبك الوحيد التي يمكن أن يسفر عنها توسيع نطاق النزاع . ونحب حكومة الولايات المتحدة من جانبها جميع الأطراف الأخرى في المنطقة على ضبط النفس

● حشود غير سرية

وفي مساء نفس اليوم أوصيت - ووافق نيكسون من كامب ديفيد - بإعادة اللواء المحمول جواً الموجود في ألمانيا إلى موقعه في دهمه الاقلاع وكان قد سمح له بالتحرك في ١٨ سبتمبر عندما دعا أن الأزمه قد هدأت . وصدر الأمر إلى إحدى الكتاب بالأسلحة لعملية نزال من الجو . وطلبنا من سفارتنا في بون إبلاغ الحكومة الألمانية بتحريك اللواء المحمول جواً . وفسرنا هذا الطلب بضرورة العمل بسرعة والتأهب على أعلى مستوى لإجلاء الأمريكيين من عمان
وصدرت التعليمات بأن يتحرك اللواء علناً وبدون احتياطات أمن . فقد كنا نريد أن نلاحظ المخابرات السوفيتية حركته بسرعة
والاحتمال الأكبر أن تنقل الحكومة الألمانية للحكومات اوروبية صديقة أنباء تحركاتنا . وأبلغنا سفيرنا دين براون بأن ينقل إلى الملك حسين صورة من البيانات التي أصدرناها ومذكرتنا للسوفيت وبأن يبلغه بأن التدخل الأمريكي مستبعد .

واستمر تخطيطنا على أساس افتراض احتمال رد فعل عسكري أمريكي أو إسرائيلي . واتفق الجميع في حكومتنا على أن أي رد فعل عسكري أمريكي يجب ألا يتم في وقت وحد مع رد فعل عسكري إسرائيلي ويسرى نفس الموقف على رد الفعل الإسرائيلي .

● شريط الأحداث

ومن أجل إصدار توصية نهائية للرئيس نيكسون دعوت إلى اجتماع مجموعة الأعمال الخاصة في الساعة السابعة من مساء يوم ٢٠ سبتمبر ومنذ ذلك التاريخ حتى اجتماع مجلس الأمن القومي في صباح اليوم التالي اتخذت الأزمة بالنسبة لنا في واشنطن شكل

اجتماعات لا تكاد تنقطع ومحادثات تليفونية لا تكاد تتوقف . وفيما يلي مسلسل أحداث تلك الليلة ساعة ساعة .

من الساعة ٧ر١٠ حتى ٧ر٥٠ عقد اجتماع مجموعة الاعمال الخاصة في (غرفة المواقف) في (بدروم) اليب الابيض لبحث خطط الطوارئ، مرة أخرى . وتقرر ارسال اثنين من مستشفيات الميدان العسكرية استجابة لطلب الملك المساعدة . ودارت مناقشات بيروقراطية حول تفاهات : هل سنرسل المستشفى كمساهمة أمريكية أم وفقا لمعونة متعددة الاطراف ؟

● مصاعب العملية

وتأكد اقتناعنا من خلال المناقشة بأن قواتنا موزعة على أفضل صورة للتصدي لتدخل سوفيتي في العمليات العسكرية الاسرائيلية . . . ولكي تزداد فاعليتنا يجب أن نشرك كل الاحتياطي الاستراتيجي لدينا وبذلك نكون قد اقتربنا من نقطة الخطر في ميدان القتال متباعدين ومكشوفين أمام أي طارئ جديد .

وسوف تتوجه قواتنا الى الشرق الاوسط بدون معدات ثقيلة . . وبدعم جوي فقط من حاملات الطائرات . وخط الامدادات البري الوحيد لدينا . . عبر اسرائيل . واذا واجهنا مصاعب فان علينا أن ندعو اسرائيل للمساعدة . واذا خرج الموقف في الاردن عن الطريق المرسوم فان العلاج الوحيد هو ضربة جوية مكثفة لسوريا . . وأفضل من يقوم بهذه العملية . . اسرائيل .

وفي الساعة السابعة والنصف عاد نيكسون من كامب ديفيد واستدعاني الى مكتبه . وتحول الرئيس الأمريكي عن موقفه السابق واكتشفت انه غير رأيه قبل اجتماع مجموعة الاعمال الخاصة الاخير . وابلغني انه اذا كان ثمة رد فعل عسكري فانه يجب الانقواء به نحن

ومن الساعة الثامنة حتى الثامنة والدقيقة العشرين اجتمع نيكسون مع كبار اعضاء مجموعة الاعمال الخاصة . وقال لهم أن مهمتهم هي انقاذ الملك من أي تدخل خارجي .

● نجدة عاجلة

وفي الساعة الثامنة والدقيقة العشرين . . وصلت الانباء عن طريق السفير البريطاني في عمان بأنه نظرا لتدهور الموقف في الاردن

فان الملك يطلب مساعدته عن طريق شن غارات جوية فورا على خصومه وفي الساعة الثانية والدقيقة ٣٥ عدت للانضمام الى اجتماع مجموعة الاعمال الخاصة الذي استمر حتى التاسعة والرابع . وقد عززت البرقية التي جاءت عن الطريق البريطاني الاجراءات التي تفصل الوقوف جانبا وترك اسرائيل لتتحرك . ولم تكن تحت ايدينا معلومات كافية من المخابرات أو معلومات عن الاهداف وبالتالي لا نستطيع الاستجابة بسرعة لاشماس الملك باستخدام القوات الامريكية وفي نفس الوقت . . فان على الولايات المتحدة . لكي ننف عائقا أمام تدخل سوفيتي . ان نزيد من سرعة استعداداتها . . و نرفع مستوى قدرتها على القيام بعمليات جوية في حالة ما اذا اتضح ان الاسرائيليين قل رغبة في العمل مما توقعنا .

● توصيات عامة

ووافقت مجموعة الاعمال الخاصة لواشنطن على تقديم التوصيات التالية للرئيس نيكسون :

- تحسين حالة تاهب النوا المحمول حوا في ألمانيا بدرجة اكر
- وضع العرق ٨٢ المحمولة حوا في حالة تاهب كامل

(ولا شك أن المعلومات المتعفة بهذه الخطوة سوف تسرب مما يرغم موسكو ودمشق على اتخاذ قرار سريع)

● قيام طائرة استطلاع من حاملة طائرات الى مطار تل أبيب لالتقاط معلومات عن الاهداف التي تضرب من الجو في الاردن (. . .)

ومما لاشك فيه أن أجهزة الرادار السوفيتية والصربية سوف يكتشف هذا التحرك مما يعني ان العمل العسكري الامريكي يضر (. . .)

وبعبارة أخرى . فائنا سندعم الاحساس بان تدخلا امريكيا و اسرائيليا أصبح يدوح في الافق .

● نيكسون يلعب

وفي حوالي التاسعة والدقيقة ٢٧ . طلعت سيسكو لكي ينوحه معي الى الرئيس لابلغه بتوصيات مجموعة الاعمال الخاصة . ولما كان سيسكو هو المسئول الذي يجمع في يده كل الحلقات المترابطة لحركة مرور البرقيات . . فانه لابد أن يفهم بالتفصيل التفكير السائد في البيت الابيض وان يستوعب الصورة بكل ظلالها . . ولابد من احاطة روجرز علما بكل التطورات وقد قرر روجرز أن يجلس الى جانب التليفون في بيته في انتظار التطورات .



رايين
سال لعابه عندما طلبت منه امركا
تدخلا جونا .. فاذا به يطالب بهجوم
اسرائيل كامل



انا ابيان
اراد ١٠٠٪ اسرائيل ..

وفي البداية كان علينا أن نعرض على الرئيس نيكسون الذي علمنا أنه يريد أن يذهب ليمارس لعبة البولينج . واستطعنا بمساعدة رجال البوليس اسري ان نفعي أنره الى ممسى معنم طويل دى أرضيه خستيه ناعمه لنعمة البولينج نفع فى بديوم منى المكتب الملحق بالبيت الابيض ..

اسمع نيكسون الى تقريرنا فى هدوء ووافق على التوصيات بسما كان بصمت فى يده بطريقه غير لائقة كرة البولينج فى إحدى يديه . وكانت هذه هى إحدى الملاحظات الغريبة التى أرى فيها نيكسون بدون سيطرة او ربطة عبق . وقال ان النجاح ضرورى وانه مصمم على وقف الهجوم السورى . ووافق على أننا فى حاجة عاجلة للاتصال بالسفير الاسرائيلى وابلفظه باننى سأطلب راين .

● مكالمه مع راين

وفى حوالى الساعة العاشرة ليلا .. عدت الى مكتبى فى البيت الابيض وظننت الاتصال براين الذى اتفهم انه يحضر مائدة عشاء فى نيويورك لشكرىم جولدا مائير . وكان لابد من استدعائه من قاعة المائدة الى مكان آمن .. ورغم ذلك فقد كتب اسمع خلال المكالمه ضجيج الاصوات من بعيد .. وبعد ان ابفمت راين ان سيمسكو ايضا معنا على الخط . سألته عن المعلومات المتسريفة لدى اسرائيل عن الحركات السورية . وقال راين ان تقديرات اسرائيل تشير الى

وجود حوالي ٢٠٠ دبابة سورية في منطقة اربد (شمال الاردن) .
وأبلغت رابين بأننا تلقينا طلبا بالمساعدة ولكن لا توجد لدينا
معلومات سرية . . فهل نستطيع اسرائيل القيام بعملية استطلاعية
عند طلوع فجر اليوم التالي (أى بعد ثلاث ساعات فقط بتوقيت
الشرق الاوسط) وان تبلغنا بتقديرها للموقف :

وسألني رابين - الذى لم يكن أحد يستطيع خداعه - عما اذا كنا
سننظر نظرة ايجابية الى تجربة جوية اسرائيلية اذا كشفت معلومات
المخابرات عن زحف سوري كبير . وكان ردى أنا بفضل ابداء هذا
الرأى بعد تحليل سابع عملة الاستطلاع .

كنت لا أزال انافس معه عندما تسلمت برقية عاجلة من الملك ،
وهي موجهة في هذه المرة لنا . . مباشرة . . وقلت لرابين اننى
سأعاود الاتصال به بعد وقت قصير .

● بدهور في الموقف

وصلت برقية الملك عن طريق التليفون لسفرنا في عمان قبل
ساعتين . وأشارت البرقية الى احتلال مدينة اربد .

ويرى الملك ان القيام بضربات جوية مسألة حسنة . . وقد يطلب
في القريب عاجل قوات برية ايضا . . وطلب حينئذ منا في هذه
المررة ابلاغ بريطانيا بطلب مساعدته .

وفي الساعة العاشرة وال نصف ، اتصلت أنا وسيسكو بروجرز
من مكتبى وابلغناه بالمحادثة مع رابين وبالبرقية الجديدة اليائسة
من الملك . وكان الرأى الذى نميل اليه هو تقديم توصية الى الرئيس
نيكسون بتأييد قيام اسرائيل بضربة جوية . ووافق روجرز على أنه
لا مفر أمامنا من سلوك هذا السبيل .

وفي الساعة العاشرة والدقيقة ١٢ كنا - أنا وسيسكو - نعود الى
ملعب البولنج . وفي هذه المرة تعرفنا على الطريق اليه . لم يقع
بصرى على هذا الملعب مرة أخرى منذ تلك الليلة المشهومة وأبلغنا
الرئيس نيكسون بطلب الملك وبالرأى الذى أجمع عليه كبار
مستشاريه . ووافق على توصياتنا ومنحنا تفويض الاتصال برابين

● موافقة على الهجوم

وفي الساعة العاشرة والدقيقة ٢٥ عاودت الاتصال برابين . وكان
سيسكو ممي على الخط .

واكمل وضع الخطة فى نفس اللحظة التى مرغ فيها نيكسون من لعبة البولنج وجاء الى مكتبى .

و بلغت رابين بالمعلومات التى تلقيناها من الاردن دون أن اذكر له مصدرها . وقلت له - بعد مناقشة مع الرئيس نيكسون وسيسكو أنه اذا أكدت عملية الاستطلاع الاسرائيلية ما سبق ذكره لى . فاننا نوافق على هجوم جوى اسرائيلى وسنعوض الخسائر المادية وسنبذل كل ما نستطيع لمنع تدخل سوفيتى . وكرر رابين بحرص ما قلته له فكى يؤكد من أنه فهم ما اريده . وقال انه سيتشاور مع رئيسة الوزراء .

وفى الساعة العاشرة والدقيقة ٤٥ دعوت مجموعة الاعمال الخاصة مرة أخرى عند منتصف الليل فى ضوء احتمال تحرك اسرائيل أثناء الليل . وطلبت من هيئة مكتبى اعداد كل المعلومات اللازمة ثم ابلغت السفير البريطانى فى واشنطن ببرقية الملك .

● صراخ فى التليفون !

وفى الحادية عشرة والدقيقة ١٥ اتصلت بسكرتير أدوارد هيث رئيس وزراء بريطانيا وطلبت منه أن يقر له برقية الملك . جرى الاتصال على الخط التليفونى السرى . ولكن نيكسون الذى كان يجلس معى (للردشة) فى الوقت المتاح بين المكالمات التليفونية طلب منى الكف عن استخدام التليفون السرى قال انه لا داعى لذلك طالما ان المارة فى شارع بنسلفانيا يستطيعون أن يسمعونى وأنا أصرخ فى التليفون !

وفى الحادية عشرة والنصف . . اتصل بى رابين لابلغى برد جولدا مائير . قال ان اسرائيل ستقوم بعملية استطلاع جوية مع الشعاع الاول للفجر . . وان الموقف حول مدينة اربد ، يدعو للاكتئاب . . وان القيادة العسكرية الاسرائيليين ليسوا مقتنعين بان العمليات الجوية ستكون كافية . . وستنقل اسرائيل الى واشنطن تقديرها للموقف بعد دراسة نتائج الاستطلاع الجوى . . ولكنها لن تتخذ أية خطوة قبل اجراء مشاورات أخرى معنا .

● ايقاف نيكسون من النوم

وفى اجتماع مجموعة الاعمال الخاصة عند منتصف الليل . . جرت مناقشة حول ما يجب عمله اذا قامت اسرائيل بضربتها خلال الاربع والعشرين ساعة التالية .

وطلبت الفياض بدراسات عاجلة أثناء الليل حول أربعة موضوعات
خطط طوارئ. في حالة تحركات سوفينية محتملة - صفقات مساعدة
لاسرائيل والاردن لتعويض الخسائر - سيناريو لشرح الموقف أمام
الكونجرس - خطة دبلوماسية لإطلاع الحلفاء وحت السوفيت على
البقاء بعيدا عن الأحداث .

وفي الواحدة صباحا . اتصلت نيكسون لتقديم تقرير عن اجتماع
مجموعة الاعمال الخاصة . وسخر عندما قلت له أن وزارة الدفاع
الامريكية تخشى من هجمات جوية سوفينية على اسرائيل كاجراء
انتقامي . قال : « لا أصدق ذلك »

وفي الخامسة والرابع صباحا . علمت أن اسحاق رابين أجرى
اتصالا لابلغنا بأن الاسرائيليين يعتبرون الضربات الجوية غير كافية
وانه لابد من تحرك برى .
وفي الخامسة والدقيقة ٢٥ صباحا . انقطعت نيكسون من نومه
لابلغه بموقف اسرائيل . واقترحت عليه أن يؤجل اتخاذ قرار وأن
يدعو كبار مستشاريه الى اجتماع في الساعة والنصف صباحا .
ولكن نيكسون كان يرى ان تحركا اسرائيليا برى سبب جدلا خطيرا
وقال انه سيتخذ قراره في نفس اللحظة . وقال « أبلغ رابين
بالموافقة »

● روجرز يتحفظ

ولم أكن لادع الرئيس نيكسون يخاطر بمواجهة كبرى مع الاتحاد
السوفيتي دون التشاور مع كبار مستشاريه خاصة وأن روجرز
لايشارك في ابداء الرأي في هذا الموقف . ان تحركا اسرائيليا
بريا يمكن ان يفجر حربا في الشرق الاوسط . واتصلت بروجرز
الذي أبدى تحفظات جدية في الوقت الذي وافق فيه سيسكو على
التحرك البري الاسرائيلي .

وكان موقف ملفين ليرد وزير الدفاع غامضا .

وعلى كل حال فإن اسرائيل تحتاج الى ٤٨ ساعة لتعبئة قواتها
في حالة تحرك برى ثم أن هناك خلافات بيننا في واشنطن حول
هذه النقطة . فلماذا العجلة في اتخاذ قرار ؟

وإذا صمد الملك بينما تمارس ضغوط على سوريا يمكن تصعيدها
الى الحد الذي يجعل الازمة تحل نفسها بدون حرب . فأننا سنجد

الفرصة لالتقاط الانفاس . كما ان عبد الناصر يمكن ان يضغط في اتجاه إنهاء العمليات حتى لا يواجه نفس الورطة المستحيلة التي أدت الى كارثة ١٩٦٧

● تعبئة في هدوء

وفي اجتماع مجلس الامن القومي في الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ يوم الاثنين ٠٠ قرر نيكسون في النهاية أن يقوم سيسكو بإبلاغ اسرائيل بأن الولايات المتحدة توافق على عملية برية من حيث المبدأ على أن تخضع هذه الموافقة لوجهة نظر الملك وللتشاور السابق مع واشنطن قبل القرار النهائي .

وبدأت بالفعل عملية التعبئة العسكرية في اسرائيل بهدوء وإذا أضيف هذا الإجراء الى الانتشار العسكى الذى قامت به الولايات المتحدة ٠٠ فان ذلك يمكن ان يخلق الاثر والواقع اللذين نريدهما من وراء هذا التهديد .

ولحسن الحظ ان اسرائيل كان لها تقديرها الخاص للموقف مما دفعها الى تعبئة قواتها دون ان تطلب منا ردًا نهائيًا . وفى تلك الانثناء تحرك لواءان اسرائيليان الى مرتفعات الجولان مما جعل جناح القوات السورية فى الاردن يشعر انه مهدد .

● موقف معتدل

وفى نفس اليوم (الاثنين) جاء الرد السوفيتى على رسالتنا التى كانت تطالب بالانسحاب السورى الفورى وكانت سرعة الرد (٢٤ ساعة) بالمقارنة بالتأخير فى الرد الذى كان يستغرق أسبوعاً توضح مدى قلق الكرملين .

ومما يلفت النظر ان لهجة الرد كانت معتدلة ٠٠ اذا نظرنا اليها فى ضوء تحركاتنا العسكرية المكشوفة فقد أشارت الحكومة السوفيتية الى انه يبدو أننا نشاركها قلقها ازاء تفاقم الموقف فى الاردن ٠٠ واننا نحن أيضا نعتبر التدخل فى شئون الاردن من جانب دول أخرى ٠٠ أمراً غير مقبول .

وهكذا اتخذت السوفيت موقفهم ضد التدخل السورى واعرب السوفيت عن الامل فى أن نحث نحن أيضا اسرائيل على أن تسلك نفس الأسلوب ولم تدع الرسالة السوفيتية مجالاً للشك فى أن الاتحاد السوفيتى يلج على سوريا لكى تنسحب . فقد أضافت

الرسالة ان الحكومة السوفيتية تتمسك بنفس الخط « الموقف »
فى اتصالاتها مع حكومة سوريا .

وفى الاربع والعشرين ساعة التالية تحول الموقف الى شىء مختلف
تماما . .

وقد تشجع الاردنيون من عدم اشتراك السلاح الجوى السورى
الذى كان تحت قيادة ضابط اسمه حافظ الاسد فى القتال بل ظل
بعبدا عنه . وبدأ الاردنيون يهاجمون الدبابات السورية من الجو
حول مدينة اربد . واشارت التقديرات الى أن سوريا خسرت ١٢٠
دبابة .

اما القوات العراقية التى كانت المصدر الرئيسى للقلق لدينا فانها
طلت بلا حراك . وقامت مصر بإبلاغنا بأن السوفيت بذلوا جهدا جادا
لكى تعيد سوريا النظر فى موقفها فى الاردن .

وابلغنا اسرائيل بانها اذا قامت بتحريك برى فسوف يقتصر على
الاردن وانها لن تهاجم سوريا .

● فى البعثة المصرية

وعلى خلاف عادتي - الامتناع عن حضور اى حفلات دبلوماسية -
قررت أن احضر حفلا فى البعثة المصرية فى مساء يوم ٢٢ سبتمبر
لكى اوضح أن سياستنا ليست معادية للعرب .

وهناك استوقفنى القائم بالاعمال السوفيتى لكى يسألنى امام
عدد كبير من الضيوف عن السبب فى أننا لم نرد على المذكرة
السوفيتية التى وصلتنا فى اليوم السابق وقلت له أنه ليس لدينا
جديد نقوله وان على القوات السورية أن تنسحب . وسألنى
الدبلوماسى السوفيتى عما اذا كنا سنعتبر توقف السوريين فى
أماكنهم - حيث هم - كافيا . . ولكننى صممت على عودة هذه القوات
الى سوريا

● وانتهت الازمة

وفى يوم ٢٣ سبتمبر طلبنا زيادة عدد قواتنا فى البحر المتوسط
رغم ان الانسحاب السورى أصبح محتملا . وهكذا توجهت أربع
مدمرات أخرى من الولايات المتحدة الى البحر المتوسط . واجتازت
غواصتان هجوميتان مضيق جبل طارق الى نفس المنطقة .

وطلب نيكسون من سيسكو ان يؤكد على اسرائيل انها يجب الا تقدم على أى تصرف دون تشاور معنا .

وتوضح مفكرتى ان الرئيس نيكسون . . وانا التقينا خمس مرات على افراد بين الساعة التاسعة والنصف صباحا - حيث اجتمع مجلس الامن القومى - فى الثانية والدقيقة الخمسين من بعد ظهر ذلك اليوم - ٢٣ سبتمبر - وهى اللحظة التى وصلتنا فيها انباء مؤكدة عن انسحاب الدبابات السورية من الاردن .

وفى اليوم التالى - ٢٤ سبتمبر - ظهر الى الوجود مرة اخرى السفير السوفيتى فى واشنطن دوبرينين ليؤكد لى ان الاتحاد السوفيتى لم يكن على علم بخطة الغزو السورى للاردن . بل وأكد لى ان المستشارين السوفيت تركوا الوحدات السورية قبل أن تعبر هذه الوحدات العسكرية الحدود !

وفى نفس اليوم وجهنا رسالة الى اسرائيل لابلغها بالانسحاب السورى ولتقدير موقفها باعتبار انه ساهم فى التوصل الى هذه النتيجة ولالغاء كل ما سبق الاتفاق عليه معها حول التحركات العسكرية .

وانتهت الازمة الاردنية .

السادة كان عارفا بمؤامرة موسكو ولهذه هي الأدلة

في هذه الصفحات - عن اتفاق الوفاق بين أمريكا وروسيا - التي ننشرها في هذا الفصل ٠٠ والنص الذي يليه ، نقلا عن الاصدارات الهامة التي سجلها كسينجر في كتابه ٠٠ في هذه الصفحات يبدو واضحا كم كان كسينجر قاسيا في وصف الهوان السوفيتي، والضعف والتراجع ٠٠ بل التوصل من زعماء الاتحاد السوفيتي ، للرئيس الامريكى نيكسون - في مؤتمر القمة الذي عقد في ٢١ - ٢٢ يو ١٩٧٢ بموسكو - أن



يسمح لهم بأن يزور « بودجورني » فيتنام الشمالية - لخدمة المطالب الامريكية - بضعة ايام ٠٠ يتوقف فيها القصف الامريكى لفيتنام الشمالية ٠٠ ولكن نيكسون يرد في عجرفة وحدة ٠٠ (لقد طال النقاش عن فيتنام ٠ وهذا يكفي ٠ نوافق على عدم القصف في هانوي فقط وميناء هايفونج ، أما في باقى فيتنام فنحن احرار ٠٠ » ثم حذرهم في لهجة متعالية ساخرة : ولكن بشرط ألا تستمر زيارة بودجورني ثلاثة اشهر !

ثم يصف كسينجر هذه المناقشة - عن فيتنام - التي جرت بين زعماء الاتحاد السوفيتي (بريجنيف - بودجورني - كوسيجين)

وبين نيكسون .. انها كانت عبارة عن مناقشة وهمية .. لانها تمت مفاجئة للوفد الامريكى ، بناء على اقتراح لنيكسون أن يقضى مع الزعماء السوفيت بعض الوقت فى بيت ريفى .. وكل ذلك بعد أن تمت مباحثات الوفاق السوفيتى الامريكى .. وتم توقيع اتفاق (سولت - ١) للحد من الاسلحة الاستراتيجية مع الاتحاد السوفيتى .. والاتفاق على بيان «الاسترخاء العسكرى» فى الشرق الاوسط وتجميد الاوضاع ..

فقد كان واضحا لدى الاتحاد السوفيتى ، أن أمريكا لن توقع اتفاق (سولت - ١) الا بشرطين لاجدل حولهما من الاتحاد السوفيتى ..

الاول : هو المساعدة السوفيتية لأمريكا لايجاد حل سلس فى فيتنام ..

والثانى : هو « ضبط النفس » فى الشرق الاوسط ..
وتعبير « ضبط النفس » .. تعبير خبيث من كسينجر .. لان تفسيره هو تجميد الوضع فى الشرق الاوسط ..

● طوال اربع سنوات

وكل ذلك تم الاتفاق عليه بين موسكو وواشنطن .. طوال ٣ سنوات من الاصرار الامريكى .. انتهت بالاستسلام السوفيتى الكامل ، لشروط أمريكا .. بالنسبة للوضع فى فيتنام .. وبالنسبة للوضع فى الشرق الاوسط .. وبعد ذلك وافق نيكسون على عقد مؤتمر القمة فى ٢١ مايو ١٩٧٢ .. بعد ان كان الحبراء من الجانبين قد وضعوا اللمسات الاخيرة لاتفاق سولت .. ولم يبق الا اجتماع زعماء البلدين للتوقيع .. والدرشة !

واذا كان الاتحاد السوفيتى قد باع فيتنام الشمالية فى اجتماع قمة موسكو .. حتى كان كوسيجين يقسم امام كسينجر بأن الاتحاد السوفيتى لم يرسل ولن يرسل اسلحة الى فيتنام .. وأن السفن السوفيتية لاتحمل الا الطعام والدواء ..

.. فان الاتحاد السوفيتى قد باع - قبل فيتنام - مصر والامة العربية كلها ، فى كل آمالها بالوصول الى تسوية سلمية مشرفة ، تنص على الانسحاب الكامل ، وحل القضية الفلسطينية .. أو فى أن يحصل على اسلحة سوفيتية - مقابل انتاجنا الصناعى بالعملة الصعبة - تضعنا خطوتين أو ثلاثا الى الوراء امام السلاح الامريكى الذى يتدفق علنا واستفرازا الى اسرائيل ، ومجانا .. لا أن نكون متخلفين عن التسليح الاسرائيلى عشرين خطوة .. وذلك حتى



كان السادات يحترق في داخله .. كان يعاني من المؤامرة السوفيتية مع امريكا .. على حساب بيع مصر والامة العربية .. ولكنه كظم غيظه .. ودافع عن الاتحاد السوفيتي .. وزار زعماء الكرملين المرة بعد المرة .. وكل ذلك من اجل ان يضمن سلاحا للمعركة .. ولكنهم روغوه .. ورفضوا كل المواقف التي تقدمت من التسكير في الحرب .. وتركوا مصر ضحية حالة الاحارب واللاسلم .. لانها لن تقبل الاستسلام في تسوية وهي في موقف الضعف .. ولكن الرجل استطاع ان ينتصر على المؤامرة .. وكانت حرب أكتوبر ..

لاتثبت اقدام اسرائيل في الارض المصرية والعربية بقوة السلاح الامريكى الذى لامتلك ما تقاومه به .. او حتى تخضع اسرائيل لاسلوب تسوية سلام .. لا تسوية استسلام من جانبنا ونحن في الموقف العسكرى الضعيف .

الاتحاد السوفيتى باعنا - مقابل اتفاق الوفاق الامريكى السوفيتى - ودليل ذلك ما اورده كسيندجر ساخرا هازئا بالتراجع السوفيتى الكامل .. مع اثارة دردشة يتحدثون فيها بتطرف .. بغير اى التزام امريكى امامهم .. وهذه الدردشة مخصصة فقط ، لارسال محاضرها او خلاصتها الى هانوى (عن فيتنام) والى القاهرة عن مصر والامة العربية .. والمنطق السوفيتى كان يتصور انه قادر على خديعتنا بهذا الاسلوب الذى يعنى افهاينا انهم بذلوا المستحيل .. وتشددوا .. ولكن الامبريالية الامريكية لاتزال سائدة فى غيها !

هذه الامبريالية التي وقعوا معها اتفاق (سولت - ١) الوفاق
٠٠ بشرط التراجع السوفيتي الكامل عن موقفه من فيتنام والشرق
الاطوسط .

● مشكلة عابرة !

ولكن مشكلة الشرق الاوسط ، لم تحي. الا عابرة ٠٠ أى ، على
الهامش ، ٠٠ فى المناقشات الجانبية ٠٠ أما البيان المشترك الذى
صدر من أمريكا والاتحاد السوفيتي عن أزمة الشرق الاوسط ٠٠
فهو العجب العجيب . وعلى حد تعبير كسينجر ٠٠ بعد أن وقعنا
اتفاق سولت ٠٠ لم يكن هناك ٠٠ توتر سوفيتي أو جهد أمريكي
فى المشاكل الاخرى !

المناقشة الوحيدة التي جرت عن الشرق الاوسط بعد توقيع
(سولت) فى المساء ٠٠ هي تمهد من الاتحاد السوفيتي بأنهم لن
يهزوا الزورق فى الشرق الاوسط . وأنهم يقرون استمرار التشبث
الامريكي ، بأن يبقى الشرق الاوسط « فوق الثلج » ٠٠ أى تجميد
المشكلة ٠٠ الى أن يتقدم السوفيت بحل وسط ٠٠ كان ذلك فى
اواخر مايو ١٩٧٢ ٠٠ ثم الاتفاق على حديث آخر فى نهاية السنة
(ديسمبر) بين جروميكو وكسينجر .

● البيان المسطح

وفى ليلة مفادرة نيكسون للاتحاد السوفيتي ٠٠اجتمع كسينجر
مع جروميكو لوضع بيان بمبادئ التسوية فى الشرق الاوسط
٠٠ وتجاهل جروميكو - عن عمد - أن كسينجر يريد اضاءة الوقت
مظهرا عدم الاهتمام ٠٠ او عدم الفهم الصحيح لكلمات جروميكو
٠٠ وكسينجر مقتنع انه يتحدث مع جروميكو الموروط ٠٠ ورطة
لافكاك منها أحكمها الأمريكيون جيدا ، ٠٠ لانه لاتسوية سلام من
غير أمريكا ٠٠ واذا دخل « زبائن السوفيت » - يقصد مصر -
الحرب ٠٠ فسوف يخسرونها .

فلا موافقة من أمريكا ، على أى تصرف سوفيتي الا اذا كان خدمة
للأهداف الأمريكية وهو المحافظة على الامر الواقع . وهذا نص
كلمات كسينجر ٠٠ وخضع السوفيت . وسمى جروميكو الى
تسجيل فقرة عن أن الطرفين يؤيدان قرار مجلس الامن ٢٤٢ ٠٠
ويقول كسينجر أن هذه فقرة لا معنى لها ٠٠ فالقرار قائم منذ ٦٧
٠٠ ولم يطبق . ولن يطبق الا بارادة أمريكا ٠٠

ثم نص البيان على أن الطرفين يدعوان الى «الاسترخاء العسكري»
فى المنطقة ٠٠ « والتسوية السلمية » ٠٠ وأهمية التعاون « البناء »

من كل الاطراف مع يارنج (مشروع ريجرز) حتى يعود الموقف الى طبيعته في الشرق الاوسط . وتحدث خطوات أخرى لمزيد من الاسترخاء العسكري الكامل !

والح جروميكو على الاتفاق على مبادئ التسوية . ولكنه لم يمارس أى ضغط خفيف ، على كسينجر . مما اتضح معه تماما لكسينجر أن السوفيت لا يريدون أزمة في الشرق الاوسط . ومعنى ذلك أنهم لن يعطوا مصر فرصة للقتال . أى أنهم لن يزودوها بالاسلحة التي تعطيهم هذه الفرصة . وهذا ما يريده كسينجر تماما . وهذا مانفذه السوفيت بالحرف الواحد . وتركوا مصر في حالة اللاحرب - لانها عاجزة عن الحرب بغير السلاح - وفي حالة اللاسلم . لان التسوية السلمية في يد أمريكا وحدها القادرة على الضغط على اسرائيل .

ويقول كسينجر ان نتيجة ذلك كله كان اتفاقا مبدئيا حول عدد من المبادئ التي لم تتجاوز اطار قرارات الامم المتحدة التي سبق صدورها ، والتي كانت غامضة تترك مجالا واسعا للمفاوضة ! وهي سبعة مبادئ :

● المبدأ الاساسى حماية اسرائيل

١ - الاتفاقية شاملة ، تنفذ على مراحل ، ولا تستبعد أن تحل بعض القضايا والمنازعات وفقا لقاعدة الاولوية .

٢ - الانسحاب من « اراض » عربية احتلت ٦٧ ، وهو نص قرار مجلس الامن الذي تفسره مصر على أنه انسحاب كامل ، وتفسره اسرائيل على أنه انسحاب جزئى فقط . أى أنه لا تطور في الموقف .

٣ - التعديلات في الحدود تتم باتفاق الاطراف المعنية اختياريا . أى انه تسليم من الاتحاد السوفيتى بتعديل الحدود العربية !

٤ - تقديم كل الضمانات الدولية للامن . مناطق منزوعة السلاح . قوات آمم متحدة في شرم الشيخ .

٥ - الاتفاقية تعنى السلام . لا مجرد انتهاء حالة الحرب .

٦ - ضمان حرية الملاحة في تيران وقناة السويس .

٧ - المبدأ الاساسى في أى تسوية هو الاعتراف باستقلال وسيادة جميع دول الشرق الاوسط بـ فيها اسرائيل . أى الاعتراف الكامل بإسرائيل .

أما بالنسبة لفلسطين فقد سجل السوفيت موقفا انفراديا خطيرا
حدا .. وهو أنهم أرفقوا بهذه المبادئ - من جانب واحد - وهو أنه
يجب أن تحل مشكلة « اللاجئين » الفلسطينيين .. على أساس
عادل وفقا لقرارات الأمم المتحدة !

ويقول كسينجر ان النتيجة العملية لكل ذلك ، كانت تأكيد
حالة الجحود والاسترخاء العسكري الكامل .. بل أنهم اتفقوا على
أن السفير دوبرينين سوف يتابع الحديث بعد ذلك مع كسينجر في
أمريكا .. ولم يبدأ دوبرينين أى اتصال ! .. بل ان كل هذا أثر
في مؤتمر قمة ٧٣ .. المؤتمر الثاني .. وبدون أى نتيجة .

ووصف كسينجر بعد ذلك كل مشاهد السوفيت مهمم .. بأنها
كانت مجرد مشاهد تمثيلية ، لكي يستثمروها في التعامل معنا !
ويصل كسينجر الى النتيجة المنطقية لكل ما جرى بقوله : لقد
ساعدنا مؤتمر القمة على عزل فيتنام تماما .. أما بالنسبة للشرق
الاوسط .. فقد انكشف موقف السوفيت .

● ما هو موقف مصر من المؤامرة ؟

كان هذا هو الموقف في موسكو بين نيكسون وزعماء الكرملين .
هل كانت صورة السوفيت غامضة على مصر حينئذ ؟ هل نجح
السوفيت في إيهامنا بأنهم بذلوا كل الجهود ولكن الامبرياليين
الامريكيين (حلفاء الوفاق) هم المجرمون والاولاد ..

وحتى نتبين موقف مصر من هذه « المؤامرة » بين القوة العظمى
السوفيتية ، والقوة العظمى الأمريكية .. التي باعنا فيها السوفيت
.. علينا أن نعرض الموقف بين مصر والسوفيت قبل مؤتمر قمة
موسكو الذي انعقد في ٢١ مايو ١٩٧٢ .. ثم الموقف المصري بعد
هذا المؤتمر .

وأعود في ذلك ، الى مكتبة انور السادات في «البحث عن الذات»
.. والى بعض ما كنت اسجله في الاجتماعات المفلقة التي كان
يعقدها الرئيس لرؤساء تحرير الصحف ، لوضعهم في الصورة
الحقيقية للموقف .

استعرض الرئيس السادات ، حقائق الموقف مع السوفيت ..
وقد كان على علم تام بكل مجريات الامور مع السوفيت في عهد
عبد الناصر .. ولذلك فإن مواقفه - بعد أن تولى المسئولية - مع
السوفيت نابعة من التجربة المريرة التي عاناها عبد الناصر في

التعامل مع السوفيت حتى أنه قال للرئيس اليوغوسلافي تيتو عندما زارنا بعد الهزيمة «لن أقبل هذا الهوان من زعماء الكرملين» نعم .. عبد الناصر وصل الى هذه النتيجة الواضحة .

● ماذا جرى في فبراير ١٩٧١ ؟

قال السادات في كتاب « البحث عن الذات » :

« في فبراير ١٩٧١ فكرت في السفر الى الاتحاد السوفيتي لأول مرة بعد انتخابي رئيسا للجمهورية لاطالبهم بتنفيذ الجزء الثاني من الاتفاقية التي عقدها مع عبد الناصر وهو امدادنا بسلاح الردع .. كذلك استعواض الذخيرة التي استهلكناها في حرب الاستنزاف ولتزويدنا ببطاريات الصواريخ من أجل حماية منشآت الصعيد .. فأرسل لي السوفيت أنهم على استعداد لمقابلتي في ١ و ٢ مارس ، وطلبت منهم أن تكون الزيارة سرية .. وسافرت وجلست على مائدة المفاوضات في الكرملين ، وشرحت لهم متاعبنا منذ عهد عبد الناصر ومطالبنا الحيوية وبدأت حديثي بتقرير النقطتين الاساسيتين اللتين كررتهما في كل اجتماعاتي التالية مع قادة الكرملين :

الاولى : هي أنه لن يحارب لنا معركتنا جندى سوفيتي واحد .
الثانية : اننا لانسعى الى المواجهة بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا .
وكنت في شدة الانفعال والحماسة ، فاشتبك معي كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتي ، كما اشتبك معي المارشال جريتشكو وزير الدفاع السوفيتي ، ورددت عليهما بعنف ، مما جعل بريجنيف يتدخل ويعلن لي أن الحكومة السوفيتية قد وافقت على تزويد مصر بعدة أصناف من الاسلحة .. لم تكن هي المطلوبة فعلا . ولكن قبلناها لحاجتنا الماسة الى أى سلاح .

كان هذا أسلوب السوفيت معنا دائما . ولكنني قلت لهم في هذا الاجتماع :

« نحن نشكركم ولكن لا بد أن أسجل هنا في محضر الاجتماع اننا مختلفون . »

ويمضي السادات مسجلا في كتابه التاريخي :

« واثنا اشتباكي معهم في هذا الاجتماع قالوا انهم على استعداد لان يرسلوا لنا طائرات بالصواريخ ويدربوا عليها

المصريين ، على الا تستخدم الا بموافقة الحكومة السوفيتية .. عندئذ
اشتد غضبى ، وقلت لهم :

● ● « مفيش قسار فى مصر الا لى كرئيس لمصر . ارفض
هذه الطائرات » ..

بعد ذلك أخذنى بريجنيف وقال لى بينى وبينه : « انت عارف
الطيارة الميج ٢٥ اللى عندك منها ٤ ؟ » .. قلت له (دى طيارة
ممتازة) .. قال لى : (سارسل لك منها ثلاثين تستخدمها قاذفات)
.. قلت له : (عندئذ يبقى أنا اتنازلت عن كل خلاف على شرط أن
الطيارين يأخذوا أوامرهم منى أنا) ..

● طبعاً .. لم يرسل لنا أى شيء !

ويضيف السادات :

- « طبعاً لم يرسل بريجنيف ما وعد به . فأصدرت امرى بأن
الاربع طائرات ميج ٢٥ (مثل التى طار بها طيار سوفيتى الى اليابان)
والتي كان يعمل عليها طيارون سوفيت لاتطير .. فأما أن يعودوا
الى بلادهم .. وأما أن أشتري هذه الطائرات » ..

لقد كان لدى هذه الطائرات الاربع ميج ٢٥ ، وقد قبلت وجودها
على الارض المصرية لاداء الخدمات المطلوبة للاستطلاع للقوات المصرية،
ولكنها لم تقم سوى مرتين بهذه المهمات ، ورفض الطيارون ان يتفخوا
ما نأمرهم به .. واتضح أن وجودهم كان للاستطلاع لحساب الاسطول
السوفيتى الخامس فى البحر الابيض ضد الاسطول الأمريكى فى
هذا البحر .. وقد سحب الاتحاد السوفيتى هذه الطائرات ورفض
أن يبيعها لى ..

ولم يرسل لى السوفيت بطاريات الصواريخ الا فى شهر ابريل
١٩٧١ . أما الذخيرة فقد أرسلوا شيئاً منها ولم يرسلوا بقيتها
الا أثناء حرب اكتوبر ٧٣ .. أما الطائرات وسلاح الردع الذى وعد
به بريجنيف فقد كان مجرد كلام ..

ويعلق الرئيس على ذلك بقوله :

« هكذا كان السوفيت معنا دائماً .. يضعوننا فى موقف لانملك
ليه أن نتخذ قراراً .. أن عدم وفاء السوفيت بوعودهم جملنى غير
قادر على الحركة فى ذلك الوقت »
هذه أول جولة لانور السادات مع السوفيت كما سجلها فى كتابه

.. واضيف اليها أن محور المناقشة كان أن اسرائيل تملك قاذفات مقاتلة أمريكية تصل الى أعماق مصر ، لابد أن نحصل على مايقابلها .. ولا يمكن أن نسير دائما متأخرين عن اسرائيل . والوقت يمضي والخطر يتفاقم وأمام السادات مسئولية تاريخية . نطلب السادات طائرة حاملة صواريخ .

● هذه أسرار عسكرية .. مستحيل !

وقال السوفيت انها من الاسرار العسكرية ، وإذا عرف الامريكان، فانهم سيصدون الموقف . وقال السادات أن اسرائيل تملك السكاي هوك والفانتوم .. ومصر لم تصل الى طائرة أحدث من الميج ٢١ . ووافق السوفيت على اعطائه طائرات حاملات الصواريخ بطيارين سوفيت ولكن بشرط أن استخدمها في القتال يكون بالاتفاق مع الحكومة السوفيتية . ولما رفض السادات وقال ان القرار هو قرار مصر .. قال لهم : دربوا اولادى عليها ، وعندنا طيارون مدربون على نفس النوع من الطائرات بدون صواريخ . فقالوا ان التدريب يحتاج الى أربع سنوات . وقال السادات : لا .. ان التدريب يحتاج الى أربعة أشهر .. وأصر السوفيت . وعندئذ قال السادات : لا أريدها . أن أمريكا لم تشترط على اسرائيل ، عندما اعطتها الفانتوم هذه الشروط ، بل أن أمريكا أنزرتنا انها لن تستطيع منع اسرائيل من الضرب فى العمق .

وكان حوار السادات مع السوفيت يقوم على المنطق المتالى : ان موقفكم محير لى . الجا اليكم عسكريا ، تطالبوننى بالسعى لحل سلمى . وإذا سعيت لحل سلمى تتشككون . فلا سلاح عندى يحسم ولا حل سلمى .. اذن ماذا تريدون ؟ لماذا لا نناقش كل خلاف بوضوح كامل .

وكان مستحيلا طبعاً أن يناقش السوفيت بوضوح .. وهم يعدون « الطبخة » مع أمريكا .. وخاصة أن « بتوع البطاطة » فى مصر - كما يصف أنور السادات من يبلفون المصلومات لموسكو - أنهم وهم أن السادات لن يبقى فى الحكم .. ولما تخلص السادات فى قضية المؤامرة ، وقبلها من على صبرى وباقي مراكز القوى ، كان السوفيت يتصورون أن السادات تخلص من رجالهم فى مصر .. رغم أن السادات أعلن لهم عشرات المرات أن التعامل بين القاهرة وموسكو هو تعامل بين دولتين .. وليس تعاملًا مع أفراد .. وأنه يريد علاقات طبيعية معهم ، كلها ثقة متبادلة .

وفي أواخر مايو ١٩٧١ فوجيء السادات بطلب من الرئيس السوفيتي بودجورني أن يحضر الى القاهرة .
فماذا حدث أيضا في هذه الزيارة . جاء بودجورني بقرار من
المكتب السياسي السوفيتي بضرورة عقد معاهدة مع مصر .

● وعود بودجورني ..

ومعاهدة مع موسكو

يقول السادات في « البحث عن الذات » :

« جاء بودجورني لزيارتي في أواخر مايو ١٩٧١ . وكانت صحف
الغرب كما تنبأت فيما مضى قد نشرت أن رجل موسكو الاول في
مصر .. بل رجال موسكو كلهم قد وضموا في السجن .

وفعلا نشرت بعض صحف الغرب رسما لبودجورني في زيارته
لمصر وهو يستعرض عملا، موسكو في ملابس السجن .

اجتمعت به وطلب مني أن تمقدمصر معاهدة مع الاتحاد السوفيتي .
لم اعارض ولكنني قلت له ان التوقيت ليس سليما ، فمراكز القوة
رجالكم في مصر ما زالوا في السجن . ولم يحاكموا بعد . فانتم بعقد
المعاهدة تسبون اليهم امام الشعب ، لانكم بهذا تؤكدون للشعب انهم
هم الذين كانوا يحمون مصالحكم . ولكنه كان متلهفا على عقد المعاهدة .
وقال ان المكتب السياسي قد اجتمع في موسكو واصر على المعاهدة .
قبلت وكان هدفي ان اطمئنهم . فقد كنت اعرف ان من طبعهم ان
يتركو انفسهم فريسة للشكوك في كل علاقاتهم مع الغير . والشك
في نفسية الروس طبيعة معروفة سواء وقت القيصرية او الشيوعية .

وفي اليوم التالي عقدنا المعاهدة . وذهبت مع بودجورني لاودعه في
المطار . وطلبت منه وهو يهم بركوب الطائرة أن ينقل للقادة السوفيت
رسالة مني وهي « الثقة .. الثقة .. الثقة » .. فقد شعرت انهم
مهتزون وكنت أخشى من هذا على معركتنا .. »

ثم يكمل السادات القصة قائلا :

« أثناء اجتماعي مع بودجورني قلت له اننا غير سعداء بهذه المعاملة
التي تعاملونا بها . ومع ذلك فنحن نعتقد معكم هذه المعاهدة لنثبت
لكم حسن نوايانا . فقال لي : بعد أربعة أيام من وصولي الى موسكو
« سنرسل اليك كل ما طلبته من سلاح فورا بما في ذلك سلاح
الردع »

وكان هذا في أواخر مايو ١٩٧١ ولكن فات يونيو ويوليو وأغسطس وسبتمبر وأكتوبر ولم يحدث شيء مما وعد به بودجورني ٠٠ وأسوأ ما كان يضايقني من الاتحاد السوفيتي أنهم كانوا في أغلب الأحيان يصمتون كالقبر ٠٠ كنت أستدعي السفير السوفيتي مرات ومرات ٠ وأبعث إلى السوفيت بالرسالة بعد الأخرى ٠٠ لكن لا إجابة ٠٠ وكأنك تتصل بأشخاص لا وجود لهم إلا في خيالك ٠

والطريف أن وعد بودجورني للسادات عبر عنه رئيس الاتحاد السوفيتي بحركة تمثيلية عندما قال للرئيس السادات وهو يحرك أصابعه :

— عد على صوابك ٤ أيام ٠ وفي اليوم الخامس ستصل الطائرات وستتدرب عليها الطيارون المصريون ٠٠ وبكل شروطك ٠

وفي يوليو ١٩٧١ قام الانقلاب الشيوعي في السودان ٠٠ ورفض السادات طلباً من الاتحاد السوفيتي بالاعتراف بالتنظيم الجديد ، وناقش السفير السوفيتي بأن المنطقة العربية لا يمكن أن تقبل نظام حكم ماركسي ٠٠ وقال له السادات أنه سيساعد نيمري على الخروج من هذه الأزمة ٠ ولم تقبل موسكو هذا المنطق ٠ والمعروف أنه عندما قام نيمري بحركة ثورية قضى بها على الانقلاب الشيوعي ٠٠ كانت موسكو مترددة في الاعتراف به ٠٠ وقد تم الاعتراف ، بعد لقاء بين السادات والسفير السوفيتي ، أقنعه فيه السادات بأن يسرع الاتحاد السوفيتي بالاعتراف ، لأنه نظام ثوري يقوم على مبادئ ٢٣ يوليو ٠ وتوترت العلاقات بين مصر وموسكو بسبب موقف عدم الاعتراف بالانقلاب الشيوعي الذي انتهى إلى الغنسل وتطور التوتر إلى شبه قطيعة ٠ وتضاعفت حملة السوفيت على نظام الحكم برئاسة نيمري في السودان ٠

● وأخيراً جاءت الرسالة

٠٠ وأخيراً في أواخر سبتمبر ١٩٧١ ، جاءت الرسالة منهم بأنهم على استعداد لاستقبال السادات في ١١ أكتوبر ١٩٧١ ٠

وسافر أنور السادات إلى الاتحاد السوفيتي في ١١ أكتوبر بناءً على طلبه ٠ وذهبت الثلوج بعد مناقشات حادة من خطأ السلوك السوفيتي في معالجة الموقف في السودان ٠ وجرى النقاش حاداً عنيفاً من وعد بودجورني بالطائرات بعد ٤ أيام ٠٠ وها قد مضت ٦ أشهر ٠ وتدخل جريتشكو في المناقشة ٠٠ فقال له السادات : يؤسفني أن اسمع هذا الكلام من ماريشال الاتحاد السوفيتي ٠٠ ولو كنت قائداً

للجيش المصري، وضربت المصانع المصرية ، لما كنت تقول هذا الكلام وتدخل كوسيجين في المناقشة ثم هذا الجو .

ويقول السادات في كتابه البحث عن الذات عن هذه الرحلة :

ـ « أعدت نفس الكلام الذي قلته لهم في ١ و ٢ مارس ١٩٧١ . ولكن أن تكون المسافة بيني وبين إسرائيل عشرين خطوة فهذا أمر لا يحتمل . ووعدوني هذه المرة - بعد مناقشات عنيفة - أن يرسلوا لي الطائرات بالصواريخ وممها المدربون الذين سيدربون طيارينا المصريين عليها . وتنازلوا هذه المرة عن الشرط الذي ينص على ألا تطير هذه الطائرات بالذات إلا بأذن من موسكو . وفي نهاية اجتماعنا قلت لهم : نحن الآن في ١٢ أكتوبر . كل ما أرجوه أن ترسلوا هذه الأسلحة بأسرع ما يمكن حتى نستطيع قبل نهاية السنة أن نكون في وضع يمكننا من تحريك الموقف . وكنت قد أعلنت أن عام ١٩٧١ هو عام الحسم فاما حل سلمي واما معركة . ووافقوا . وانتهى أكتوبر ونوفمبر ولكن كل شيء كما هو . »

ثم جرى اجتماع آخر للرئيس في موسكو مع قادة الكرملين في ١ و ٢ فبراير . ثم أرسلوا المارشال جريتشكو الى مصر في ١٥ مايو ١٩٧٢ ليقوم بتمثيلية هزلية . ثم تمت زيارة نيكسون لموسكو بإعلان الوفاق والاسترخاء العسكري في الشرق الاوسط . واتخذ السادات قرار طرد العسكريين السوفيت من مصر . وهذا ما سوف أعرض له في التعليق على النص التالي بالتفصيل الذي يؤكد أن مصر كانت واعية بالمؤامرة . مدركة تماما أن الاتحاد السوفيتي باع قضية مصر وقضية الأمة العربية كلها . كما باع فيتنام . في مقابل أن يسجل الوفاق مع أمريكا في اتفاق (سولت - ١) .

كسينجر يكشف مؤامرة الوفاق

● قمة موسكو .. كان شرطها الامريكي أن
يساعدنا السوفيت على ايجاد حل لمشكلة فيتنام ..
وتجميد الموقف في الشرق الاوسط .

● تعهد السوفيت انهم لن يهزوا الزورق في الشرق
الاوسط ، وطلبنا أن يبقى الشرق الاوسط فوق الثلج
حتى يمكن أن نتحدث عن حل وسط .

● تحولت سياسة الكرملين الى برهان امام العالم
العربي عن عجزه عن التأثير في الاحداث والى ضياع
نفوذه تدريجيا .

● فيتنام والشرق الاوسط .. كانت مسألة ثانوية
امام تلهف السوفيت على توقيع اتفاق الوفاق «سولت ١»

وكانت معنويات نيكسون عالية وبحل تسافر الى موسكو يوم ٢٢ مايو .

واختتم نيكسون وبريخنيف محادثاتهم حول مشروع معاهدة سولت في يوم ٢٣ مايو على أن تواصل اما مع اندريه جروميكو وزير الخارجية السوفيتي مناقشة بعض التفاصيل في اليوم التالي . ولكن جروميكو لم يظهر . . ولم تكن ذات مبرر . فقد كان على المفاوضين السوفيت أن يجمعوا سبلهم ضد التنازلات المسعدة التي قدمها سكريرهم العام (بريخيف) الزمعي . وقد تناول الزعماء السوفيت مشكلة فيننام كمسألة ذاتية خلال القمة .

وبعد تسوية مشكلة سولت ، أحبط أي تور كان لايال ناقيا في أحواض قبة موسكو ولم يتم حل أي جهد حتى بعد ذلك حل أية مشكلة عالمية عامة .

● فوق الثلج

والامر الذي يطوى على مغرى هام هو أن المناقشة الوحيدة التي جرت خلال قمة موسكو بين نيكسون والبارت السوفيتي (بريخيف وبودجورني وكوسيجين) . . كانت في مساء اليوم الذي سبق توقيع معاهدة سولت . . وأسفر عنده المناقشة عن تعهد السوفيت بأنهم لن يهزوا الرورق (يقصد عدم القيام بأي تحرك) واستمرار تشبثنا - نحن الأمريكين - باستراتيجيتنا وهي ابقاء الشرق الاوسط فوق الثلج (يقصد تحميل المشكلة) الى أن يبدى السوفيت الرغبة في التحدث عن حل وسط . ولذلك اعتبر نيكسون أن هذه المناقشة هي في المحل الاول . . أحراا للمعوق . واقترح أن يتحدث جروميكو وكيسنجر مرة أخرى حول الشرق الاوسط في نهاية السنة . وأن نحاول في تلك الاثناء الانقائ على بعض المبادئ العامة تهتدي بها المفاوضات مستقبلا . . بل أن نيكسون أثار مشكلة للمخرج السوفيتي فيكتور سوخودريف عندما قال الرئيس الأمريكي أن ذلك كله يمكن أن يكون تمهيدا . . لمرحلة النشاط ، وقد ترجم سوخودريف العبارة الاخيرة ترجمة حرفية على النحو التالي تمهيدا لقطف الفاكهة - البندقة - من الشجرة .

وظهرت على ملامح السامعين السوفيت الحيرة والارتباك بسبب عدم الفهم .

والتى الزعماء مرة أخرى على عاتقي اما وجروميكو صياغة هذه المبادئ العامة في البيان الختامي الذي سيصدر عن قمة موسكو . وبدأ جروميكو وأنا المهمة بشكل حرفي يتفق مع النقطة الاخيرة

في مناقشاتنا في مساء يوم الاحد ٢١ مايو (وكان من المقرر أن تغادر موسكو في اليوم التالي) .

كان السوفيت في موقف صعب بل في الحقيقية أكثر صعوبة مما كنا نعرف . ذلك أن مصر أصبحت تتحمل في ضجر من فشل موسكو في احراز تقدم نحو التسوية . ولكن أسلوب الكرملين المتحذلق في التفاوض وتسلكه الصارم بمواقف متطرفة حالت بينه وبين صياغة مقترحات يمكن أن تخلق لدينا أي حافز لتأييدها . ولم يكن السوفيت قادرين أبدا على حل الورطة التي أمضينا ثلاث سنوات في محاولة احكامها (لتكون ورطة محكمة لا فكاك منها) . وما دام انهم يؤيدون البرنامج العربي المتطرف . فإنه لا يوجد لدينا مبرر لعمل مشترك معهم . وبدون مشاركتنا فإنه لا يمكن تنفيذ البرنامج الا عن طريق حرب . سوف يخسرها زبائن السوفيت .

● فقرة بلا معنى

وهكذا تحولت سياسة الكرملين الجامعة في الشرق الاوسط الى برهان امام العالم العربي على عجزه عن التأثير في الاحداث والى ضياع نفوذه تدريجا .

وبالقدر الذي كان يهمننا . فان الطريق لخدمة اهدافنا هو المحافظة على الامر الواقع الى أن يتحقق أحد أمرين : أما أن يقوم السوفيت بتعديل موقفهم . واما أن تتجه الدول العربية المعتدلة نحونا للتوصل الى حل يركز على تقسيم من خلال مراحل يمكن تحقيقها .

وما أن اتضح أن موسكو لن تقوم بتعديل موقفها . حتى سميت الى اسط صيغة ممكنة في البيان .

ان اتفاقية سولت والاتفاق على « المبادئ الرئيسية للعلاقات الامريكية - السوفيتية » جعلنا من المستبعد أن يحدث شيء يهدد مجرى الامور .

والنتيجة هي . فقرة خالية من المعنى أو المضى عن تأييد قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وتسجيل أن الطرفين يقفان الى جانب السلام في الشرق الاوسط . وتدعو الى « تسوية سلمية » و « استرخاء عسكري » في المنطقة . وكان ذلك من الناحية العملية قبولا ضمنيا للامر الواقع . ومن المحتمل أن يكون لذلك أثر سيئ ليس فقط في القاهرة بل في سائر أنحاء العالم العربي .

● نفي مشترك

وفيما يل نص الجزء الخاص بالشرق الاوسط في البيان الامريكي

- السوفيتي الذي صدر عقب مؤتمر قمة موسكو عام ١٩٧٢ .
» بوضوح الجانبان موقفهما حول هذه المسألة .» يؤكدان تأييدهما
لتسوية سلمية في الشرق الاوسط ونقلا لقرار مجلس الامن
رقم ٢٤٢ .

واذ يلاحظ الجانبان أهمية التعاون البناء من جانب الاطراف
المعنية مع السفير يارنج الممثل الخاص للسكرتير العام للأمم المتحدة ،
فان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يؤكدان رغبتهما في
المساهمة في نجاح مهمته وعلانان أيضا استعدادهما بدورهما في
تحقيق تسوية سلمية في الشرق الاوسط . وترى الولايات المتحدة
والاتحاد السوفيتي أن تحقيق مثل هذه التسوية سيفتح الآفاق لاعادة
الموقف الى طبيعته في الشرق الاوسط وسيتيح بوجه خاص البحث
في اتخاذ خطوات أخرى لتحقيق استرخاء عسكري في المنطقة .

وعلىنا أن ننتظر مذكرات الزعماء السوفيت لكي نجد تفسيراً
للسبب الذي جعلهم يختارون أسلوب الاتفاق على نص مشترك بدلا
من صيغة : » يرى الجانب السوفيتي ، .» و » يرى الجانب
الأمريكي ، كما حدث في بيان شنغهاي (الأمريكي - الصيني) .
اذ ربما أتاحت هذه الصيغة الأخيرة مجالا أوسع للسوفيت ليعبروا
عن آرائهم ويضعوا مسئولية اعاققة تحقيق أفكارهم على عاتقنا وعلى
نحو أوضح .

ربما اعتبرت البيروقراطية السوفيتية أن الصيغة التقليدية مقدسة
الى أبعد حد .» وربما كانت كراهية الزعماء السوفيت للصينيين
سببا في منعهم من محاكاة الصيغة التي ارتبطت برحلة نيكسون الى
بكين .

ويكاد يكون من المتعذر تفسير السبب الذي جعل جروميكو يقضي
أربع ساعات معى لمحاولة الاتفاق على » المبادئ العامة » لتسوية في
الشرق الاوسط . لماذا تبادر الى ذهنه اننا قد نكون مستعدين لان
نرفق ببيان مسطح .» مجموعة من المبادئ المحددة . لم يكن السبب
في تصرف جروميكو واضحا .

وعلى أية حال ، فان نفس الاستراتيجية التي تحكمت في نظرتنا
الى البيان كان من المحتم أن تحدد موقفنا تجاه هذه المبادئ .

● تكتيك التعطيل

وقد مارسنا في الحقيقة تكتيك التعطيل . ويملك جروميكو من
الخبرة ما يكفي لكي يعرف ما كنت أفعله . ولم يمارس أى ضغط

حقيقي . فمن الواضح أن السوفيت لم يكونوا يريدون أزمة حول الشرق الأوسط .

والنتيجة . . هي اتفاق مدني حول عدد من . المبادئ . التي لم تتجاوز اطار قرارات الامم المتحدة التي سبق صدورها . . والتي كانت من الغموض . بحيث تترك محالا واسعا للمفاوضات عند التنفيذ . .

وفيما يلي نص . المبادئ، التنفيذية العامة ، حول الشرق الأوسط التي تمحضت عن قمة موسكو في مايو ١٩٧٢

١ - يجب أن تكون الاتفاقية النهائية شاملة لكل الاطراف والقضايا . وهذا لا يستبعد أن يتم التنفيذ على مراحل أو أن تحل بعض القضايا والمنازعات وفقا لقاعدة الأولوية .

٢ - يجب أن تشمل الاتفاقية على بنود حول انسحاب القوات الإسرائيلية من أراض عربية احتلت في عام ١٩٦٧ .

٣ - أي تعديلات في الحدود . . قد تحدث . . يجب أن تكون نتيجة اتفاق اختياري بين الاطراف المعنية

٤ - الاتفاقيات المشتركة حول الأمن يمكن أن تشمل على مناطق منزوعة السلاح ووضع قوات تابعة للأمم المتحدة بصفة مؤقتة في شرم الشيخ . . وأن تشمل على أكثر الضمانات الدولية فاعلية بالاشتراك المناسب للاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة .

٥ - يجب أن تؤدي الاتفاقيات الى انتهاء حالة الحرب واقامة السلام .

٦ - يجب ضمان حرية الملاحة في مضيق تيران وقناة السويس . وهذا يتفق تماما مع السيادة المصرية على القناة .

٧ - ان الاعتراف باستقلال وسيادة جميع دول الشرق الأوسط بما في ذلك اسرائيل ، هو احد المبادئ الرئيسية التي يجب أن تركز عليها التسوية .

نقاط تتعلق بموقف كل جانب على حده :

- موقف الولايات المتحدة هو ان استكمال الاتفاقيات يجب أن يشتمل في مرحلة ما على مفاوضات بين الموقعين .

- الموقف السوفيتي هو أنه يجب حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين على أساس عادل وفقا لقرارات الامم المتحدة في هذا المصدد .

والنتيجة العملية لهذه المبادئ، هي تأكيد حالة الجمود .

• تعليقات على

الفصل الحادى عشر

كيف اتخذ السادات القرار الذى لم تقمعه موسكو وواشنطن معاً ؟

كشف كسينجر خبائيا ما جرى فى مؤتمر الوفاق بموسكو فى ٢١ مايو ١٩٧٢ فيما نشرناه فى الفصل العاشر ونشره فى هذا الفصل الجديد . وقد علقنا بأن نور السادات لم يندفع بالأسلوب السوفيتى فى محاولات خدعهم له . بأن الوفاق لن يكون على حساب مصر والقضية العربية . . . وكان سبيلنا الى ذلك رواية قصة الاجتماعات والاتصالات التى جرت بين السادات وزعماء الكرملين قبل مؤتمر الوفاق الذى تراجع فيه لروس بدون ضغط أمام نيكسون ، وأسرعوا بقبول تجميعه الوضع فى الشرق الاوسط بالاسترخاء العسكرى . . . وسبيلنا ايضا ، رواية ما جرى بعد مؤتمر الوفاق .



وقد اوردت أن السادات سافر للمرة الثانية الى موسكو فى ١١ اكتوبر ١٩٧١ ، وقال للسوفيت « يا جماعة أنا أقبل أن تضعونا خلف اسرائيل بخطوة ، ولكن أن تكون المسافة بينى وبين اسرائيل عشرين خطوة . فهذا أمر لا يحتمل » . . . ووعدوه بأن الطائرات المقاتلة ، ستصل القاهرة . على الفور . . . وكان السادات قد أعلن أن عام ١٩٧١ هو عام الجسم . . . فاما حل سلمى واما معركة .
ثم يقول السادات فى كتابه « البحث عن الذات » :

- وانقضى أكتوبر ونوفمبر ولكن كل شيء كما هو .. استدعيت السفير السوفيتي وأرسلت الى الكرملين عدة رسائل .. ولكن لا اجابة .. واذا بي افاجا في ٨ ديسمبر ١٩٧١ بالمعركة بين الهند وباكستان ، وبأن الاتحاد السوفيتي طرف فيها .. استدعيت السفير السوفيتي يوم ١٢ ديسمبر ، وقلت له انه لم تصلني قطعة سلاح واحدة الى الآن ، ولذلك أرجو أن تبلغ القادة السوفيت انني اطلب مقابلتهم في موسكو حتى نبحث عن وسيلة نفطي بها الموقف الذي كشفوني فيه عن عام الحسم .. وقبل أن ينتهي ديسمبر بأربعة أو خمسة أيام جاءني السفير السوفيتي ليبلغني ، أن القادة السوفيت مواعيدهم مشحونة ولكنهم على استعداد لاستقبال في ١ و ٢ فبراير ١٩٧٢ ، ..

ويضيف السادات :

- كنت أعرف انني سأواجه حملة مسعورة لانني سبق أن أعلنت أن سنة ١٩٧١ هي سنة الحسم ، وفعلًا حدث هذا .. ففي أوائل يناير ١٩٧٢ حاول روجرز وزير خارجية أمريكا أن يكفر - أمام الرأي العام اليهودي - عن موقفه الى جانبي ذات يوم ، بعده أن أثبتته جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل علنا أمام الكنيست في خطاب مشهور ، فأعلن روجرز أنه قد انقضت سنة ١٩٧١ ولكن بلا حسم أو خلافة .. وأن أمريكا ستعطي اسرائيل المزيد من العتاد والسلاح وكل شيء ! .. بل وأعلن أيضا أن الولايات المتحدة قد دخلت منذ نوفمبر ١٩٧١ في تصنيع الاسلحة مع اسرائيل .. وأن أمريكا ستحتفظ لاسرائيل بالتفوق على العرب مجتمعين وليس على مصر وحدها ..

ويصف السادات موقف الشعب المصري عندئذ فيقول :

- كانت حربا نفسية شرسة كما توقعت .. ولكن الشعب المصري بحسه الصادق أدرك أن المسئول عن هذا هو الاتحاد السوفيتي .. ففي يناير ١٩٧٢ كان الشعب هنا في أوج غضبه على الاتحاد السوفيتي .. رغم أنني لم أطلع الناس على الحقائق ، بل على العكس كنت ادافع عن الاتحاد السوفيتي في جميع أحاديثي وخطبي ، ..

أصبح السادات اذن فريسة للقوتين ..

القوة التي تمنع السلاح (موسكو) ..

والقوة القادرة على اقرار الحل السلمى (واشنطن) .

● السيطرة على الاعصاب الفاضية

ولكنه استطاع السيطرة على اعصابه الفاضية ، وكان يذهب الى ميت ابو الكوم ليتيح لنفسه فرصة الصفاء الذهني . . ولكن رايه استقر اخيرا على أن يتحمل . . لان موقع المسئولية عليه تبعات . واستطاع أن يقتنع نفسه ، بأن السوفيت كانوا يعدون لاجتماع نيكسون في مايو ٧٢ ، وهم لا يريدون امداد مصر بسلاح جديد ، يدفع الى تصعيد الموقف . . ومن ثم يمكن أن يكون عقبة أمام الاجتماع الذى يريدون له النجاح فى اقرار سياسة الوفاق . هكذا اراد السادات لنفسه أن يقتنع . . لكى يبذل محاولة أخرى .

وسافر الى موسكو بناء على طلبه فى اول فبراير ١٩٧٢ .
وسال بريجنيف فى المباحثات سؤالا مباشرا :
- من المسئول عن عدم تنفيذ وصول الاسلحة . .
واجاب بريجنيف : أنا . .

ورد السادات : أنت تريد أن تخرجنى بهذه الاجابة حتى لا اناقشك . .
انا لست مقتنعا بهذا الكلام ، واذا تكرر ما حدث مرة أخرى فسوف اتخذ قرارا ما .

واعاد السادات على مسامعهم وهو فى قمة الغضب نفس الكلام الذى سبق أن قاله فى زيارته السابقة ، وخاصة النقطتين الاساسيتين وهما أننا لا نريد جنديا سوفيتيا ليحارب ممركتنا ، واننا لا نسمى الى مواجهة بينهم وبين أمريكا . .

ودارت احاديث من بريجنيف عن اعداد الجبهة الداخلية للقتال ، وملاهي شوارع الهرم ، واشياء أخرى كثيرة ارادوا أن يسجلوا منها دليلا على أن الموقف المصرى غير مهيا للحرب .

وكانت اجابة الرئيس السادات على هذه التساؤلات ، أن كل هذه الاجراءات الداخلية يمكن أن تتم فى اقرب وقت . . ولكنه لن يبدأ الا اذا حدد ساعة الصفر . ويستحيل أن يحدد ساعة الصفر . . الا بعد الاطمئنان الكامل على الاعداد العسكرية .

وانهوا المناقشة بقراءة قائمة بالاسلحة التى وعدوا بارسالها فورا . . ولم تكن أيضا الاسلحة الاساسية . ولكنها كانت على أى حال أحسن من لا شئ . .

ووعده كوسيجين بأنه لن يكون هناك تأخير في وصول الأسلحة
وأنه أخذ تعليمات من اللجنة المركزية ، أن وصول الأسلحة سيكون
تحت إشرافه الشخصي ..

ويقول السادات في كتابه :

(وعدت الى مصر ولكن صبري كان قد نفذ . في ذلك الوقت
كان قد تحدد أول لقاء قمة بين بريجنيف ونيكسون من أجل الوداع
في ٢٠ مايو ١٩٧٢ .. وبدأ السوفيت يرسلون لنا الأسلحة التي
يريدون هم إرسالها ، أما التي نريدها نحن فيحجبونها عنا ..)

.. وفي أواخر أبريل ١٩٧٢ فوجيء الرئيس السادات برسالة
عاجلة من القادة السوفيت يحملها السفير السوفيتي في القاهرة ..
وفيها يطلبون من السادات أن يزورهم في أواخر أبريل ..

ويعلق السادات على ذلك - في كتابه - يقول : « طبعا كان
هدفهم من كل هذا أن يشتبوا للولايات المتحدة أن أقدامهم ثابتة في
منطقة الشرق الاوسط . وبرغم « قرني » سافرت واتفقنا في هذا
اللقاء - أنه بعد أن تنتهي زيارة نيكسون في مايو ، عليهم أن
يرسلوا الى تحليلنا للموقف ، ثم يبدأوا فوراً في توريد الأسلحة
المتأخرة التي تعادنا عليها ، وذلك في خلال ٥ شهور أي من يونيو
١٩٧٢ الى أكتوبر ١٩٧٢ ميماد الانتخابات الامريكية . وكانت الفكرة
أن نكون مستعدين في نوفمبر ١٩٧٢ ، بعد انتخابات الرئيس
الامريكي ، فإذا لم يكن هناك طريق الى الحل السلمي استطعنا أن
نتحرك عسكرياً . وافقوا على ذلك وعدت الى مصر .

● صريحة جريتشكو التي أقرها السادات !

.. وفي ١٥ مايو ١٩٧٢ أي قبل لقاء القمة الامريكي السوفيتي
بخمسة أيام ، حضر الى مصر المارشال جريتشكو ومعه قائد الطيران
السوفيتي ، وأحضروا معهم طائرة جديدة أسمها سوخوي ١٧ .
وأعلن جريتشكو بياناً ملتوياً ومعداً من اللجنة المركزية للحزب
الشيوعي السوفيتي ، أثنى فيه على كفاءة الطيارين المصريين ، وقال
فيه أننا تسلمنا قاذفات بعيدة المدى (وهو غير صحيح .. مما يوحي
- كذبا - بأن الطيارين المصريين يستخدمون هذه القاذفات المتوافرة
في قواتنا المسلحة ..

وكان هذا هو الهدف الاساسي من الرحلة . تصعيد الموقف

شكليا امام امريكا ، قبل رحلة نيكسون ، لاستعراض نفوذهم في الشرق الاوسط ..

ووافق أنور السادات على اعلان بيان جريتشكو .. كورقة سياسية ، وان كان رايه فيها أنها ورقة خائبة .. لانها تصعيد شكلي .. بينما تصعيد امريكا يتخذ الاسلوب العملي ، وهو مد اسرائيل فعلا بالمقاتلات والاسلحة الحديثة .. واعترض السوريون على اذاعة بيان جريتشكو مادام لا يعبر عن واقع ، ولكن السادات أقنعهم بأنه لا خسارة من هذا البيان .

وطلب الرئيس السادات من وزير الحرية اعطاء نياشين لجريتشكو وكل ضباط البعثة العسكرية التي حضرت معه حتى أصفر ضابط .

وحمل الرئيس الماريشال جريتشكو رسالة منه الى الزعيم بريجنيف خلاصتها :

● مصر تخشى الا يسفر اجتماع نيكسون مع السوفيت عن اية نتيجة ايجابية نحو أزمة الشرق الاوسط .

● موقف امريكا عام ١٩٧٢ سيئ .. وسيزداد سوءا .

● الوقت بعد اجتماع موسكو سيكون ضيقا جدا .. ولا بد من عمل شيء قبل انتخابات الرئاسة في امريكا .

● مصر تؤيد موقف السوفيت نحو إعادة انتخاب نيكسون . فهو أخف الاضرار بالنسبة لنا .. لانه من الافضل التفاهم معه بعد إعادة انتخابه .. بدلا من أن نبدا من نقطة الصفر مع رئيس امريكي جديد . لشيء يعزز موقفنا في الاتصالات السياسية لتحريك القضية .. الا الارتكاز على موقف عسكري قوى .. وتسليح قادر على الحرب .. وقد أقر الزعيم بريجنيف من قبل هذا التصور .

وقال السادات لجريتشكو : أنه ينتظر تحليلا من الزعماء السوفيت بعد زيارة نيكسون عن النتائج المتوقعة . وانه يحس بخطورة مرور الوقت .

التحليل السوفيتي .. بلا تحليل !

ويقول الرئيس السادات في كتابه :

« تمت زيارة نيكسون للاتحاد السوفيتي في مايو ١٩٧٢ ، ثم صدر أول بيان وفاقى بين موسكو وواشنطن يقول بالاسترخاء

العسكري في المشرق الاوسط .. وكان صدمة عنيفة لنا لاننا كنا كما سبق أن قلت ، خلف اسرائيل عسكريا بعشرين خطوة . ومعنى الاسترخاء العسكري في هذا الوضع هو التسليم من جانبنا لاسرائيل .

ثم جاء في التحليل السوفيتي بعد اللقاء مع نيكسون ، ولكن متأخرا اكثر من شهر - في ٦ يوليو ١٩٧٢ - وكان التحليل السوفيتي يوضح انه لم يحدث أى تقدم بالنسبة لقضية الشرق مع أمريكا .. تماما كما تنبأت لهم في زيارتي لموسكو في اواخر ابريل ١٩٧٢ وخاصة لانها سنة الانتخابات في أمريكا .

والاغرب من هذا ان التحليل السوفيتي الذي حمله لي السفير السوفيتي متأخرا شهرا عما اتفقنا عليه في لقاء اخر ابريل لم يذكر شيئا على الاطلاق عن ارسال الاسلحة المطلوبة كما اتفقنا .

بل ان هذا التحليل الذي كان يقع في اكثر من صفحتين ونصف صفحة، لم يتعرض للمعركة والاسلحة المطلوبة كما اتفقنا في ابريل الا في خمسة سطور أخيرة تقول ببساطة أننا لا نستطيع أن نبدا معركة .. وان لهم خبرة في هذا الموضوع ، وكيف أنهم بذلوا مجهودا خارقا في اقناع نيكسون بتنفيذ قرار ٢٤٢ لمجلس الامن ، هذا ما سجله انور السادات في كتابه التاريخي ..

ولكن كيف كان يفكر زعيم مصر .. منذ أن عاد من موسكو .. وقبل ان يصدر بيان الاسترخاء العسكري الذي كان يتوقعه .. وبعد أن صدر هذا البيان ؟ ..

تيقن أن أمريكا قد آشرت كل شيء من الاتحاد السوفيتي عن موقفه من الشرق الاوسط .. مقابل اتفاق الوفاق ..

فما العمل ؟

لم يشأ أن يصدر قرارا انفعاليا . وظل يفكر طويلا . وكان يستمر مستيقظا في شرفة استراحة القناطر حتى الرابعة صباحا .. ثم يستريح قليلا .. ويستيقظ ..

أن وجود قوات سوفيتية في مصر ، سيكون عائقا فعلا عن المعركة ... فليس من المعقول ان نقاتل وعلى ارضنا قوات اجنبية . كما أن كل دعاية اسرائيل ومناوراتها السياسية تتركز على أنها ستحارب جيشا سوفيتيا في مصر .. ولذلك فهي تصرف في طلب الاسلحة المتقدمة من أمريكا وتحصل عليها .

ونحن متهمون بأننا في حماية القوات السوفيتية . وفي الوقت نفسه . فإن كل جهود السوفييت قائمة على اقناعنا بالصبر . وعدم المخاطرة بالحرب وانتظار نجاح المساعي من أجل تسوية سلمية .

● السفير السوفيتي

مع رؤساء التحرير المصريين

وأذكر ان السفير السوفيتي في مصر - قبل آخر رحلة للسادات الى موسكو سبقت بيان الوفاق - دعا عددا من الكتاب والصحفيين الى عشاء ليلة سفر الرئيس . وجاءني من يقول ان السفير السوفيتي يرغب في أن تجلس الى مائدته . وفيل مثل ذلك للمرحوم يوسف السباعي وأحسان عبد القدوس . وأحسست بعد المناقشة ان السفير تعمد أن يوضح لنا وجهة نظر السوفيت . في أنهم ضد ان يكون عام ٧٢ هو عام الحسم . وأستشهد في ذلك بمثل سوفيتي يقول ما معناه « عندما أدخل حجرة فيجب أن أعرف كيف أخرج منها ، فلماذا تغلق مصر الباب على نفسها . وتحدد نهاية عام ١٩٧٢ بانها النقطة الفاصلة » .

وأذكر أنني رددت ضاحكا : مادام في الحجرة نافذة . . نستطيع أن نخرج منها بدلا من الباب .

وأستمر السوفيت على موقفهم . . وهو علينا أن نتجنب الحرب ونستمر في المساعي السلمية . . وسارت في مجراها الطبيعي . .

وقد جاءت وفود عديدة من موسكو الى القاهرة . . للاتصال بالتنظيم السياسي ورجال الاعلام . .

وزارني وفد برئاسة الكسندروف نائب وزير الكهرباء . . وكل الوفد من رجال الصحافة وأعضاء في اللجنة المركزية . .

وكان محور النقاش الذي استمر في مكتبي أكثر من ساعتين بحضور الاستاذ خالد محيي الدين . . أنه من صالحنا ان نترك تماما فكرة الحرب . . وأن نكرس كل جهودنا من أجل السلام . .

وأخذ يعطينا أحصاءات وصورا عن ويلات الحرب وخطورتها . . وأخيرا . . ضجر الرجل من نقاشنا . . ومن اصرارنا على أن الحرب هي الحل الوحيد . . فقال غاضبا :

- أنتم أحرار . . أننا لا نقيد أياديكم بالسلاسل حتى لا تحاربوا . . اذا كنتم قادرين على الحرب . . فحاربوا . . وسوف تتحملون أنتم التبعات وهذا قراركم وليسنا مسئولين . . ولكننا نحذركم كأصدقاء . .

بل أن رأى الكسندروف مع رفاقه ، أن هناك في اسرائيل من يريدون السلام من أعضاء الحزب الشيوعي الاسرائيلى . فلماذا لا نتصل بهم . . . وهذه بذرة ستنبو . . .
وانتهى تفكير السادات الى القرار .

● الحوار التاريخى . . مع القرار التاريخى

وعندما جاءه السفير السوفيتى يحيل التحليل الكسبح للموقف بعد سياسة الوفاق فى ٢٦ يوليو ١٩٧٢ . .
واستمع السادات الى التقرير . وأسند يده على عشاء . ونظر الى السفير السوفيتى فى غضب وسأل :
- هل انتهت الرسالة . .
السفير - نعم .
السادات - هل هذه هي كل الرسالة ؟
السفير - نعم .
السادات - لقد كنت معنا فى موسكو فى ابريل الماضى ، وسمعت اتفاقنا بارسال الاسلحة قبل موعد الانتخابات الامريكية .
السفير - نعم .
السادات - ان هذه الرسالة لم ترد على ذلك .
السفير - ان هذه هي الرسالة التى تلقيتها . .
السادات - هذه الرسالة مرفوزه شكلا وموضوعا . وأنا لا اقبل ان يجيء لى مثل هذا الرد بعد شهر ونصف . وكفى أننى تحملت هذا الاسلوب عاما ونصف عام .
لم ينفذ بريجنيف وعده لى فى مارس ١٩٧١ .
لم ينفذ بريجنيف وعده لى فى مايو ١٩٧١ .
لم ينفذ بريجنيف وعده لى فى اكتوبر ١٩٧١ .
وأخيرا هذه الرسالة . . بعد رحلتى الاخيرة اليكم بنساء على طلبكم . . وغضبت جماهير الشعب المصرى . وتحملت . وأتهمتكم الجماهير ودافعت عن مراقفكم لاننى حرص على استمرار الصداقة والتعاون . ولكننى أطلب منك الآن أن تبلغ الزعماء السوفيت اننى لن اتحرك على مزاج الاتحاد السوفيتى . أنتم غير جادين معنا . لقد اتفقت مع الامريكان على تجميد الموقف وعدم قيام الحركة . ولكننى لن اقبل وصاية منكم ولا من أمريكا .
ثم وجه الرئيس كلامه الى مستشاره حافظ اسماعيل :
- النهادة كام فى الشهر .

حافظ اسماعيل - ٨ يوليو ٠٠
الرئيس - اكتب يا حافظ كل ما سامليه عليك . وهذه رساله
رسمية الى القادة السوفيت .

لقد قررت ابتداء من هذه الليلة . الاستغناء عن جميع الخبراء
العسكريين السوفيت (وهم حوالي ١٥ الفا) وأن يعودوا الى الاتحاد
السوفيتي في فترة اسبوع من اليوم . وساعلن وزير الحربية غدا
بهذا الامر .

وهناك معدات سوفيتية وهي اربع طائرات ميغ ٢٥ ، وهناك
محطة للحرب الالكترونية . ويعمل عليها طاقم سوفيتي . فلما أن
يبينها الاتحاد السوفيتي لنا ، أو يسحبوها الى الاتحاد السوفيتي .
وبالنسبة لتنفيذ المعاهدة المصرية السوفيتية ، لا بد أن تجري مباحثات
بين البلدين ، على أعلى مستوى . وفي القاهرة .

السفير السوفيتي - اسمح لي أن أسأل ياسيادة الرئيس . هل
أرسل هذه القرارات الى موسكو . على أنها للتفاوض بشأنها .

الرئيس - لا . هذه قرارات سيادة غير قابلة للمناقشة .
ثم قال الرئيس لمستشاره : يا حافظ . هذه القرارات تبلغ
فورا الى وزير الحربية لكي تنفذ صباح ١٧ يوليو .
وانهى الرئيس المقابلة .

● الاستراتيجية المصرية تستفيد من تصوراتهم

وعلق السادات على ذلك في كتابه البحث عن الذات :

« ولم يصدق السفير السوفيتي . واعتقد أنها عملية ابتزاز .
وفي يوم ١٦ يوليو ١٩٧٢ كانت جميع قراراتي قد نفذت ورفضوا
أن يبيعوا لنا الطائرات وأجهزة التشويش فسحبوها معهم .

من أسباب هذه القرارات موقف الاتحاد السوفيتي منا طبعا .
ولكن كان هناك سبب آخر مهم وهو أنني قد بنيت استراتيجيتي
على أساس ألا أبدا المعركة وعلى أرض مصر خبراء سوفيت .
ثم يقول كتاب « البحث عن الذات » :

« حلل السوفيت والغرب واسرائيل طرد الخبراء السوفيت ،
ووصلوا في النهاية الى قرار خاطيء أفسادني كما توقعت في
استراتيجيتي . وهو انني قد استقر رأيي على ألا ادخل المعركة .
وقد أسعدني هذا التحليل ، لان هذا ما كنت أود أن يتوهموه .
ومن الاسباب الاخرى لطرد الخبراء السوفيت ، ان السوفيت كانوا
قد بداوا يشعرون أن لهم وضعا ممتازا في مصر ، لدرجة أن السفير

السوفيتي بدأ يأخذ لنفسه وضعا أشبه ما يكون بوضع المندوب السامي البريطاني أيام الاحتلال .

وقد حدثني مدير العمليات العسكرية وكان الجسمي في ذلك الوقت عن عمليات التشويش ، والاربع طائرات والمعدات التي يعمل عليها خبراء سوفيت . . فقال انهم كانوا يرفضون تنفيذ أى أمر الا بعد أن تاذن لهم موسكو .

وكان من أهم الأسباب لقراراتي هذه ، انى أردت أن اضع السوفيت في حجمهم الطبيعي كدولة صديقة . لأنهم ظنوا في مرحلة من المراحل ان مصر أصبحت في جيبهم ، وطن العالم أن الاتحاد السوفيتي هو ولي أمرنا . فاردت أن أقول للسوفيت أن ارادة مصر تتبع فقط من ذاتها ، وأن أقول للعالم أن أمرنا بيدنا وحدنا ، فمن يرغب في الكلام عن مصر . . يأتي الينا ويتكلم معنا لا مع الاتحاد السوفيتي . .



وكان هذا هو موقف مصر . . بعد قرار مؤتمر الوفاق بالاسترخاء العسكري وتجميد الموقف . وكان مفاجأة قاصمة للسوفيت . . كما كان مفاجأة مذهلة لأمريكا . . وتصور السوفيت أن القرار يتم باتفاق سرى مع أمريكا . . في الوقت الذي كان كسينجر يتسائل فيه : لماذا لم يتشاور معنا السادات قبل هذا القرار . . كان في يده أن يساومنا للحصول على موقف أمريكي أفضل .

ولكن الطرفين . . موسكو وواشنطن . . لم يفهما انور السادات . . ولم يدركا معنى قرار السادات ، ومعنى الارادة المصرية . وكان آخر ما يتخيلونه أن السادات سيحارب فعلا ! . . لقد ادارت موسكو وواشنطن بعد هذا القرار ، لعبة القوى الكبرى ، على أساس أن مصر لن تحارب . .

موسكو تصورت أن السادات عقد صفقة سياسية سرية مع أمريكا . .

وواشنطن تصورت أن السادات لن يحارب . . وأنه في الطريق اليها مستسلما . .

وكانت حرب أكتوبر هي المفاجأة المذهلة . .

كانت على الرغم من ارادة الاتحاد السوفيتي . .

وكانت مفاجأة لأمريكا . . التي تصورت أننا سننتهي في أيام . . واننا سرنا الى قبورنا بارادتنا .

برجنيف يخطف نيكسون بعد العشاء

- اشار برجنيف عرضا الى ان مسألة الشرق الاوسط تستحق مناقشة !
- لم يضغط الاتحاد السوفيتى علينا سوى بالكلام .. كانوا يتحدثون لمجرد تسجيل موقف .
- قصة الملائمة الوهمية التى شهدناها كسينجر بين الزعماء السوفيت .. ونيكسون .
- لماذا استبعدوا جروميكو من الحضور فى الاجتماع المفاجئ، بعد العشاء ؟

● الفصل الحادى عشر ●

برجينييف يختطف نيكسون بعد العشاء

كتب كسينجر :



كان من المفروض أن يتولى دوبرينين سفير موسكو في واشنطن ٠٠ وأنا القيام بعملية تنقيح أو صقل هذه المبادئ، ععب عودتنا الى الولايات المتحدة ٠ ولم يفعل السوفيت ذلك أبدا ٠ وربما كان السبب هو أن محاولتهم اقناع زبائنهم العرب بهذه المبادئ، قد فوبلت بالرفض ٠ كذلك لم نفعل نحن ٠ وقد أثبتت هذه المبادئ، مرة أخرى فى قمة عام ١٩٧٣ ٠ وأيضا دون نتيجة ٠

واخطر عمة أمام تكتيكاتى التى تستهدف التعطيل جاءت من ناحية هيئة المساعدين الذين يعملون معى ٠٠ فمن اجل اضاعة اكبر قدر من الوقت فى اجتماعى جروميكو فى ختام قمة موسكو ٠٠ طلبت من جروميكو أن يكرر بعض الصيغ التى قدمها ٠٠ مرة بعد أخرى وذلك بحجة اننى أريد (ان اتفهم هذه الصيغ بصورة أفضل) ٠ ومن الواضح أن بيتر رودمان - الذى كان يتولى من جانبنا تسجيل الاجتماع - تصور ان مطالبى جروميكو بـ تكرار ما يقول يشكل طعنا فى كفاءته وفى ثقته بقدرته ٠ فأخذ يقاطعنى لكى يسلمنى النص المحدد والدقيق لاقتراح جروميكو الذى كان رودمان قد كتبه حريا منذ اللحظة الاولى التى ذكر فيها جروميكو اقتراحه ٠ ولم يردع رودمان محاولاته المتكررة لدفعه بـ رفقى لكى اجعله ينتبه لما يفعله فى كل مرة يقاطعنى فيها عندما يبتلع الحديث الى (مبدأ) جديد فى قائمة جروميكو !



اجتماع معاجي بين برجتف ونكسون
بعد القضاء استيبدووا جروميكو عنه

وقد وجهت اللوم اليه فيما بعد بسبب افراطه في الحماس (دون أن يفتن الى اللعبة التي يمارسها كسينجر) الى الحد الذي جعله هو ومساعدى الآخر وينستون لورد يكفان نهائيا عن تسليم وثيقة لي في حضور وفد اخر أثناء مفاوضات من أى نوع . . حتى عندما اطلب مثل هذه الوثيقة منهما ! ودافعا عن موقفهما بالقول بأنه لاسييل امامهما للتأكد مما اذا كنت اريد هذه الوثيقة بالفعل أم ان هذا الطلب من جانبي مجرد ذريعة للتسويف والمماطلة . فقد حدث بعد ذلك بشهر واحد أثناء رحلتى للصين اننى توجهت الى وينستون لورد لاطلب منه وثيقة . وكانت في حوزته . ولكنه تظاهر بأنه لايعرف مكانها حتى لا يخطر مرة اخرى بالقضاء اللوم عليه . واضطرت للاستمرار فى المناقشة بدون الوثيقة .

وقد توسل رودمان ووينستون لي دون جدوى لكي نتفق على نظام للاشارات بالايدي أو بعض المفردات اللفوية التي يمكن استخدامها كشفرة أو غيرها من الوسائل حتى يستطيعوا معرفة ما اذا كنت أريد حقا ما اطلبه منهما . وبعد ذلك بسنوات . . كنت اذا طلبت في بعض الاحيان من لورد أو رودمان احدي الوثائق . .

ينفجران في نوبات متتالية من الضحك مما كان يجعل رئيس الدولة أو وزير الخارجية الذي اتفاوض معه مضطربا من الدهشة بسبب هذا الانهيار الكامل في النظام على أيدي المساعدين الذين يعملون معي والذين يفترض فيهم أنهم يخافون من أن يعبس أحد في وجوههم .

وكما اثبتت الاحداث فيما بعد . . فقد اتضح ان قمة موسكو كانت القشة الاخيرة بالنسبة لانور السادات

ففي ١٨ يوليو ١٩٧٢ - اي بعد ستة اسابيع من قمة موسكو - قام بتتويج مرحلة دامت شهورا من التحرر المتزايد من الاوهام ازاء موسكو بطرد المستشارين والفنيين العسكريين السوفيت . انه حدث من الاحداث الجذرية التي تحمل في طياتها بفور التطور نحو المستقبل في التاريخ الحديث للشرق الاوسط

● اين قامت الثورة ؟

بقيت في موسكو اعمل انا وجروميكو على اعداد البيان الختامي برمته بينما كان نيكسون يزور مدينة ليننجراد . وكان ضياع فرصتي في القيام بالرحلة الى ليننجراد . . موضوعا لنكتة مستمرة بين جروميكو وبينى . فقد وعدني السوفيت بتعويض عن حرمانى من الزيارة بان يرافقونى الى مدينة ليننجراد فى الرحلة التالية الى الاتحاد السوفيتى . . وفى كل مرة فى زيارتى العديدة المتتالية للاتحاد السوفيتى . . كانت زيارة ليننجراد ضمن برنامجى الاصلى . غير اننا فى كل مرة نضطر الى الغاء الزيارة بسبب ضغط العمل فى موسكو . وفى النهاية قلت لجروميكو اننى أصبحت أشك فى وجود مدينة ليننجراد على خريطة الاتحاد السوفيتى وأن الوعود التى قدمت لى بأننى سأذهب الى ليننجراد هي مجرد وسيلة لاغرائى بان اكون متعاوناً . ورد جروميكو على ذلك . . بقوله : اذا لم تكن ليننجراد موجودة حقا . . فأين حدثت (ثورتنا) ؟ ولم اتمالك نفسى عندما اجبت قائلا (فى سان بطر سبورج) ؟ (الاسم القديم لمدينة ليننجراد اثناء الحكم القبرى)

● بريجنيف يختطف نيكسون

كانت المواجهة المثيرة قد وقعت عندما اختطف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى . . رئيس الولايات المتحدة . . فقد وجه بريجنيف دعوة لنيكسون لتناول العشاء يوم ٢٤

مايو لمعالجة (القضايا البارزة) وأوضح ان القيسادة السوفيتية العليا فقط هي التي ستكون حاضرة في هذا اللقاء . وكان استبعاد جروميكو من الحضور يعنى أن يقتصر الحاضرون من الجانب الأمريكى على أعضاء مجلس الأمن القومى .

وقيل لنا في البداية ان بريجنيف يريد مناقشة موضوع الشرق الاوسط ، ولكن أناتولى دوبرينين السفير السوفيتى فى واشنطن (الذى كان فى موسكو لحضور المباحثات) قال لى ان الارجح أن يكون الموضوع الذى يشغل ذهن بريجنيف هو فيتنام .

جاء اقتراح بريجنيف مفاجئا بينما كان يغادر هو ونيكسون حفل التوقيع على بيان قمة موسكو فقد قال لنيكسون هيا بنا معا الى « الداشة » « بيت ريفى روسى » ولم يكن فى وسع نيكسون أن يفعل شيئا فقد دفعه بريجنيف دفعا الى سيارته الليموزين الكبيرة .

● ملاكمة وهمية

فى غرفة الاجتماعات فى « الداشة » جلس الزعماء السوفيت ونيكسون فى مواجهة بعضهم البعض على مائدة بيضاوية . وبدأت المناقشة ناعمة وبريجنيف يستعرض حالة المفاوضات المتعددة واقترح أن يتولى جروميكو وكسينجر متابعة محادثات سولت والتوصل الى تعليمات مشتركة للوفود فى هلسنكى . وفى النهاية أشار بريجنيف عرضا الى أن الشرق الاوسط وفيتنام قد يستحقان المناقشة عند نقطة معينة .

بدا أن هذه الملاكمة الوهمية مع خصم وهمى يمكن أن تستغرق الدليل بطوله . وقرر نيكسون أن يطرح موضوع فيتنام مباشرة على المائدة . ولو لم يطرحه . فانه من المؤكد أن الزعماء السوفيت كانوا سيطرحونه .

وتحدث بريجنيف ثم كوسيجين وبودجورنى عن فيتنام . تلغيم موانئ فيتنام الشمالية - الاضرار التى لحقت بسفن سوفيتية قرب الساحل الفيتنامى - سقوط عدد من السوفيت قتل فى ميناء هايفونج بفيتنام الشمالية - قصف هانوى فى اول مرة أثناء زيارة كوسيجين . وكان الجميع يختتمون حديثهم بالهجوم على الصين والتحذير من استغلالها لاستمرار الحرب فى فيتنام .

وأوضح بريجنيف أنه كان من الصعب على موسكو عقد هذه القمة فى تلك الظروف (يقصد تصعيد الحرب الامريكية ضد فيتنام) ومع

ذلك فان الزعماء السوفيت وافقوا على عقدها بدافع الامل في تنمية علاقات أفضل بين دولتين تتمتعان بهذا القدر من القوة الاقتصادية والمستوى العالي من الحضارة

وفجأة شعرت باننا نشترك في مشهد تمثيلي . ذلك انه على الرغم من اللهجة التي تميل الى نزعة القتال والمتشددة للضايقة فان كل الكلمات التي قيلت لم تكن تنطوي على مضمون عملي . ولم يضغط الزعماء السوفيت علينا الا بالكلام . كانوا يتحدثون لمجرد تسجيل موقف . وعندما تحدثوا بما يكفي لارسال محضر لهذا الاجتماع الى هانوى . . كفوا عن الحديث .

وأشار نيكسون بفنور الى أن الاتحاد السوفيتي قام بدور مفيد ، في شهر ابريل ١٩٧٢ في استئناف المحادثات السرية بين أمريكا والفييتناميين ، كما أشار الى عرض بريجنيف وقف اطلاق النار الذي وافقت عليه واشنطن ورفضته هانوى على الفور . ثم قال نيكسون بحدثة أن المناقشة طالت أكثر مما يجب . وعند هذه النقطة قرر بريجنيف فيما يبدو أن محضر الاجتماع قد اكتمل (وأننا أجرينا مناقشة جدية لمشكلة ذات أهمية عالمية) كما لو كان ما جرى عبارة عن محاوراة مجردة بين مجموعة من الاساتذة . وقال أنه استخلص من ملاحظات نيكسون أن الولايات المتحدة مستعدة للبحث عن حل معقول . وتدخل كوسيجين ليقول أنه لا توجد سفينة واحدة تحمل معدات حربية في الطريق الى فيتنام بل تحمل فقط الدقيق والمواد الغذائية . . أما أسلحة من أي نوع . . فلا !

وقد يوضح هذا القول أن موسكو تمارس ضغطا على هانوى أو قد لا يعنى شيئا ما دامت موانئ فيتنام الشمالية قد أغلقت بواسطة الإلغام التي وضعتها .

● نقطة تحول

وكان آخر حديث خاص بين بريجنيف ونيكسون أكثر هدوءا . فقد سأل بريجنيف عما اذا كنا نرى أن زيارة زعيم سوفيتي - وبالتحديد بوجورني - لهانوى سيكون أمرا مفيدا وكان جروميكو قد أبلغني في اليوم السابق بأنه من المحتمل أن يثير بريجنيف هذا الموضوع (حتى يتيح لنيكسون ولي فرصة بحث الاقتراح قبل الرد) ولكننا تصورنا أنه من المستبعد أن تحصل موسكو رحلات واحد من زعمائها الكبار أمرا يخضع للترحيب من جانبنا . . أو لوافقتنا .

وقال نيكسون أنه يرحب برحلة بودجورنى . وهنا اقترح بريجنيف وقف الغارات الجوية الامريكية على فيتنام الشمالية أثناء زيارة بودجورنى . . ووافق نيكسون - الذى كان يتوقع هذا الاقتراح - ولكن . . على أن تكف أمريكا عن قصف العاصمة هانوى وميناء هايفونج فقط بشرط ألا يبقى بودجورنى هناك - فى فيتنام الشمالية - ثلاثة أشهر !!

ان مؤتمر قمة موسكو كان فى مساره ومحتواه نجاحا كبيرا للسياسة الامريكية . وقد ساعدنا المؤتمر على عزل هانوى .

كما كان للمؤتمر نفس الاهمية بالنسبة لتطور أحداث الشرق الاوسط . وكما سيتضح فيما بعد فقد كانت قمة موسكو نقطة تحول بدأ عندها المعتدلون العرب يتجهون نحو واشنطن . كانت تلك القمة خطوة فى العملية التى شهدت - بعد ١٨ شهرا - الاعداء السابقين يستهلون رحلة متمرجة نحو السلام فى ظل رعاية أمريكا .

• تعليقات على

الفصل الثاني عشر

ماذا دار بين السادات ورجز .. وتجاهله كسينجر في كتابه ؟

هذا الفصل الجديد . يتناول المناورات التي أدارها كسينجر قبل مؤتمر قمة الوافق بين بريجنيف ونيكسون في مايو ١٩٧٢ . وبعد هذا المؤتمر الذي تراجع فيه الاتحاد السوفيتي تراجعا كاملا . عن أى موقف شريف تجاه مصر والدول العربية . ورفع يديه مستسلما أمام أمريكا . واتفق معها على تجميد الموقف في الشرق الاوسط . وعلى الترحيب بحالة الاسترخاء العسكري .



كما اتفعا سرا على العمل على استمرار هذا التجميد والاسترخاء . وكان ذلك في مقابل توقيع أمريكا لاتفاق . سولت الاول . بالحد من الاسلحة الاستراتيجية . وهذا ما كان يتلطف عليه الاتحاد السوفيتي . الذي يريد أن يعوض القصور والتخلف في مستوى معيشة المواطن السوفيتي في الداخل . والذي كان - ولا يزال - يحتاج الى القمح الأمريكي بكميات ضخمة . ومن هنا تخطى الاتحاد السوفيتي عن تأييده لفيتنام الشمالية . ووعد بالمساعدة على انجاح مباحثات السلام مع هانوي . التي كانت تريدها أمريكا . كما تخطى أيضا عن مصر والأمة العربية . وباع كل حقوقنا على الارض المفتصة . واكتفى بالرسائل

المطمئنة .. وبإعطائنا السلاح - بعد التذمر والفضب والشكوى من مصر - الذى يريده وبالكميات التى يريدها ، وحرماننا من أسلحة الردع .. حتى لانتمكن من الاستعداد للحرب .. وفى الوقت نفسه هو عاجز عن إيصالنا لأية تسوية سلمية ، لأن أمريكا هى التى تملك كل أوراق لعبة السلام ..

● زبون « موسكو »

ولذلك كان الجو طليقا أمام كسينجر ، وهو مستشار الامن القومى للرئيس نيكسون ، أن يضع كل المراقيل أمام محاولات « روجرز » وزير الخارجية ، المخلصة للشروع فى مباحثات سلام .. كما كان الجو طليقا أمام كسينجر ، لكى يقضى على معارضة وزارة الدفاع الامريكية لاعطاء مزيد من الاسلحة الخطيرة الحديثة لاسرائيل .. فعندها ما يكفى ويزيد .. ولكن كسينجر كان يستخدم الحجة الزائفة ، بأنه لا سبيل لاقتناع اسرائيل بالمرونة .. الا باسكاتنها بمزيد من السلاح .. كما أنه استغل أن نيكسون قد دخل على سنة انتخابات الرئاسة .. ولا يريد المتاعب سواء فى أزمة الشرق الاوسط .. أو من القوى الصهيونية المتحكمة داخل أمريكا .. فكان طبيعيا أن يرحب نيكسون ، بمقترحات هذا الداهية كسينجر .. وكلها تدور حول تجسيد الموقف .. ونجح فى ذلك مع الاتحاد السوفيتى الذى كان يعتبره وصيا علينا .. وكما يصف مصر فى مذكراته بأنها « زبون » موسكو كما كان الاتحاد السوفيتى يتحدث عن مصر باسم الوصى على طفل قاصر ..

ولم يستطع « روجرز » الطيب القلب والنوايا ، أن يصمد للاعيب كسينجر .. ولا لقوى الضغط الصهيونى .. ولا لسياسة نيكسون ذات الاقنعة العديدة .. وتراجع روجرز - بل اعتذر لاسرائيل - وماتت كل محاولات السلام ..

ولكى أعطى القارى ، صورة حقيقية ، لعداوة الاضرار التى تسببت فيها سياسة كسينجر ، يكفى أن أعرض الشريط الصادق ، لزيارة روجرز لمصر .. وكيف أن هذا الرجل الامين - الضعيف - غادر مصر وهو مقتنع تماما ، بوجهة النظر المصرية .. وهو مقتنع تماما أيضا ، بالتعننت الاسرائيلى ، وتصميم تل أبيب - استنادا الى كسينجر والقوى الصهيونية داخل أمريكا - على قتل أى محاولة للسلام ..

أما سيسكو - فكما قلت فى تعليق سابق - فقد كان يلعب على كل

الحيال • هو ماضٍ مع روجرز في سياسة السلام • لأن هذا هو الامر الواضح الحق • وهو أيضا ماضٍ مع كسينجر • مبلغا اياه اسرار كل تحركات روجرز - التي كان يخفيها عن كسينجر - لأنه لا يريد أن يفقد رضاء هذا الداهية المقادر على استغلال كل المواقف • لفرض سياسته • وهي قتل كل محاولات السلام •

● هذه الاعترافات المؤلمة

وقبل أن أعرض تفصيلات زيارة روجرز وكل المناورات الامريكية لكسينجرية •• كما شرحها السادات في كتابه البحث عن الذات •• وفي اجتماع مغلق للقيادات الصحفية والاعلامية في أكتوبر ١٩٧١ ••

قبل ذلك أوجز اعترافات كسينجر في هذه الصفحات التالية •

لقد اعترف بعلمه الكامل - وتأيبده - لمناورات اسرائيل لقتل مبادرة السادات في فبراير ١٩٧١ • ان موسى ديان أعلن اقتراحا بانسحاب جزئي اسرائيلي من شرق القناة ، يقابله انسحاب مصري مقابل من غرب القناة ! وكان ديان يعلن في ذلك الوقت - وهذا ما لم يسجله كسينجر - أن اسرائيل تملك نصف القناة •• ثم عاد ديان وتصل من هذا الاقتراح الهزيل عندما زار واشنطن في ديسمبر ١٩٧٠ •• وقال ان اسرائيل لن (تمنح) مصر •• (نعمه) إعادة فتح قناة السويس •

ويعترف كسينجر بأن مصر اردت اتفاقية مؤقتة . كخطوة أولى نحو انسحاب كامل •• وكان عرض ديان بهدف احباط فكرة الانسحاب الكامل ، وارجاء مناقشة الحدود النهائية •• حتى يسقط أى احتمال لأن تشن مصر حربا •• ولكن السادات أصر على أن انسحاب اسرائيل الاول يكون خطأ وراء العريش والمضائق •• كما أصر على عبور قوات مسلحة مصرية الى شرق القناة •• وذلك كجزء من تسوية تحقق الانسحاب الكامل •

وأيد كسينجر الاتجاه الاسرائيلي •• وهو الفصل الكامل بين اتفاقية مرحلية وتسوية شاملة •• واعترف أن تأييده لذلك قائم على أن السلام هو في يد أمريكا •• ولذلك تستطيع أن تفرض شروطها ! وركز كسينجر كل جهوده في المراوغة على فكرة اتفاقية مرحلية فقط بحجة كسر الجمود وتحدث في ذلك مع دوبرينين السفير السوفيتي واشرف غربال المشرف على المصالح المصرية في أمريكا •• والواقع انه كان

لا يريد الا الجمود باعترافه . ولذلك فقد اعترض على زيارة روجرز للشرق الاوسط ، بمذكرة تعبر سطورها الجافة على انه كان يعتبر روجرز كما لو كان ساعيا في مكتبه ! وكان رايه « لا خروج عن الحالة الراهنة » . وكان سعيدا بان اسرائيل حددت موقفها بتراجع قصير لقواتها شرق القناة . وعدم عبور قوات مصرية الى الشرق . مع تخفيف القوات المصرية في الغرب (!!) . ووقف اطلاق النار الى اجل غير مسمى . . ولا ربط مع أى انسحاب آخر في المستقبل .

● مقترحات بيرجس . . والمعاهدة

وعندما تقدم ممثل المصالح الامريكية في مصر دونالد بيرجس ، باقتراحات امريكية جديدة - بالاتفاق مع وزارة الخارجية الامريكية . من وراء ظهر كسينجر . . وكانت اقتراحات تتفق مع وجهة النظر المصرية الى حد بعيد . . استطاع كسينجر أن يجبر روجرز على التنصل من هذه الاقتراحات والاعلان أنها من بنات افكار بيرجس . . وقال كسينجر في مذكراته أنه لا يصدق طبعاً أن بيرجس يقدم على هذه الخطوة ومن غير تفويض من وزير الخارجية الامريكية .

ثم يحتج كسينجر بأن معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية التي عقدها السادات في ٢٧ مايو ١٩٧١ . . أدت الى تعقيد الموقف . ولذلك رفض كسينجر تفسيرات روجرز . . وتحليلات المخابرات المركزية الامريكية . . بأن هذه المعاهدة لن تغير من الواقع شيئا . . بل أنها تساعد على مرونة الموقف المصرى ، لأنها تركز على الدعم العسكرى السوفيتى الطويل المدى لمصر . .

ولكن كسينجر انتهزها فرصة أخرى للتعويق ، وقال انها قنبلة بل مفاجأة مذهلة . . تؤدي الى ازعاج الاسرائيليين وتزيد من صعوبة الوصول الى تسوية مرحلية . . وكتب الى نيكسون مذكرة حاسمة بذلك .

● اغمال الحقائق

واذا كان كسينجر يعتذر الآن من عدم ابدائه هذا الراى ، لأنه حتى ذلك الحين لم يكن يفهم من هو انور السادات . . ولم يكن يعرف ابعاد زعامته التاريخية . . الا أن هذا الاعتذار لا يبرىء كسينجر . . لأن الحقيقة التي تجاهلها في مذكراته ، أن نيكسون ارسل مبعوثا خاصا الى الرئيس السادات . . بعد توقيع هذه المعاهدة ، وعاد هذا المبعوث الى نيكسون بالرد الشامل والتوضيح الكامل ، بأن مصر تتحرك

بارادنها ٠٠ وأن هذه المعاهدة ليست الا تعبيرا عن أمر واقع ٠٠ بل سوف يتضح عندما اعرض رواية الرئيس السادات لكل الاحداث ، ان كسينجر يفغل ذكر الحقائق التي وصلت بالقطع الى سمعه حينئذ ٠٠ وذلك لكي ينفذ استراتيجيته ٠٠ القائمة على قتل كل محاولات السلام ٠٠ معتمدا على أن الاتحاد السوفيتي سوف يتراجع عن التأييد الفعلي للمطالب المصرية بالانسحاب الكامل ٠

وأعود الى العرض الحقيقي الصادق لزيارة روجرز لمصر الى كتاب « البحث عن الذات » والى الاجتماع المفلق الذي عقده الرئيس مع القيادات الصحفية والاعلامية في أكتوبر ١٩٧١ ليرى لنا حينئذ حقائق الموقف الأمريكي ٠ فلم يكن السادات جاهلا ، بكل مناورات البيت الابيض ولكنه كان يريد ان يقدم لواشنطن الدليل بعد الدليل ، على أن سياسة الخداع لن تجدى مع مصر ٠

مبادرة ٤ فبراير ٧١ ٠٠ لماذا ؟

وصف الرئيس السادات في ذلك الاجتماع ، الاسباب التي دعتة الى اعلان مبادرته في ٤ فبراير ١٩٧١ ٠٠ وأساسها أنه اذا انسحبت اسرائيل من ضفة القناة الى المضائق ، فاننا على استعداد لفتح قناة السويس بعد أن تعبر قواتنا الى شرق القناة ٠٠ وسوف تم مصر وقف اطلاق النار ٦ أشهر بدلا من ٣ أشهر كما عرضت مبادرة روجرز ٠ وسيكون هناك وقف اطلاق نار رسمي ٠٠ وسوف تعيد مصر العلاقات مع أمريكا ٠

كان هدف السادات أن نأخذ فرصة للاستعداد العسكري بعد أن ضربت اسرائيل قناطر نجع حمادى وكانت تريد اغراق الصعيد ٠٠ والسلاح السوفيتي لا يسعفنا ٠ كما كان هدفه جذب دول غرب أوروبا الى تأييد الحق العربي ، لأن افتتاح القناة ، سيخفف عن هذه الدول بلايين الجنيهات في مصاريف نقل البترول ٠٠ بعد أن ارتفعت أسعار البترول بسبب اغلاق القناة ٠

وكانت المبادرة المصرية مؤيدة من الدكتور محمود فوزى رئيس الوزراء الذى كان ينادى بأنه لابد أن نتحرك وألا نقف محلك سر ٠٠ وقال السادات : كان هدفي هو تحريك القضية ٠ وأن نبعد عن العالم فكرة أن القضية أصبحت وقف اطلاق النار أو اطلاق النار ٠٠ وأن ننقل في اتصالنا السياسى الى صلب القضية ٠٠ وأن نأخذ فرصة لاستكمال الاعداد العسكرية ٠٠ وأن نحرك أوروبا الغربية الى جانبنا ،

بعد أن كنا بعيدين عن أوروبا الغربية تماما بسبب سيطرة اسرائيل لمدة ٢٢ سنة وبدعايه مدروسة تماما .

وتجاوب الراى العام فى الداخل والخارج مع المبادرة .

● رسالة هامة من السادات الى نيكسون

وبدا الرئيس يشرح بعد ذلك الموقف الامريكى ..

- لقد رحبت امريكا بالمبادرة . وهذه كانت خطوة . وانواع
أن أول اتصال نم مع امريكا كان فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ ، عندما
أحال الى الدكتور محمود فوزى رئيس الوزراء خطابا تلقاه من الرئيس
نيكسون يشكر مصر لانها أوفدت الدكتور فوزى ليمثلت فى حنازة
ايزنهاور . مباشرة استدعيت القائم على رعايه المصالح الامريكيه
عندنا . وأطلعت على خطاب نيكسون وقلت له : لقد استدعيت
لاحملك الرد الى الرئيس الامريكى .. وهذا هو نص الرسالة :

اولا : لقد ارسلت لكم مع ريتشارد سون الذى جاء للمصرا . فى
عبد الناصر ولكنكم لم تردوا علينا .. مبادرة وجرز انسقتم فيها
وراى دعوى اسرائيل أن مصر قد نقضت المبادرة وانتم تعلمون
جيذا ان الارض شرق القناة وغربها مصرية .

ثانيا : بمجرد انكم ارسلتم خطابا لرئيس وزرائنا . تعبرون
فيه عن شكركم وتطلبون فيه ابلاغى بهذا الشكر .. ها انا اكتب
اليكم لاؤكد رسالتى التى بعثت بها مع ريتشارد سون . ولاقول لكم
اذا كنتم تعتقدون اننا فى منطقة النفوذ السوفيتى فانتم مخطئون ..
نحن لسنا فى منطقة نفوذ سوفيتية . ولن نكون فى منطقة نفوذ أحد
ابدا .. وارجو ايضا ان تعلموا انه ليس لمصر ولى أمر . فاذا
شئتم ان تتحدثوا عن أى شىء خاص بمصر . فالمكان هنا فى القاهرة
ومعى .. لا مع أى جهة أخرى (وبهذه الجهة الاخرى كنت اعنى
صراحة كما افهمت المشرف على رعايه المصالح الامريكية - السوفيت
الذين ارادوا ان يتولوا امرنا وكان عبد الناصر قد اعطاهم هذا
الحق فى مرحلة من المراحل) .. وارجو ايضا ان تعلموا أن قرارنا
بيدنا وحدنا . فنحن أحرار ومستقلون . فاذا اقتربتم منا خطوة .
فسنتقرب منكم عشر خطوات . واذا ابتعدتم خطوة فسنبتعد عشرا .
وكما أن فى القوانين الطبيعية لكل فعل رد فعل . كذلك شأننا
معكم . فكل فعل طيب من جانبكم . سوف تكون له عشرة ردود
افعال طيبة من جانبنا . والعكس صحيح .

ويمضي السادات قائلا : « وفي ٤٨ ساعة جاءني الرد موقعا عليه من نيكسون ، وكانت رسالة رقيقة يشكرني فيها الرئيس الأمريكي ، ويقول انه لا يطلب صداقتنا على حساب أحد .. وكنت قد خذرت في رسالتي من هذا .. »

● ارادها كسينجر .. مهمة مسرحية

ثم أعلن الرئيس السادات في ٤ فبراير ١٩٧١ مبادرته أمام البرلمان .. بعد صمت امريكي استمر أكثر من شهر .. وكان يريد أن يعطي نفسه فرصة للاستعداد العسكري .. وكان البيت الأبيض يصل الشعره لكي يقطعها في سياسة المراوغة التي اتفق عليها نيكسون وكسينجر .. فقد كانوا يتصورون أن السادات عرض وقتي .. وأنه لن يبقى في حكم مصر .. كما كانوا يأخذون كلمته بعدم الثقة .. فلم يكونوا يتصورون أن السادات صادق - أو قادر - فعلا ، عندما ابلغهم انه ليس تحت وصاية أحد .. لا السوفيت ولا انتم .. وأنه يريد السلام فعلا .. وهذه هي تقديرات كسينجر ، التي اعتذر عنها في كتابه .. بأنه لم يكن حينئذ يفهم من هو أنور السادات ..

وكان أهم ما في مبادرة السادات حينئذ اعلانه « ان مصر مستعدة لإبرام اتفاق سلام مع اسرائيل تنتهي بموجبه حالة الحرب القائمة بين العرب واسرائيل الى ذلك اليوم ، ومنذ قيام اسرائيل سنة ١٩٤٨ . مع اعطاء اسرائيل كافة الضمانات التي ترغب فيها ، وتنتهي بذلك اخطر مشكلة يعيشها العالم لاحتكاك مصالح الدولتين الاعظم ، »

وكان ذلك مفاجأة مذهلة للعالم كله .. فهذا مالم يجرؤ قائد او زعيم عربي أن يقوله منذ ان قامت اسرائيل .. ويقول السادات « ولكنني كنت أعني ما اقول لانني فعلا راغب في السلام ، .. »

ولكن كسينجر عمل بكل قواه ان يقتل هذا الاعلان الذي يصدر لأول مرة من زعيم عربي .. وتأمر مع اسرائيل لقتل هذه الحقيقة الجديدة المذهلة في مجال السلام .. واراد ان تكون مهمة روجرز بعد ذلك في مصر واسرائيل .. مهمة مسرحية شكلية !

ويقول السادات في كتابه « لو ان هذه المبادرة وجدت العناية الكافية من امريكا ، لما قامت حرب اكتوبر .. ولبدأنا السلام في

نبرابر ومارس ١٩٧١ ، ٠٠ ولكن كسينجر ، باعتراقاته في مذكراته كان في واد آخر كان مناورا لتحقيق أهداف اسرائيل على طول الخط .

اعلن السادات المبادرة وسافر في رحلة سرية الى موسكو في اول مارس ، واختلف مع الزعماء السوفيت الذين طلبوا ان يكون تشفيل القاذفات المقاتلة باذن من الحكومة السوفيتية ٠٠ رفض السادات هذا تماما ٠٠ قال لهم « ان استخدام هذا السلاح هو قرار مصر ٠٠ ولن يكون غير ذلك ابدا ٠٠ ولن اسمح لاي سلطة كانت اى قرار ايا كان . فهذا حق ومسئولية القيادة السياسية داخل البلد » ٠٠

وكان من رأى السوفيت الا تطلق النار ٠٠ وان نوجه كل جهودنا للحل السلمى ٠٠

وقال لهم السادات : اذا وجد حل سلمى مشرف عادل ٠٠ انا موافق ولكن اذا كان مفيش فائدة نضحى ب ٢ مليون انتم خسرتم في الحرب ٧ ملايين .

ثم كانت للاتصالات الامريكية بمصر بعد مبادرة السادات ، تقوم حول اعطائهم فرصة . ورحبت مصر بذلك ، لسبب أساسى وهو ان بطاريات الدفاع عن الصعيد لم تكن قد وصلت بعد من موسكو ٠٠ واسرائيل تعربد بلا رادع .

● ٠٠ وحضر روجرز في ٤ مايو ٧١

وحضر روجرز الى مصر في ٤ مايو ١٩٧١ ومعه مساعده سيسكو

ويقول السادات : والمعروف ان سيسكو كان مساعد جولد برج ممثل امريكا الصهيونى فى الامم المتحدة ، الى عمل الطبخة كلها لصالح اسرائيل بعد حرب ٦٧ . مافوتهاش سيسكو وقلت له ٠٠ ياترى انت لسه الابن البكر لجولد برج ولا ناوى تتغير ٠٠

وقال روجرز للسادات (وانقل هنا عن كتاب البحث عن الذات)

— اتعرف انك اوجدت لنا حلا للمشكلة ؟ ٠٠

سأله — كيف ؟

٠٠ « فروى لى أن جولد ا مائير طلبت السفير الامريكى فى

تل اييب وقالت له . . اكتب لروجرز ولنيسكون وقل لهما اننى انا جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل اتحدى أى زعيم عربى ان يقول انه على استعداد لابرام اتفاق سلام مع اسرائيل . فاذا حدث هذا - قل لهما - فسوف اكون على استعداد لكى اضع كل اوراقى على المنضدة .

ثم استطرد روجرز يقول لى : - لقد وصلتنا هذه الرسالة منذ فترة طويلة ، فاذا بنا نغاجاً بك فى ٤ فبراير ٧١ ودون ان تعرف ماذا قلت جولدا مائير - تعلن عن العالم انك على استعداد لابرام اتفاق سلام مع اسرائيل . اعجبت بذلك كل الاعجاب . ولذلك طلبت . زيارتك .

وكان السادات فى اجتماع القيادات الصحفية والاعلامية قدروى لنا تفصيلات أكثر عما دار بينه وبين روجرز . .

قال لنا حينئذ : وامضيت مع روجرز ساعتين فى حديث متصل وكان مذهولاً من طبيعة الشعب المصرى . قال انه تحدث مع مصريين عديدين . سار فى الشوارع . عرفه الناس . الحراسة عليه عادية . وباختصار قال : صورة الشعب المصرى الطيب المسالم ، ليست هى الصورة التى عندنا من التقارير .

ثم قال روجرز : وهما قد مضت ساعتان علينا فى الحديث ، واننى اشعر براحة تامة .

السادات : ماذا تريد منا بعد هذه المبادرة ؟ . .

روجرز : لا اطلب شيئاً . المطلوب الآن ان تتحرك اسرائيل . وسأرسل لك سيسكو بالنتيجة بعد زيارتى لاسرائيل . . وسأعلن فى امريكا انكم فعلاً دعاة سلام .

واعلن هذا روجرز فعلاً .

السادات : فيه سؤال . لماذا لم تسأل عنه . . لماذا لم تسأل عن الوجود السوفيتى فى مصر . . هذا محور المشكلة الآن . . وهذا ما تستغله اسرائيل ضدنا . . وما ارى انكم مشغولون به فى امريكا

روجرز : الحقيقة انه بعد ان تحدثت معك ساعتين . . وشعرت اننى جالس الى صديق وانسان متفهم . . خجلت أن اثير هذا الموضوع منعا للاحراج . .

السادات : لا احراج عندي في أى تصرف لنا .. الوجود
السوفيتي شاغلكم .. فلماذا لا تناقشه بصراحة ! ..

روجرز : أنا سعيد جدا بآثاره هذا الموضوع ..

السادات : لعلكم يوجد هنا على الارض المصرية ، ضباط وجنود
من الجيش الاحمر .. (انا ماضيتش أقوله جنود سوفيت ..
علشان عارف ان عبارة الجيش الاحمر تفيظهم) وبملايسهم الرسمية
.. وانتم تعرفون هذا طبعا .. وانتم تعرفون أين هم .. لان القمر
الصناعي يصور لكم كل شيء .. اننى اسالك .. أين هم ؟ .. هل
هم على القناة ؟

روجرز : لا ليسوا على القناة ..

السادات : انت متأكد ..

روجرز : نعم متأكد ..

السادات : اننى سعيد انك تقول هذا .. وسعيد أن تعرف أن
عندنا كرامة وطنية .. ولا نقبل ان يحارب أحد لنا معركتنا ..

● والآن .. ماذا تبقى ياروجرز ؟

وهنا روى لنا الرئيس السادات قضية الوجود السوفيتي في
مصر .. الذي تم بناء على طلب من الرئيس جمال عبد الناصر في
رحلته السرية الى موسكو بعد ضرب أبو زعبل ..

ثم قال السادات لروجرز ، لم يكن مفروضا ان نترك اسرائيل
تعربد بعد أن ضربتنا بالنابالم الامريكي يا مستر روجرز .. ولكن
لعلكم .. اننا ندفع مرتبات الخبراء الروس بالاسترليني والدولار
ونحن في ازمة عملة صعبة .. وكنا نتحمل ..

ثم ناقش السادات روجرز في وجود الاسطول السوفيتي في
البحر الابيض .. وكان السادات قد ارسل الى نيكسون رسالة
خطية صريحة ، ابلغه فيها ان مصر تعطي وسوف تعطي للاسطول
السوفيتي تسهيلات في موانئ البحر الابيض .. تقديرا لوقوفهم
الى جانبنا في الايام السوداء ..

وقال روجرز : نعم .. اننى اذكر هذه الرسالة .. واتذكر ان
نيكسون رد عليك بقوله انه لا يطلب صداقتك على حساب صداقة

اصدقائك .. ومادام القرار فى مصلحة بلدك . فليس له أى اعتراض .

وقال السادات لروجرز فى ختام المباحثات : والآن .. ماذا تبغى يا مستر روجرز ؟ .

روجرز : لا شئ .. اسرائيل يجب ان تتحرك .

● وعاد سيسكو بعد يومين

ثم عاد سيسكو الى القاهرة بعد يومين ليقول للرئيس السادات أن اسرائيل لاتبدى مرونة فى ثلاث نقاط :

● عبور القوات المصرية الى الضفة الشرقية فى المرحلة الاولى من انسحاب اسرائيل . تكون بقوات بوليس فقط. ..

وحاول سيسكو ان يقنع الرئيس بأن هذه مسألة شكلية .. ويكفى ان العلم المصرى يرتفع .. وهنا سيصفق الشعب المصرى لانور السادات .. وسيصبح فى عينه الزعيم الذى رفع العلم المصرى على شرق القناة .

فرد عليه الرئيس السادات ضاحكا : باين عليك أهبل ياسيسكو دم احرق شعب فى العالم .

ولكن الرئيس أراد أن يكون مرنا .. فقال سيسكو

- المسألة بسيطة .. موضوع عبور القوات المصرية الى شرق القناة ، غير قابل للمناقشة ولكن من الممكن أن نكون مرتين .. أقبل أن الخط المصرى فى سيناء شرق المضائق . يكون موازيا لخط اسرائيل .. وأقبل أن يكون الخطان فى فترة الستة اشهر الاولى . متساويين فى السلاح والعتاد ..

ووافق سيسكو . وقال : هذامعقول .

● ثم أثار سيسكو النقطة الثانية ..

قال : اسرائيل ترفض أن يكون وقف النار محدودا بتاريخ . أنهم يريدون وقف النار بلا تاريخ ..

وأجاب الرئيس : هذا مستحيل . لانه يعنى أننا عملنا خطهدهنه .. وكأنها حدود جديدة .. وانتهى الامر . وما الذى يدعو اسرائيل

الى الانسحاب بعد ذلك . طالما هناك جندي اجنبي على ارضي . .
فلا وقف للنار بدون تاريخ . هذا مبدأ لن أحيده عنه .
سيسكو : ولكننا نريد مغرجا . .

السادات : الفترة التي اعلنتها هي ٦ اشهر . وانا أعرف ان
اسرائيل ستراوغ ، وسوف تتصل بيارنج في الشهر الاخير . . انني
أعرف أساليبهم الرذلة . . انني أوافق اذا انتهت فترة الستة اشهر ،
ووجد يارنج أنه يحتاج الى مزيد من الوقت ، فعليه أن يطلب ذلك
رسميا ومن مجلس الامن . . بشرط ألا يزيد الحد عن ثلاثة اشهر
أخرى .

ووافق سيسكو .

● ثم أثرنا النقطة الثالثة . . قال ان اسرائيل لا تريد ذكر
حدود يونيو في مرحلة الانسحاب الاولى ، لامن قريب ، ولا من بعيد
السادات : كيف يكون هذا ، اذا كانت المبادرة جزءا من الحل
الشامل .

سيسكو : هم يريدون حدودا آمنة ومطمئنة .

السادات : اسمع . . انني أوجدت مخارج مرنة في النقطتين
السابقتين . ولكن في هذه النقطة لا حل عندي . لا تنازل عن شبر
من الارض . . ولا تأجير ولا اعارة . . ولا أي كلام من هذا الكلام
الفارغ . . حدود ٤ يونيو دون نقص لاى شبر .

سيسكو : عندي حل . ان ورقة روجرز في ٩ ديسمبر ٦٩ . .
نصت رسميا على الحدود الدولية بين مصر واسرائيل . . ولكي نحل
الموقف الآن . . فان الولايات المتحدة سوف ترسل لك خطابا بأن
الحدود هي الحدود الدولية .

السادات : وما الفائدة . لقد رفضت اسرائيل من قبل ورقة
روجرز من الممكن فقط أن أقبل هذا الخطاب من مجلس الامن . .
أو من الاربعة الكبار . . أو من الاتحاد السوفيتي وأمريكا مشتركتين .

سيسكو : هذه نقطة صعبة .

السادات : هذه مسألة بسيطة سوف نبحث لها عن شكل .
ووعده سيسكو بالعودة الى أمريكا ، للعمل على أساس المبادرة . .
وكان ذلك في ابريل ١٩٧١ . . واستمرت أمريكا صامته صمت



موشى دنان

طالب بانسحاب متبادل على ضعتى
الفتنة .. وقال انه لن يمنح مصر
نعمه اعادة فتح قناة السويس ..
ورفض ان توجد اية قوة مصرية من
الجيش على الضفة الشرقية للقناة ..



سيكو

قال له الرئيس السادات ضاحكا
.. انت باين عليك اهل ياسيكو
.. ده الشعب المصرى احسك شطب
فى العالم ..

الاموات .. حتى شهر يونيو .. لا كلام ولا اتصال .. ولا اى شىء ..

● نيكسون لا يعلم انه ارسل مبعوثا

ثم جاء مبعوث امريكى من الرئيس نيكسون .. وهذا له قصة
اخرى تجاهلها ايضا كسينجر فى اعترافاته .. بل ان الرئيس
السادات ابلغ بعد ذلك .. ان نيكسون لا يعرف شيئا عن قصة هذا
المبعوث !

الى آخر هذه المراوغات التى كان يديرها كسينجر فى دهايز
البيت الابيض .. لكى يقضى على أية مبادرة سلام ..

ان الوقائع تؤكد حقيقتين :

الاولى : استمرار كسينجر فى مؤامراته ضد اى حل سلمى ..
وقد كان فى ذلك اسرائيليا اكثر من الاسرائيليين ..

الثانية : خيبة تقديراته كلها لحقيقة انور السادات .. وهذا
ما اعتذر عنه فى مذكراته فى اكثر من اربعة مواضع .. وهو الرجل
الذى يعترف بأنه يفترق الى صفة التواضع ..

السعى إلى السلام .. تحول إلى قصة بوليسية !

● الخارجية الأمريكية تتقدم بمقترحات إلى السادات .. ثم تنكر أنها قدمتها !

● نجح كسينجر في قتل كل محاولات روجرز للوصول إلى خطوة سلام .

● نيكسون كان لا يعلم بتحركات ومذكرات روجرز .. هكذا يقول كسينجر .

● ديان يقول ان اسرائيل لم تمنح مصر نعمة إعادة فتح قناة السويس .

● نيكسون يقول لكسينجر .. « استطيع .. ولكن لا تتفاوض » .

● تحول السعى إلى السلام إلى قصة بوليسية في وزارة الخارجية الأمريكية .

السعي إلى السلام .. تحول إلى قصة بولندية؟

كتب كسينجر :

سبق أن أوضحت أن جهود وزارة الخارجية الأمريكية في مجال الشرق الأوسط .. وصلت إلى طريق مسدود في عام ١٩٦٩ ثم جرى احياؤه هذه الجهود في شهر يونيو عام ١٩٧٠ باقتراح أعدت به الولايات المتحدة لوقف إطلاق النار على أساس تجميد الأوضاع القائمة على قناة السويس .. ثم انهارت المبادرة الأمريكية مرة أخرى بسبب (انتهاكات اتفاقية تجميد أوضاع القوات في منطقة القناة وسبب الأزمة في الأردن) .



وكما سبق أن ذكرت أيضا أن هدفي كان تجميد الموقف في الشرق الأوسط .

ولكن حدث أن الرئيس أنور السادات طرح في فبراير عام ١٩٧١ فكرة اتفاقية مرحلية أو مؤقتة وانسحاب جزئي إسرائيلي من قناة السويس يتيح إعادة فتح القناة وذلك كمرحلة أولى من جدول زمني لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . وصيغ اقتراح السادات بؤرة النشاط الدبلوماسي في عام ١٩٧١ .

كانت فكرة الانسحاب المؤقت من القناة قد ولدت في العقل الخصب لموشي ديان - وزير الدفاع الإسرائيلي في ذلك الوقت -

فى أواخر صيف عام ١٩٧٠ • وكانت صيغة ديان تقتضى انسحابا متبادلا أو - تخفيفا - للقوات العسكرية - على جانبى القناة • ولم تكن فكرة ديان قد تحولت الى اقتراح رسمى من الحكومة الاسرائيلية • ومع ذلك فان ديان أضطر عندما زار واشنطن فى ديسمبر عام ١٩٧٠ الى التنصل منها واقتصر على أن يصف فكرته بأنها مجرد (بديل نظرى) للموقف الاسرائيلى القائم والذى كان يتلخص فى أن اسرائيل لا تمنح مصر مبرزة أو نعمة فتح قناة السويس ••

ثم يقول كسينجر :

أما السبب فى أن اتفاقية مؤقتة لم تتحقق أبدا فى عام ١٩٧١ • فإنه نفس السبب الذى أعاق التناول الشامل للقضية : أن للجانبين أهدافا مختلفة جذريا عن بعضها البعض وهما يأخذان بهذه الفكرة •

● مجرد خطوة أولى

فقد أرادت مصر اتفاقية مؤقتة كخطوة أولى نحو انسحاب كامل • أما ديان فقد طرح الفكرة كوسيلة لإحباط هذه الهدف (الانسحاب الكامل) ان فك الاشتباك حزمى - بالنسبة لـديان - يتطوّل على ميزتين جذابتين هما اعادة دبلوماسيه جوناو يارنج الوسيط الدولى •• واختزال المفاوضات بحيث تقتصر على نطاق محدود يمكن ادارته بسهولة بواسطة السماسات المحلية الاسرائيلية • والاعم من ذلك كله - بالنسبة لـديان - أن هذه الفكرة يمكن أن ترحى، مناقشة الحدود النهائية • وإذا ما تم تنفيذ اتفاق مرحلى فإن من شأنه أن يؤدى الى الاستقرار فى جبهة السويس ويقلل من احتمال وقوع الاشتباكات • ويمكن مسألة شن حرب من جانب مصر أقل احتمالا اذا كانت هذه الحرب تعنى فقدان المنفعة الاقتصادية التى تحديها من وراء اعادة فتح القناة • وقد أقنع هذا المنطق جولدا مائير بأن تفعل اقتراح السمادات بالانسحاب من القناة فى خطاب الفته فى يوم ٩ فبراير •

● تصورات ديان

وينرجح كـسينجر بعد ذلك أن فك الاشتباك - بالنسبة للسمادات - يسمح على انسحاب اسرائيل أوسع بكثير من التراجع المحدود الذى كان يتخيله ديان •

فقد اقترح ديان انسحابا او - تخفيفا - للقوات على - جانبي - قناة السويس . اما السادات فقد اقترح في حديث له مع مجلة - نيوزويك - الامريكية في ٢٢ فبراير ضرورة ان ينسحب الاسرائيليون - الى خط ما وراء العريش - الى أكثر من منتصف المسافة عبر سيناء كلها . وان تتولى قوة تابعة للأمم المتحدة . شرم الشيخ .

كما أصر السادات أيضا على عبور قوات مسلحة مصرية قناة السويس بينما كان ديان يرى - في تصوره - أن الانسحاب . هو انسحاب متبادل . من - القناة والاهم من ذلك أن السادات جعل الاتفاقية مشروطة بجدول زمني متفق عليه للانسحاب الكامل على أساس مشروع روجرز . وهذا ما رفضه الاسرائيليون تماما .

لم تكن هناك فرصة لنجاح فك اشتباك مادام يجري التفاوض حوله جنبا الى جنب مع تسوية شاملة . وحيث أنه لم تكن هناك فرصة للنجاح . فانتى لم أجد ما يدعو الى توريط أنفسنا .

● وراء السراب

ويقول كيسنجر أنه لتحقيق النجاح كان يجب - في رأيه - الفصل بين اتفاقية مرحلية وتسوية شاملة ، اما اذا كانتا مرتبطتين فان كل ما سنفعله هو مجرد تبديد نفوذنا عن طريق ملاحقة سراب تلازمه كل مصاعب المشروعات الشاملة التي يقال أنها هي الحل . ولم تكن في هذه الحالة باكثر قدرة من موسكو على تقديم هذه المشروعات .

وعلى الرغم من ذلك ، وفي ظل عدم وجود اي بديل آخر ، فان وزارة الخارجية الامريكية تلقت بنشاط فكرة الاتفاقية المرحلية فور انهيار مهمة يارنج في نهاية شهر فبراير . وبدات وزارة الخارجية في الاسبوع الاول من شهر مارس اجراء مناقشة غير علنية مع الاسرائيليين حول مزايا خطوة مرحلية محتملة . ونقلت الوزارة افكارا محددة الى اسحاق رابين في وقت مبكر - ٦ مارس - أي بعد ثمانية أيام فقط من رفض اسرائيل - في ٢٦ فبراير - اقتراح يارنج .

ويبرر كيسنجر موقف اسرائيل بقوله ان السرعة التي تحركت بها وزارة الخارجية الامريكية جعلت من الصعب تخفيف مخاوف اسرائيل الفطرية من احتمال دفعها مرة أخرى بسرعة متهورة الى

السفر في طريق دبلوماسي يربط بين اتفاق مرحل وتسوية نهائية
تعارض الاسس التي تقوم عليها .
ثم يقول :

وفي اوقات متعددة كان كل طرف يجد ما يحمله على الاعتقاد
باننا نتعاطف مع تفسيره لفكرة الاتفاق المرحلي . وكانت النتيجة
الحتمية هي سقوط الاوهام والاحباط . . والجمود .

● خطوة بعد خطوة

كانت فكرتي هي استخدام اتفاقية مرحلية لكسر الجمود . وما
أن يتم التوصل الى هذه الاتفاقية حتى يمكن أن تؤدي هذه الخطوة
الى تسهيل الطريق نحو احراز المزيد من التقدم . ولكنني أيضا
اختلفت في الرأي مع هؤلاء الذين كانوا في اسرائيل ينظرون الى
فك الاشتباك المرحلي على أنه وسيلة لتفادي اية انسحابات اخرى .
وفي رأيي أن العكس هو الصحيح . . ذلك أن الفائدة الرئيسية من
فك اشتباك على القناة هي تحريك عملية مفاوضات يجب أن تؤدي
في النهاية الى سلام مع بعض أو كل الدول العربية .

ومنحني الرئيس نيكسون تفويضا باستطلاع مايمكن تحقيقه من
خطوات ولكن دون التفاوض حول هذه الخطوات . وتنفيذا لهذه
المهمة . . بدأت مناقشة فكرة اتفاقية مرحلية منفصلة مع السفير
السوفيتي دوبرينين في ٢٢ مارس عام ١٩٧١ ، لكي أرى ما اذا كان
السوفييت على استعداد للتخلي عن الربط لحين التوصل الى مشروع
شامل تفصيلي . وتابعت مناقشة الفكرة مع أبا اييان في منتصف
شهر مارس . ومع ممثل مصر في واشنطن اشرف غربال في ٢٥
مارس . (العلاقات كانت مقطوعة وكان اشرف غربال مشرفا على
المصالح المصرية في أمريكا)

● ورقة اسرائيلية

ولما كان دوبرينين غير راغب في مناقشة هذه الفكرة التي
أطرحها . . فقد عادت المفاوضات الى القنوات العادية . . وهنا
ظهر - كما كان متوقعا - أن الاطراف ليست مستعدة - بعد -
للموافقة حتى على اتفاق محدود .

ويشرح كسينجر موقف اسرائيل فيقول :

ووضح الاسرائيليون في منتصف ابريل ورقة تحتوي على تفاصيل موقفهم : تراجع اسرائيل لمسافة غير محددة (ولكنها قصيرة) عن القناة - عدم الموافقة على عبور قوات مصرية للقناة - بعض التخفيف للقوات المصرية على الجانب المصري من القناة (يقصد الضفة الغربية للقناة) - وقف إطلاق النار لاجل غير مسمى - عدم الربط بأي شكل بين هذه الخطوة وبين انسحابات أخرى . وفي الحقيقة ان اسحاق رابين سفير اسرائيل في واشنطن اطلعني على هذه الورقة المقترحة التي تتناول الموقف الاسرائيلي قبل أن يقدمها لوزارة الخارجية الامريكية واستطاعت اغراءه بان يقنع حكومته بتعديل بعض العناصر التي تجعل من المستحيل البدء في مفاوضات . ومع ذلك كان من المؤكد ان الصيغة الاسرائيلية النهائية لن تكون مقبولة من جانب مصر .

● مفامرة مشجعة

ورغم ذلك ، فقد كان وليام روجرز وزير الخارجية الامريكي مصمما على المضي بسرعة فيما اعتقد انه مفامرة مشجعة . وفي ١٩ ابريل حصل على موافقة الرئيس نيكسون على قيامه بزيارة عدة دول في الشرق الاوسط لايجاد أرضية مشتركة بين مصر واسرائيل حول تسوية مرحلية . وأعربت عن شكوكي في هذا الصدد في مذكرة بتاريخ ٢٢ ابريل لنيكسون :

« اعتقد أنه من المهم لفت نظر وزير الخارجية الى ضرورة عدم الخروج عن الوضع الراهن للمبة دون أن يحرص على اطلاعنا بالكامل والحصول على موافقتك المحددة على أي خروج عن الحالة الراهنة » .

ولكنني لم أستطع أن أفعل أكثر من مجرد التحذير ..

زار روجرز الشرق الاوسط في بداية شهر مايو عام ١٩٧١ . وكشفت مناقشاته في اسرائيل ومصر الخلافات الاساسية بينهما .

فقد أراد السادات أن تتخذ القوات المصرية مواقع على جانبي القناة . وعارضت اسرائيل ذلك بصنف (باستثناء موسى ديان الذي كان عاقلا عندما قال انه قد يكون من المسحوح به ان يكون هناك بعض الوجود لبوليس مصري) . وأصر السادات على التزام

اسرائيل من حيث المبدأ بحدود عام ١٩٦٧ على ان يرتبط هذا الالتزام بالاتفاق حول القناة . ورفضت اسرائيل هذا الالتزام (رغم ان ديان أبلغ جوزيف سيسكو انه كان أحد القلائل في الحكومة الذين كانوا يرون أن الخطوة المرحلية جزء من العملية المستمرة للسلام) .

ولم تسفر رحلة روجرز عن شيء .

تقارير البيت الابيض

وكتب لي مساعدى هارولد سوندرز في تحليل بارع في ١٩ مايو انه يخشى من أن يكون السادات معتمدا على روجرز في التوصل الى اتفاقية القناة . وربما كان السادات ، الذى فرغ لتوه من حركه تطهير ضخمة ضد العناصر الموالية للسوفيت في حكومته ، يحتاج الى أحرار تقدم دبلوماسى ، لكى يجعل سياسته تشق طريقها وليواجه المواقف السياسية . . . ان الباب مفتوح لخيبة أمل كبرى اذا لم يحدث تحرك الآن .

وعندما أرسل روجرز تقريراً الى نيكسون حول رحلته . . . أرفقت تحليل الخاص مع نفس التقرير .

كان الرأى هو ان السادات تحرك في الاساس لتأمين مسئوليته كحاكم . . وان على الولايات المتحدة أن تكون بعيدة عن مجرى الامور .

● قصة بوليسية

عند هذه النقطة تحول السعى الى اتفاقية مرحلية . . الى قصة بوليسية . وتزايدت صعوبة اكتشاف . . من الذى يقترح ماذا على . . من ؟ ولم يعد البيت الابيض الأمريكى يعرف ما اذا كانت الاطراف تطرح أفكارها الخاصة أم تطرح تفسيراتنا نحن لارغامنا على أن تؤيد علنا ما ابلغناه لها سرا .

وخلال هذه العملية قام بعض الدبلوماسيين الأمريكيين بمناورة غير عادية كان البيت الابيض يجهل كل شيء عنها .

فقد اتضح أن دونالد بيرجيس رئيس قسم رعاية المصالح الأمريكية في القاهرة (لم تكن هناك علاقات دبلوماسية في ذلك الوقت) - في جهد يستهدف متابعة رحلة روجرز - ساعد المصريين على صياغة اقتراحهم المضاد بشأن التسوية المرحلية . ولم يكشف

هذا الحدث مجرد انحياز وزارة الخارجية الامريكى الى فكرة الاتفاقية المرحلية التى تشكل مرحلة نحو تسوية شامله (لا يمكن التوصل اليها) بل أيضا يكشف عن أمر أكثر مدعاة للقلق وهو أن العجز الامريكى عن تنفيذ الاقتراح (بعد أن طرحه المصريون فى ضوء شعورهم بتأييدنا له) أدى الى تضخيم خيبه الامل لدى القاهرة أزاء الدبلوماسية الامريكىة . واعتقد المصريون اننا اما عاجزون أو مخادعون .

حكاية بيرجيس

ولم يتلق البيت الابيض الامريكى فكرة غامضة طفيفة حول ما حدث فى القاهرة الا بعد ثلاثة اسابيع . وقد ظهر أن ممثلنا الدبلوماسى فى القاهرة دونالد بيرجيس اجتمع مع مسئولين فى وزارة الخارجية المصرية يوم ٢٣ مايو لمناقشة ورقة مصرية . وعندما طلب المصريون التعرف على رأى بيرجيس . . يبدو أن الدبلوماسى الامريكى كتب أفكاره بالتفصيل وترك ملاحظاته (مكتوبة) مسح المصريين . وعندما أزيح النقاب عن الصيغة التى كتبها بيرجيس اتضح أنها تماثل - بصورة تبعث على الدهشة - الاقتراح المصرى الرسمى الذى قدمه السادات لنا أخرا فى الرابع من يونيو .

انه تصرف غير عادى . . مازلت مقتنعا بأن دبلوماسيا محترفا يملك خبرة بيرجيس لا يمكن أن يقدم عليه بدون تفويض من المستويات الاعلى .

ويروى كسينجر ان فشل هذا المسمى كان حتميا ويقول ان امريكا أصبحت فى مركز حرج . . وتنصلت وزارة الخارجية من علاقاتها بهذا الموضوع . واعلنت أن هذا المحتوى لا يمثل الموقف الامريكى الرسمى .

أصبح غضب المصريين الآن مزدوجا . فقد اتاهم تنصلنا من المذكورة كما شعروا بمرارة من عدم قدرتنا على التقدم بما ادعوا انه يمثل أفكارنا . كما احتدم غضب الاسرائيليين لاننا نشجع مصر على التقدم بمشروع سبق أن قال لنا الاسرائيليون انهم لن يقبلوه على الإطلاق .

ولم تصل كل هذه التصرفات الى علم رئيس الولايات المتحدة .

● مفاجاة السادات

ويتناول كسينجر موضوع المعاهدة المصرية السوفيتية فيقول :

ثم جاءت قبلة أو مفاجاة مذهلة اخرى أكثر أهمية بكثير .

ففى ٢٧ مايو عام ١٩٧١ وقع السادات معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتى . ويتناول السادات فى كتابه « البحث عن الذات » هذه الاتفاقية باعتبارها نوعا من الاسترضاء للحساسيات السوفيتية بعد أن قام بحركة التطهير ضد كبار العناصر الموالية للسوفيت فى السياسة المصرية ووضعهم فى السجن .

وأنا الآن أعتقد أن هذا الاعتبار كان الدافع الرئيسى رغم أنه لم يكن هناك أحد بيننا يفهم السادات فى ذلك الوقت .

غير أنه من المؤكد أن هذه الخطوة عبرت عن جرأة سوفيتية جديدة وعن خيبة أمل السادات فى الدبلوماسية الأمريكية المتخبطة .

وانزعج الاسرائيليون وزادت صعوبة التوصل الى تسوية مرحلية .

أما وزارة الخارجية الأمريكية فقد كان لديها تقدير للموقف أكثر تفاؤلا فقد كتب روجرز تقريرا الى نيكسون قال فيه ان معاهدة الصداقة المصرية - السوفيتية « تدعم سيطرة السادات على قواته العسكرية من خلال تركيز هذه المعاهدة على الدعم العسكرى الطويل المدى » ويمكن لهذه المعاهدة أن تساعد على المحافظه على مرونته فيما يتعلق بالتسوية حول قناة السويس » .

وقدمت وزارة الخارجية ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية نفس التحليل بالدقة حول معاهدة الصداقة بين الاتحاد السوفيتى والهند التى وقعت بعد ذلك بأقل من ثلاثة أشهر .

وكتبت تقريرا الى الرئيس نيكسون فى ٣١ مايو أوضح فيه خلاصتى مع تقدير روجرز .

• تعليق على

الفصل الثالث عشر

حنانيك .. يا قيصر !

أعز أهم ما في هذه الصفحات الجديدة المبركة
من كتاب كسيجر .. سواء أجبنا أم لا
أبى نذكر بما أن سميتها اعتراف كسيجر ..
أعز أهم ما فيها ، هو كشف للاتصالات السرية
التي جرت بين أمريكا والاتحاد السوفيتي ..
.. سواء في الرسائل بين نيكسون وبريجيف ،
أو في الاجتماعات المغلقة بين كسيجر وجروميكو
وبين نيكسون أيضا وجروميكو ..



وأخطر كشف في هذه الاتصالات ، أن الاتحاد السوفيتي في عامي
١٩٧١ . ١٩٧٢ كان يتحدث عن مصر مع المسئولين الأمريكيين ،
وكانها فعلا مقاطعة سوفيتية ، وخاضعة للوصاية السوفيتية الكاملة .
ولا تملك من سيادتها على أرضها شيئا إلا بقرار من موسكو ! أن
جروميكو يعرض على أمريكا أن قوات الاتحاد السوفيتي مسهودة
للانسحاب من مصر بعد الوصول الى تسوية شاملة .. وكان الوصول
الى هذه التسوية هو المستحيل حينئذ . فقد كان الموقف الأمريكي
واضحا كل الوضوح ، في أنه لن تكون هناك تسوية شاملة . أي أن
القوات السوفيتية باقية في مصر الى ما شاء الله ! .. وموسكو لا
تعرف الله .. أي الى ما شاءت ارادة السوفيت !

ثم يناور جروميكو ، ويقول ان الانسحاب السوفيتي من مصر ، مرتبط بالانسحاب الوجود الامريكى العسكرية من ايران ! ٠٠ أى ان بقاء السوفيت فى مصر ٠٠ هو فى مقابل البقاء الامريكى فى ايران . وكان مصر لا ارادة لها على الاطلاق على أرضها !

ومناورة جروميكو هنا ٠٠ معناها ايضا ان السوفيت لن ينسحبوا من مصر ٠٠ لانه كان من قبيل الاستحالة حينئذ ، ان تنسحب امريكا من ايران .

● غزبة سوفيتية

بل ان دوبرينين سفير الاتحاد السوفيتي فى واشنطن يقول لكسينجر فى لقاء سرى ، ان زيادة الوجود العسكرية السوفيتي فى مصر أمر مرهون بارادة موسكو ٠٠ وان الاتحاد السوفيتي فى وسعه ان يفعل فى هذا الامر ما يشاء ٠٠ ! أى تماما كما تتحرك قوات سوفيتية من موسكو الى لينينجراد مثلا ٠٠ تتحرك هذه القوات الى مصر ٠٠ وفقا لهوى موسكو !

قال السوفيت هذا فى الوقت الذى اندرهم فيه السادات فى أول رحلة له الى موسكو فى اوتل ١٩٧١ ، بأنه لا يقبل . ولن يقبل أن يكون استخدام السلاح السوفيتي - الذى نشره - بقرار من موسكو وأنه يرفض تماما هذا المساس بالسيادة المصرية .

وكل هذه المناورات السوفيتية ، لم تكن من أجل مصالح مصر ، أو قضيتها فى تطهير الارض من الاحتلال الاسرائيلى ٠٠ ولكنها كانت مناورات للاتفاق على صفقة «الوفاق» التى عقدت بين امريكا والاتحاد السوفيتي فى يوليو ١٩٧٢ ٠٠ وباع فيها الاتحاد السوفيتي قضية مصر وقضية الامة العربية ٠٠ وتمهد بالابقاء على الاسترخاء العسكرية فى الشرق الاوسط ٠٠ وتجميد الاوضاع الى ما لا نهاية ٠٠٠ كما باع فيها فيتنام الشمالية ٠٠ كل ذلك مقابل صفقة الوفاق التى تتيح للاتحاد السوفيتي الحصول على القمح الامريكى !

● حكاية مقترحات بيرجس

واعود الى ربط تعليقنا من اعترافات كسينجر بما انتهينا اليه فى التعليق السابق ٠٠ حول المقترحات الامريكية التى قدمها بيرجس ممثل المصالح الامريكية فى مصر ، والتى جاءت متففة الى حد كبير مع وجهة النظر المصرية ٠٠ ثم انكرت امريكا أن لها أى علم بذلك ٠٠ بعد أن

احتج كسينجر على هذه المقترحات . . وتراجع روجرز وزير الخارجية
المغلوب على أمره . ونفى أن وزارة الخارجية على أدنى علم بها . .
والحقيقة غير ذلك تماما . ولكنها المراوغات الأمريكية حينئذ . والتي
كانت تلف وتدور حول المساندة الكاملة لإسرائيل . . والنظر الى مصر
على أنها مجرد « زبون » للاتحاد السوفيتي . ليست له ارادة . .
وليست له كلمة مسموعة . .

قال أنور السادات في الاجتماع المغلق الذي عقده للمقدمات
الصحفية والإعلامية حينئذ لشرح الموقف الأمريكي :

« بعد ذهاب روجرز لإسرائيل بعد أن زارنا وتركنا مقتنعا تماما
بوجهة النظر المصرية . . جاء سيسكو بوجهة نظر إسرائيل (التي
عرضناها آنفا) . . ورد الرئيس على الرأي الإسرائيلي . .
وغادر سيسكو القاهرة » . بوعده منه . أنه سيمودى إلى أمريكا للعمل على
أساس المبادرة المصرية . . وكان ذلك في إبريل ١٩٧١ . . واستمرت
أمريكا صامدة صمت الاموات حتى شهر يونيو . . لا كلام ولا اتصال
« ولا أى شئ » .

ثم حصلت خطوة . .

تقدم بيرجس ممثل المصالح الأمريكية في مصر . بورقة الى وزارة
الخارجية المصرية في يونيو . قال انها من بنات أفكاره هو . وطلب
الرأي المصرى فيها . وقد اطلع عليها الرئيس السادات . واحس
انه لا يست لجلس النبض من بيرجس . . وانها قطعاً مرسله من الحكومة
الأمريكية لجلس النبض . لأن ٩٠٪ مما جاء في ورقة بيرجس . استخدام
لعبارة تداولها الرئيس مع سيسكو ولم يكن معها ثالث . . ومن ذلك
تعبير عن الخط المصرى شرق القناة بعبارة معينة والتعبير عن الخط
الإسرائيلي بعبارة أخرى .

وأجرى الرئيس تعديلات في ورقة بيرجس . في جزء منها كان
لصالح إسرائيل . . وفجأة أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية ان ورقة
بيرجس هي بنات أفكاره وحده . . ولا دخل لواشنطن بها . .
وعلق الرئيس على ذلك بقوله :

« وطبعاً هذا كلام ساذج . . ولكنه فهم من هذا بوضوح . أن أمريكا
قررت أن تلجس كل شئ . . ومن هنا كان اللوع واللعب والاسلوب
المناور من الجديد . . »

ويبدو واضحا الآن للسيد كسينجر أن كل ما يكشفه 'الان' في كتابه من اعترافات عن المراوغات الامريكية التي قادها ضد مصر لم يكن خافيا على مصر .. وان دبلوماسيته التي يعتز بها ، لم تكن من الاسرار الكهنوتية كما كان يتصور حينئذ !

.. كان هو يلعب لعبته داخل 'البيت الابيض' ..

وكانه السادات يكشف للاعلام المصرى .. وللصحافة المصرية . فى اجتماعات مغلقة كل ما وراء هذه المناورات !

● كسينجر يفلسف المعاهدة المصرية

ويعترف كسينجر فى مذكراته انه استثمر عقده مصر لمعاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتى فى مايو ١٩٧١ ، لكي يعطل كل خطوة . باحاثات نحو السلام .. ويرز ذلك بان المعاهدة اعطت للاتحاد السوفيتى حق الفيتو على أى مباحثات تجرى .. وان السوفيت سوف يشتركون فى أى اشتباكات مسلحة جديدة على القناة ..

واتخذت اسرائيل ذلك ذريعة لطلب مزيد من شحنات الاسلحة .. وكان كسينجر يؤيد الطلبات الاسرائيلية .. رغم رفض روجرز ورغم رفض وزير الدفاع الامريكى .. وحصلت اسرائيل على ما ارادت ..

ويعتذر كسينجر - الذى يسجل فى كتابه انه يفنقر الى فضيلة التواضع - عن هذه المواقف البالية التى عطلت فعلا طريق السلام بقوله : . لم أكن أعرف السادات . فقد كان لابد لى أن استنتج انه لا يزال يلعب لعبة عبد الناصر .. وكان السادات يهدد بسنة الحسم .. ولذلك كان علينا ان نحبط أى استراتيجية تقوم على التهديدات العسكرية والتواطؤ مع الاتحاد السوفيتى . . وهذا الاعتذار مقبول من كسينجر الان .. وهو قد كرر اعتذاره هذا فى أربعة أو خمسة مواضع من كتابه .. بل وصف عدم فهمه لشخصية السادات كزعيم يغير وجه التاريخ . بأنه من اكبر الاخطاء التى ارتكبها فى حياته ..

ولكن كسينجر الممتلئ بالفروور . كان لديه دليل قوى ، على تفهم شخصية السادات .. وانه ليس هو الرجل الذى يتكلم بلقتين .. أو يراوغ فى قضية السلام ..

● نيكسون لا يعلم شيئ !!

وهذا الدليل انتقله عن كتاب انور السادات . البحث عن الذات . .. قال السادات فى كتابه :

• نعود الى موقف أمريكا • غادر روجرز مصر في أوائل مايو ١٩٧١ الى اسرائيل ليواجه جولدا مائير • ثم انقضى يونيو ١٩٧١ • وحسب يوليو ١٩٧١ • وأنا خلال تلك الفترة دائم الاستدعاء للقائم على شئون أمريكا • اطلب منه أن يكتب الى روجرز ليخبرني بما حدث مع اسرائيل • ولكن دون جدوى تماما كما يفعل السوفييت مع • اسرائيل مستمرة في غرورها وأمريكا متحفظة لانتكهام ولا تتخذ أى موقف • الى أن جاء ٦ يوليو ١٩٧١ فإذا بأحد رجال وزارة الخارجية الأمريكية يأتي من واشنطن يطلب موعدا عاجلا للاهمية • قابلته في مساء نفس اليوم فقال لي انه يحمل رسالة من نيكسون وروجرز ولكن عنده بعض الاسئلة يريد منى الاجابة عليها أولا •

وقبل أن أسجل ما جاء في كتاب السادات • اقول أن هذا المبعوث الأمريكي كان معروفا لدى الرئيس من قبل • فهو مدير قسم الشرق الاوسط بوزارة الخارجية الأمريكية وقد كان مرافقا للرئيس عند زيارته لأمريكا في عام ١٩٦٦ • وقد بدأ حديثه مع الرئيس عند استقباله له كمبعوث من الرئيس نيكسون بقوله : أن الرئيس الأمريكي قرر أن تأخذ أمريكا موقفا ايجابيا في حل القضية • وسيحدد ذلك في ورقة ونعلنها لكم وللعالم • أن سيسكو سيذهب الى اسرائيل في ٢٧ يونيو وبعد عودته الى أمريكا • ستعلن الورقة • وستأخذ أمريكا دورا ايجابيا • ولكن الرئيس الأمريكي ينتظر من مبعوثه برقية عن بعض الاستفسارات •

● سؤالان • واجابات واضحة

ويقول السادات في كتابه البحث عن الذات :

• كان السؤال الاول : هل غيرت المعاهدة السوفيتية التي عقدت في أواخر مايو ١٩٧١ موقفك أو فرضت عليك التزامات تحد من حريتك في التعامل معنا لاعادة السلام الى المنطقة ؟ •

واجبته • أبدا • لقد أعلنت ان المعاهدة السوفيتية ليست لها بند او ملاحق سرية • ولا بد أن تتعودوا انتم وغيركم على أن ما أقوله في العلن • هو نفس ما أقوله في السر وأن أي التزام التزم به من حق شعبي على أن يعرفه قبل غيره من الناس • لاني غير مستعد لان أضحك على شعبي في يوم من الايام • مهما كانت الظروف • ومع ذلك فان المعاهدة قد أعلنت بنودها رسميا في البرلمان عند اقرارها • وليس

على مصر أي قيود ، من أي نوع ، فنحن مصريون على حريتنا
واستقلالنا .



وكان السؤال الثاني : هل مازلت توافق على مبادرتك التي اعلنتها
في فبراير ١٩٧١ وأخطرت بها روجرز عندما كان في مصر ؟ ..

قلت له : طبعاً .. ولو حدث أن غيرت أي شيء فلابد أن اعلنه على
الناس فوراً .. وأحب أن انبهكم - وهذه ليست اول مرة - الى أن
كل ما يخص مصر ، يجب أن تتكلموا معي أنا في شأنه .. فإذا
تكلمتم مع أي شخص آخر فثقوا اننا لن نستمع اليكم ..

قال لي : حسناً .. حسب ما لدى من معلومات أحب أن أقول لك
انه بعد ما تلقيت منك هذه الردود ، فابتداءً من منتصف اليلة ٦-٧
يوليو ١٩٧١ ، فإن الرئيس الامريكي سيتدخل بنفسه ليبدأ المحل
السلمي .

قلت له : على خيرة الله .. ما الذي فعله روجرز في اسرائيل ؟ ..
أجاب : تحدث اليهم ولكن عندهم بعض الشكوك .. على أي حال
انها ليست عندي تعليقات بأن أقول شيئاً في هذا الشأن .
وبعض السادات راويا :

« وانصرف .. وانتظرت .. مضى نصف الليلة ، وأنصف ليال
كثيرة وكثيرة جداً بعد ذلك ، ولكن لا حراك .. العكس حدث .. فقد
وقفت جولدا مائير في الكنيسة الاسرائيلي تلقن روجرز درساً عنيفاً
.. واستطاعت الدوائر الصهيونية ان تقضي على روجرز .. وبالفعل
عندما خرج من منصبه بعد ذلك ظل معزولاً عزلاً تاماً ،

أن كسينجر يتجاهل في كتابه هذه الواقعة الهامة تجاهلاً تاماً
ولم يورد لها أي ذكر ، لانها تسقط كل حججه في التشكيك في
سياسة أنور السادات .. الذي يطلب أكثر من مرة الاتصال المباشر
في كل ما يهم شئون مصر .. لان مصر ليست ذبلاً لحد .. ولن
تقبل ان يتحدث أحد باسمها ..

ولكن ما سجله الرئيس السادات في كتاب البحث عن الذات ،
يقول أنه - أي الرئيس - أبلغ بعد ذلك .. وبعد عودة العلاقات مع
أمريكا .. ان الرئيس نيكسون لم يكن على علم أبداً ، بسفر هذا
المبعوث باسمه الى القاهرة ، ولقاء السادات معه ..

ويلقى الرئيس السادات على ذلك بقوله : شيء غريب حقا ..
ليس كذلك ؟ ..

وانى لا أتصور الآن ، أن روجرز قد أخفى هذه الواقعة على الرئيس
نيكسون .. لأنها تؤيد وجهة نظره التي أبدعها فى أن المعاهدة
المصرية السوفيتية لن تغير من موقف السادات .. بل تزيده مرونة
ولكن من يدري لعل نيكسون علم .. وأخفى الواقعة عن
كسينجر .. أو لعل كسينجر علم .. وأخفى الواقعة فى سطور
كتابه .

● قرادات ١٦ يوليو ٧١

فى البيت الابيض

ولكن الواضح ، باعترافات كسينجر ، أن روجرز انتهز فرصة
غيبه كسينجر فى الصين واسيا .. واقترح ارسال سيسكو الى
اسرائيل فى محاولة جديدة .. وأن كسينجر علم وهو فى اسيا
بذلك ، وحذر الرئيس نيكسون .. الذى بحث الامر فى اجتماع
لمجلس الامن القومى فى ١٦ يوليو ..

وفى هذا الاجتماع تقرر ما يلى :

١ - نيكسون وافق على مزيد من الاسلحة الحديثة الى اسرائيل
رغم تدمره من الضغط اليهودى .. كما أيد كسينجر فى تحطيم أى
أجراء لتسوية أزمة الشرق الاوسط !

٢ - وزير الدفاع الأمريكى اعترض على تزويد اسرائيل بمزيد من
الطائرات المقاتلة .. واستطاع كسينجر بعد ذلك أن يسقط هذا
الاعتراض .

٣ - تحمس روجرز لزيارة سيسكو لاسرائيل .. وأخذ موافقة من
نيكسون على هذه الزيارة .. وكان طبيعيا أن اسرائيل كانت تعلم
بموقف كسينجر .. ومن ثم فشلت زيارة سيسكو لاسرائيل حتى
أنه لم يمر على القاهرة !

ويستطرد كسينجر فى اعترافاته فيقول ان نيكسون لجأ اليه
لكى يحتفظ بالموقف هادئا - أى تجميده - فى سنة الانتخابات ..
ولذلك فقد قرر كسينجر ان يستدرج السوفيت الى مباحثات طويلة
مطالعة ليس لها هدف .. الا التعتيل . ويحاول كسينجر بعد

ذلك التقاط أى شئ، يمكن ان يستفيد منه فى مهمة التعطيل والتجميد
٠٠ فاسقاط صاروخ مصرى (ارض - جو) لطائرة استطلاع
اسرائيلية غرب القناة عمل خطير ٠٠ وعاد الى لعبة ان مصر تحرك
قواعد الصواريخ ٠٠ وكل ذلك يعطى الفرصة لجلودا ماثري ان
تطالب بطائرات الفانتوم ٠٠ وتحصل عليها طبعاً ٠٠ وفى الوقت
نفسه يقلل من الامانى المصرية ويدعو القساهرة الى التراجع عن
تشدها فى الاصرار على انسحاب اسرائيل الكامل ٠٠ وهكذا يجرنا
الى الاستسلام .

كان هذا هو تفكير عبقرى البيت الابيض ٠٠

وبكل أسف اعتمد فى ذلك ، على تقدير صحيح ، بأن الاتحاد
السوفيتى سوف يتراجع ٠٠ وسوف يناصر فقط بالمطالب المصرية
٠٠ حتى يظهر باتفاق الوفاق ٠٠ وكان هذا تقديراً صحيحاً . ولكن
كسينجر لم يكن يريد أن يقتنع فى ذلك الوقت ، ان مصر ليست
« دلدولا » ، يتلقى الاوامر من موسكو .

ولما وصل الى علمه ان العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى تحتاز
أزمة ٠٠ سعد بذلك . فقد كان يتصور ان ذلك يعنى تجريد مصر
من كل قوة ٠٠ وسعيها لدى واشنطن مستسلمة رافعة أيديها ٠٠
ولكن أنور السادات قلب كل حسابات كسينجر رأساً على عقب ،
عندما فاجأ الأمريكيين ٠٠ وفاجأ الروس ٠٠ بقرار طرد الوجود
العسكرى السوفيتى من مصر ٠٠ وهذا ما سوف يتحدث عنه
كسينجر فى التعليق المقبل والاخير .

● سعى هيكل للقاء

سرى مع كسينجر

ولكن كسينجر قبل ذلك ، كان يتصور انه ممسك بزمام الموقف
من جميع نواحيه . ولم يكن يدرك حقيقة ما يدور فى مصر ، وفى
استراتيجية أنور السادات ٠٠ ولعل كسينجر قد تشجع على ذلك .
لانه وجد محمد حسنين هيكل ٠٠ يسمى الى أن يلقاه سرا . وطبعي
أن يتصور كسينجر ان القيادة المصرية هى التى تختفى وراء هذا
السعى ٠٠ وانها محاولة للتقرب الى أمريكا بأسلوب غير مباشر .
فصره هى « زبون » الاتحاد السوفيتى - فى وجهة نظره - ولكنها
فى الوقت نفسه تسمى الى كسينجر قبصر البيت الابيض .

ولكن كسينجر لم يكن يعلم ، أن هذا سعى شخصي من هيكل . لكي يكون له دور على المسرح . وكانت الفكرة لدى واشنطن منذ حكم عبد الناصر ، أن هيكل شريك في حكم مصر . و شريك في اتخاذ القرار . ولم تصل تقديراتهم الى أن أنور السادات شخص آخر . وطبيعة أخرى .

ولذلك ، فبعد أن عرض المرحوم على حمدي الجمال على كسينجر تدبير هذا اللقاء السري مع هيكل . على أساس أن على الجمال كان يعرف كسينجر عندما تلقى دورة دراسية في جامعة هارفارد وكان كسينجر أستاذا بها . ولذلك فإن هيكل تراجع عن الفكرة .

وقد تأكدت من أوثق المصادر أن القيادة السياسية المصرية لم تكن على علم بهذا المسمى من جانب هيكل حتى صدر كتاب كسينجر وكشف هذه الواقعة .

● اختراع نظرية « الامن » و « السيادة »

وانتهت كل الاعيب كسينجر ، بالوصول الى أهدافه . ففي ٢٠ ديسمبر ١٩٧١ زارت جولدا مائير امريكا . والتفت نيكسون وتم الاتفاق السري بينهما على أنه لا تسوية شاملة على الإطلاق . ولا بأس من أن يضيع سيسكو الوقت في اتصالات وهمية مع مصر واسرائيل . بشأن اتفاق جرنلي لن يتحقق . وتكون مهمة كسينجر في هذه الحالة . تمهيد الموقف في مباحثات تمثيلية مع دوبرينين سفير الاتحاد السوفيتي . فوق ذلك كله هدية جديدة لاسرائيل هي صفقة أسلحة جديدة (مجانية طبعاً) تدعم الترسانة الاسرائيلية . وهذا كله تنفيذ لاستراتيجية كسينجر ، واقتناع لمصر . بأنها لو دخلت حرباً مع اسرائيل ، فانها ستكون الخاسرة . ثم اخترع كسينجر نظرية الفصل بين الامن والسيادة . فلا مانع من الاعتراف الشكلي بسيادة مصر على أرضها اي حدودها الدولية - كما أعلن روجرز من قبل - ولكن يقابل هذا . السماح لاسرائيل بالاحتفاظ بسواحل « دفاعية » عسكرية داخل الارض المصرية في حزام متصل !

« وكلما طال الاجل » . في هذا التمهيد . كلما سيطرنا على موقف مصر ، كما تصور كسينجر ! فهو واثق . أن الزبون المصري للسوفيت ، لن ينتصر في حرب مع اسرائيل . كما هو واثق ان شن مصر للحرب يشكل مجازفة خطيرة بالنسبة للسوفيت لن يرضوا بها . وخاصة ان اتفاق « الوفاق » في الطريق . وفي

الاتصالات السرية المباشرة بين موسكو واشنطن . يمكن تدبير كل شيء . . حتى يرثدع أنور السادات . . ويرفع يديه مستسلما ! .

● كيف يصف السادات . . الموقف ؟

ويصف السادات الموقف بعد انقضاء عام ١٩٧١ في كتابه البحث عن الذات بقوله : بعد ان استطاعت جولدا مائير أن تمزق روح رورز . . حتى تراجع عن كل شيء :

« وليت رورز يقتصر على التراجع ، بل اننا نجده في أول سنة ١٩٧٢ يصرح بأن أمريكا قد اعطت إسرائيل معونات جديدة . دخلت معها في عمليات تصنيع ولن تكف عن بذل المعونة لها حتى تظل متفوقة عسكريا على العرب مجتمعين . . »

« وبعد تصريح رورز وبعد عدم استطاعتي تحقيق وعدى بأن سنة ١٩٧١ لابد ان تكون سنة الحسم اما سلما أو حربا بدأت أعاني الشكامة في العالم الخارجى . . وفي الداخل من عملاء السوفيت وبعض من ضللتهم الدعاية السوفيتية . . ومسلك أمريكا معى . . . فها هي سنة ١٩٧١ تنقضى دون اى حسم ما . . لقد تعمد الاتحاد السوفيتى ان يخذلنى بعدم ارسال العتاد الذى طلبته . وكانهم فى موسكو يريدون ان يقولوا لى انت لا تستطيع ان تقرر شيئا بدون اذن السوفيت . . وقد اعترف برجنيف بعد ذلك للمشير احمد اسماعيل عندما زار موسكو فى مارس ١٩٧٣ للمصالحة بأنه تعمد عدم ارسال الاسلحة . . »

ويضى السادات قائلا :

« وتستمر سخيرة عملاء الاتحاد السوفيتى ، وعملاء مراكز القوى عندى فى مصر عن سنة الحسم ، واضطر الى أن أكتفم آلامى ، وأخفى جروحي وأذهب الى مجلس الشعب فى فبراير ١٩٧٢ أدافع عن السوفيت رغم أنى مطمون فى ظهري منهم . . فقد زرت موسكو فى سنة واحدة اربع مرات اطلب العتاد ، والح فى المطلب . ولكن عبثا . . وفى نفس الخطاب أمام مجلس الشعب عمدت الى مهاجمة أمريكا ورورز باعنف ما يمكن للهجوم ان يكون . . وهكذا بدا فصل جديد من العلاقات السيئة بينى وبين أمريكا . . مواجهة عاتية كاملة . . »

ثم قال لنا السادات فى اجتماع مغلّق :

• خلاصة الموقف الآن ، حتى تكون الصحافة فى الصورة الكاملة للحقائق .

● لا مناص من المعركة .

● امريكا مؤمنة بأننا شعب غير مقاتل .. والاتحاد السوفيتى يتصور أننا نحتج به فى عدم القتال ..

● اسرائيل .. مغرورة ومعربة بنشوة النصر .

● العالم كله .. لا أحد يهتم بأحد اذا لم يكن قويا .

ثم قال السادات :

« ونحن الآن أمام اختبار .. امتحان من امتحانات القدر .. هل نكون أولا نكون ؟ .. أننى سأقضى أغلب وقنى فى الفترة المقبلة مع القوات المسلحة . وقد تألفت غرفة عمليات فى الداخل ، للربط بين الجبهة الداخلية وكل متطلبات المعركة . »

وختم حديثه لنا بقوله :

« أن ساعة العمل الجاد الخطير قد حانت .. وعلينا أن نتحمل مسئوليتنا أمام التاريخ والأجيال . »



ولكن كسينجر .. قيصر البيت الابيض - كما زاد ان يصور نفسه - كان فى عالم آخر .. غير عالم مصر .. وارادة مصر واصرار مصر .. واستراتيجية مصر . كان عالم القيصر محصورا فى أنسا مجرد « زبون » .. لموسكو .. ثم هزته المفاجآت بعد ذلك .

قرارات البيت الأبيض السرية في يوليو ١٩٧١

- قرر البيت الأبيض سرا ٠٠ في يوليو ١٩٧١ ٠٠ السلاح لإسرائيل وتحطيم أي إجراءات للسلام
- نيكسون طلب من كسينجر تجميع الموقف في عام الانتخابات ٠
- الاتفاق السري بين نيكسون وجولدا مائير ٠
- الاتحاد السوفيتي يتحدث عن وجوده العسكري في مصر وكانها ولاية سوفيتية ٠ لا رأي لها
- نيكسون يتدبر من ضغط اليهود ٠ ويفرق إسرائيل بالأسلحة ٠
- آخر اتفاق بين كسينجر وإسرائيل : سيادة شكلية لمصر على أراضيها مع وجود حزام عسكري لإسرائيل داخل أراضي مصر ٠

● الفصل الثالث عشر ●

قراءة البيت الأبيض السرية في يوليو ١٩٧١

كتب كسينجر :

أوضحت في مذكراتي إلى الرئيس نيكسون خلافاً مع روجرز . . . وقلت :

١ - أن الجيش المصري يعتمد على الدعم السوفيتي
٢ - أن السادات يعتمد في الوقت الراهن على جيشه .

٣ - أن السوفيت قد يكون لهم - بموجب معاهدة الصداقة - حق الاعتراض على المفاوضات المقبلة .
٤ - أن السوفيت سيكوبون هم المنتفعين من السوية .

ولا أستطيع أن أفهم ما إذا كان نيكسون قد وافق على تحويل أم على تحليل روجرز .

● ملاحظة من نيكسون

ولكن نيكسون أوضح أنه لا ينبغي التسرع بأي شيء في ذلك الوقت لزيادة شحنات الأسلحة لإسرائيل إلا في حالة محددة تتعلق بالمحافظة على ميزان القوى في المنطقة .

وذكر نيكسون نفس الشيء تقريباً في مؤتمر صحفي عقده في أول يونيو . كما في خطر مواجهة مع مصر وإسرائيل والانحدار السوفيتي في وقت واحد .

ولما لم أكن أعرف السادات ، فقد كان لابد أن أفسح أنه مازال يلعب لعبة عند الناصر .

وبالإضافة إلى ذلك فإن نفاذ صبر السادات أصبح واضحاً في تصريحاته المتكررة بأن سنة ١٩٧١ يجب أن تكون « سنة الحسم » في الشرق الأوسط . وكان لابد أن تقوم استراتيجيتنا على إحباط

اية سياسة مصرية تنبئ على التهديدات العسكرية والتواطؤ مع الاتحاد السوفيتي، ولذلك فان معاهدة الصداقة التي عقدها السادات مع السوفيت - ايا كانت دوافعها - لم تدفعنا الى التحرك لمساعدته بل على العكس فقد زادت من تصميمي على الابطال في العملية (يقصد عملية السلام او المفاوضات) أكثر من ذي قبل حتى أبرهن على أن التهديدات والمعاهدات السوفيتية لا يمكن أن تكون حاسمة .

● مصادفة غريبة !

ومع ذلك ، فقد ظلت وزارة الخارجية الامريكية تواقا الى المضي قدما . . . ففي اول يوليو ، وهو اليوم الذي سافرت فيه الى اسيا (وشملت الرحلة الصين) ، قام جوزيف سيسكو بجس نبض اسحاق رابين سفير اسرائيل في واشنطن فيما يتعلق بزيارة يقوم بها المسئول الامريكي لاسرائيل لبحث موضوع تسوية مرحلية . (من الصعب تصور ان هذه المبادرة الجديدة من جانب وزارة الخارجية حدثت بالمصادفة في نفس توقيت سفرى في رحلة اتفبب فيها ١٢ يوما بالخارج !) .

وبينما كنت في آسيا نجحت في اقناع الرئيس نيكسون بعدم اتخاذ اية قرارات أساسية تتعلق بالشرق الاوسط وتمطيل هذه القرارات مؤقتا لحين عودتى . وقد استخدم نيكسون حجة أنه وجه الدعوة لعقد اجتماع لمجلس الامن القومي الامريكي لبحث موضوع الشرق الاوسط في يوم ١٦ يوليو حتى يجعل اية مبادرات جديدة تنتظر بالضرورة هذا الموعد للاجتماع . وعندما عقد اجتماع ١٦ يوليو لمجلس الامن القومي ابدى نيكسون تدمره من اللوبي (مراكز الضغط) الموالي لاسرائيل ، كما اثار ملفين لبردوزير الدفاع اعتراضات على تزويد اسرائيل بالمزيد من الطائرات ، كما اعرب روجرز عن حماسه لفكرة قيام جوزيف سيسكو بزيارة اسرائيل . وفي نهاية الاجتماع ، وافق نيكسون على قيام سيسكو برحلته لكي يستطلع ما اذا كانت هناك اية مرونة في الموقف الاسرائيلي .

ولم يجد سيسكو اية مرونة . ولم تسفر رحلته الى اسرائيل الا عن نتيجة هزيلة الى حد أنه لم يجد سببا يدعو الى التوقف في القاهرة في طريق عودته الى الولايات المتحدة .

● حدث شئ جديد

وهنا . . . حدث شئ . بعد رحلتى الى الصين وانتهاء مسعى وزارة

الخارجية الامريكية نحو الوصول الى اتفاقية مرحلية . . فقد أصبحت جاهزا للقيام بنشاط عملي في دبلوماسية الشرق الاوسط لأول مرة والسبب الذي جعلني اشترك في النهاية في ممارسة دبلوماسية الشرق الاوسط هو ان نيكسون لم يكن يتصور انه يستطيع المخاطرة بوقوع ازمات تكرر بصفة دورية في الشرق الاوسط في سنة انتخابات رئاسته في الولايات المتحدة . ولذلك طلب مني التدخل في النزاع . . على الاقل لكي احافظ على بقاء الامور هادئة .

وكانت خطوتي الاولى هي استطلاع موقف السوفيت وما اذا كانوا يرغبون في الواقع في تخفيف مقترحاتهم - باسم مصر - بحيث تكون معتدلة . فاذا لم اجد لديهم هذه الرغبة . فقد عزمت على استدراجهم الى مفاوضات تستغرق فترة زمنية طويلة ولا تصل الى نتيجة . . الى ان يحدث أحد أمرين . اما ان يغيروا موقفهم او ان تغير احدى الدول العربية موقفها .

● شكاوى السوفيت

وكان السوفيت مازالوا يشكون من العمل الدبلوماسي الامريكي المنفرد في الشرق الاوسط . ولم تكن هذه الشكاوى تعكس غضب موسكو من ابقائها بعيدا عن هذا العمل الدبلوماسي بقدر ماتعكس الالفة من جانبها على تضخيم فشلنا في تحقيق أي تقدم .

وتعمدت كسب الوقت في محادثاتي مع السفير السوفيتي دوبرينين خلال النصف الاول من عام ١٩٧١ ثم طرحنا بعد ١٥ يوليو ١٩٧١ امكانية تعاون بين الدولتين الكبيرتين في الشرق الاوسط وذلك في رسالة مهدئة بعث بها نيكسون الى بريجنيف في الخامس من أغسطس وفلت لدوبرينين - لانه ليست عندي أية أفكار - ان اقترحنا بشأن هذا التعاون يعبر ببساطة عن استعدادنا بوجه عام لاجراء مفاوضات تتركز على أسس عريضة .

وكان رد بريجنيف على نيكسون في السابع من سبتمبر معبرا عن خيبة امله لاننا قطعنا من جانبنا المعاملات المباشرة التي كانت حارية من قبل مع موسكو حول الشرق الاوسط .

● قلق في اسرائيل

هذه العروض أو المبادرات السوفيتية جاءت متناقضة مع تصعيد النشاط العسكري السوفيتي في مصر . وعلى سبيل المثال . فقد

أسقطت اسرائيل في شهر سبتمبر طائرة سوفيتية فوق القناة ، كما دمر صاروخ مصرى ارض - جو طائرة استطلاع اسرائيلية وقامت مصر بتحريك بعض منصات صواريخها من طراز سام الى مسافة اقرب من خط النار . الامر الذى لم يكن لهحدث بدون موافقة وتعاون السوفيت .

وفي نفس الوقت ، كانت وزارة الخارجية الامريكية تلمح الى احتمال قيامنا بتأخير شحنات جديدة من الطائرات لاسرائيل ما لم تظهر اسرائيل مرونة اكبر .

ووجهت جولدا مائير رئيسة الوزارة الاسرائيلية رسالة الى نيكسون فى ١٧ سبتمبر تعرب ايضا عن « قلق خطير » ازاء توقف تسليم طائرات الفانتوم النفائة لاسرائيل فى وقت يتزايد فيه الوجود العسكري السوفيتى فى مصر .

● تخفيف الاتصالات

ويقول كيسنجر انه فكر بعد ذلك فى طريقة عمل جديدة اقترحها على نيكسون فى ٢٣ سبتمبر وخلاصتها :

ان مشكلة التسوية المؤقتة تكمن فى المحاولات الزائدة عن الحد التى بذلت من اجل التوصل اليها . وكانت الفكرة المبدئية بشأن هذه التسوية هى أن يقوم الجانبان ببساطة بتخفيف قواتهما على الجانبين ثم تفرعت الى اصرار السادات على تحريك قواته الى الممرات الرئيسية فى سيناء . ومن اجل تحقيق ذلك ، فان على الولايات المتحدة أن تلح على اسرائيل بنفس الشدة التى يتطلبها الوصول الى تسوية شاملة .

ويبدو لى الآن أن الامل الرئيسى هو التقليل من الامانى المصرية الى الحد الذى يجعل أى تغيرات مرتقبة بصورة واقعية فى موقف اسرائيل تصلح لتحقيق تفاهم . ونظرا لان المواقف الرسمية مكبله بأمانى اكبر . فقد تكون الوسيلة لتحقيق ذلك - اذا كانت هناك وسيلة ممكنة اصلا - هى من خلال مبادلات او اتصالات رسمية اقل . حتى نرى ما يمكن عمله .

وكان من أسباب حديثى عن « اتصالات رسمية اقل » ما سمعته من أن جروميكو سيقترح وضع قضية الشرق الاوسط فى قنائة الاتصال الخاصة معنا . وكان رأى أن هذه العملية ستكون بطيئة لان مشكلة الشرق الاوسط اصعب من مشكلة برلين .

ان ايجاد قناة اتصال خلفية تجرى من خلالها المفاوضات يتطلب اقامة صلة مع مصر .

وجرى حديث في ١٦ سبتمبر مع تلميذ سابق لي في «هارفارد» هو علي حمدي الجمال مدير صحيفة «الاصرام» القاهرية التي تتمتع ببيئة كبيرة . وحاول علي حمدي الجمال ترتيب عقد اجتماع «سرى بيني وبين رئيس تحرير صحيفته محمد هيكل موضع ثقة السادات» . ودعاني الجمال الى القاهرة . وطرح كبديل قبول عرض أحد رجال الأعمال بأن يستضيف في بيته اجتماعا يضمنا أنا وهيكل .

وهنا يكتب كيسنجر ملحوظة في هامش الكتاب يقول فيها أن هيكل صرف النظر بعد ذلك عن الدعوة وأن الاجتماع المقترح لم يعقد . . .

وفي أوائل شهر أكتوبر حثني اسحاق رابين أيضا على أن اشترك شخصيا في مفاوضات الاتفاق المرحلي . وأبلغني بشكل خاص بأن اسرائيل قد تكون أكثر مرونة في شروطها اذا اشتركت أنا في المفاوضات .

وأبلغت كلا من علي حمدي الجمال واسحاق رابين بأنني اذا قررت التدخل بالمشاركة فانه على كل من الحكومتين مواجهة القرارات الصعبة التي يتطلبها الموقف . وعلى مصر أن تتخلى عن شروطها المسبقة المتعلقة بالالتزام بالانسحاب الكامل وعلى اسرائيل أن تكون مستعدة لتقديم عرض معقول .

● استمرار التجميد

في ذلك الوقت كان الرئيس نيكسون نفسه يلح على فكرة مشاركة ايجابية أكبر من جانبي في العمل الدبلوماسي الأمريكي حول الشرق الاوسط حتى لو اقتصر الهدف من وراء هذا العمل على الابقاء على الامور هادئة لما بعد انتخابات عام ١٩٧٢ وذلك من أجل تقليل الاضرار . وعندما التقى جروميكو مع نيكسون في ٢٩ سبتمبر عام ١٩٧١ وافق نيكسون على اقتراح جروميكو بأن يتولى دوبرين وأنا القيام بدراسة جدية لقضايا الشرق الاوسط رغم أن هذه الموافقة لم تغفل الربط مرة أخرى بين الشرق الاوسط والتعاون السوفيتي في موضوع فيتنام .

● غموض الهدف النهائي

وزرت السفارة السوفيتية في مساء يوم ٣٠ سبتمبر لعقد اجتماع خاص مع جروميكو دام ساعتين . وتحدثت معه مرة أخرى



گرایسکی

جائزة للسلام بمناسبة بلوغه الخامسة والعشرين ..



گورد

اعتراض فی اجتماع بولیہ ۱۹۷۱
بالیٹ الابيض على تزويد اسرائيل
سلاح جديد .

عن مصاعب تسوية الشرق الاوسط في قناة الاتصال الخاصة لار
هذا الموضوع يختلف عن مشكلة برلين . فبالنسبة لبرلين كانت
كل الاطراف تريد الاتفاق .. وهو أمر يختلف عن الشرق الاوسط
وقلت أن المشكلة الحقيقية لا تتمثل في مسألة تفصله هي
انسحاب الاسرائيليين اربعين كيلو مترا من القناة أو عشرين كيلو
مترا من القناة ولكن انهم هو أن انسحابا اسرائيليا سيكون ثمرة
عالمية وممرى ، على مصر ما اذا كانت تريد مسائل جوهرية أو
مسائل نظرية . لذلك هذا مذبذبة الآن لانها على شكل
التي تسمى لها . لذلك إذا لم يكن الاتفاق الداعم له في البداية
وذلك يعني حصوله لتفصيل إلى هذه المسألة .
أما في تلك الوقت ، ساعة التي قد تطالت فإن تلك الاتفاقيات
تكون التي تعبر بالسياسة الخارجية لا بالأصغر في السياسة
في ذلك الوقت .

[illegible]

● شحاتر عمر جو جو

في نفس الجوهرية (باسم مصر) هذه النظره في تناول الموضوع
وكان مصر في الدول على الربط بين الاعاقه المرحله
والسوية النهائية بضربه محدده وبالمفصيل . وقال انه ليس
في المستطاع الاتفاق على مرحله اخرى قبل وضع نسويه نهائيه
وجداول زمني محدده . كما انه يجب . وفقا لما سمعته منه ، ابرام
التسويه النهائية في موعد لا يتجاوز السنه (وهذا قابل للمناقشه
والتفاوض) بعد اتمام الاتفاقية المرحليه . وكرر ان مصر متمسكه

بأن التسوية النهائية يجب أن تتضمن انسحابا إسرائيليا كاملا من الأراضي المحتلة في كل من الدول العربية . وبعبارة أخرى ، لن يوجد لدى إسرائيل الدافع لعقد اتفاقية مرحلية ولن يوجد لدينا نحن الحافظ على العمل المشترك مع موسكو .

● اقتراح بانسحاب سوفيتي

ولم تكن هناك أية علامة على رغبة الاتحاد السوفيتي في دفع زبائنه نحو اتخاذ موقف المرونة . ومع ذلك فإن جروميكو طرح على نيكسون خلال اجتماعهما في مكتب الرئيس الأمريكي اقتراحا كان في ظاهره تعديلا في الموقف السوفيتي العادي وهو التلويح ، عن بعد ، بما يفرض على جروميكو أن السوفيت سيكونون مستعدين لسحب قواتهم من الشرق الأوسط والانضمام الى حظر تصدير السلاح الى المنطقة والاشتراك في تقديم ضمانات التسوية . ولكن هذه المقترحات كانت ، كما هي العادة ، أقل مما يفرض . فقد كان لا يزال يطلب منا أن نرغم إسرائيل على قبول الحدود التي تعتبرها متعارضة مع أمنها . والانسحاب الموعود للقوات السوفيتية سوف يتحقق - وفقا للاقتراح - في نهاية العملية برمتها . وبعبارة أخرى ، فإن علينا أن ننفذ من جانبنا مساهمتنا بأكملها في هذا الترتيب قبل أن يضطر السوفيت الى عمل أي شيء . وحتى في هذه الحالة . . فإن السوفيت جعلوا انسحابهم من مصر مشروطا بانسحاب المستشارين الأمريكيين من إيران . وكل ذلك في وقت يهدد فيه السادات بحل القضية عن طريق الحرب خلال الفترة من ١٩٧١ الى ١٩٧٢ . (وكان ذلك أحد الأسباب التي دفعتنا الى الرد بقوة بالغة تجاه الهجوم الهندي على باكستان . فقد أردنا أن نتأكد من أن الاتحاد السوفيتي قد أدرك أن هجوما برعاية سوفيتية في الشرق الأوسط سيؤدي الى رد أكثر حدة) .

● روجرز يقلز ثانية

غير أن جروميكو أضاف من العناصر الجديدة ما يكفي لتنشيط المناقشات « الاستطلاعية » بين دوبرينين وبينني . وهذا بدوره يمكن أن يعطي للسوفيت الحافظ للبقاء على الشرق الأوسط هادئا خلال العام القادم (١٩٧٢) . وهي استراتيجية لن تكون نتيجتها الا زيادة الضجر المصري من السياسة السوفيتية . وكشف وإهام روجرز وزير الخارجية في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في أوائل شهر أكتوبر ١٩٧١ عن الأفكار الأمريكية التي تدور حول اتفاقية مرحلية كما اقترح إجراء « محادثات عن قرب » بين أمريكا ومصر وإسرائيل في نيويورك

ويقصد بها أن يقوم دبلوماسي أمريكي بجولات مكوكية بين الوفدين المصري والإسرائيلي اللذين يكونان في هذه الحالة ، نزيلين في غرف متجاورة في فندق بمدينة نيويورك .

ولا حاجة إلى القول أن كلا من مصر وإسرائيل لم تتوقع أن يؤدي هذا الاقتراح إلى أي نتيجة . ما دام لا يمكن التوفيق بين موقف أي جانب مع الجانب الآخر . وكان من المستبعد استدراج أي من الجانبين لتقديم تنازل عن طريق مفاوضات تركز على نشاط مغالي فيه إلى درجة مصطنعة . وشعر الإسرائيليون ، بوجه خاص ، بقلق من احتمال الإلحاح عليهم مرة أخرى للتجارب مع جهد دبلوماسي عقيم بدون تأكيدات أمريكية كافية تتعلق بامتدادات الأسلحة أو الهدف النهائي لهذا الجهد الدبلوماسي .

ولم تهدأ مخاوف إسرائيل بسبب زيارة السادات لموسكو في شهر أكتوبر وعودته ببيان يشتمل على تعهد ببذل جهود سوفيتية جديدة (لتدعيم) قوة مصر العسكرية . (وحتى روجرز تحرك للأعراب عن (الأسف) علنا تجاه هذا التمهيد) .

ومع نهاية عام ١٩٧١ . أدت الانقسامات داخل حكومتنا - تصميم وزارة الخارجية على متابعة جهد معين يستقطب قواها نحو أهداف لا يمكن بلوغها - وافتقار الاتحاد السوفيتي إلى موهبة الخيال . إلى حالة الجمود التي كنت أسمى للوصول إليها .

● الطريق المزدوج

في ديسمبر عام ١٩٧١ اقتنعت وزارة الخارجية الأمريكية نفسها بأن محاولات التسوية وصلت إلى طريق مسدود . وأن كل مايمكن عمله هو أن يتولى جوزيف سيسكو محاولة إجراء « المحادثات عن قرب » على أن تستمر المفاوضات بيني وبين السفير اسحق رابين وبينني وبين السفير دوبرينين . كما اتفقت جولدا مائير مع نيكسون في يوم ٢ ديسمبر على كل شيء . وأهم هذه الأشياء هو التخلي عن محاولة التوصل إلى تسوية شاملة . وهكذا تم إقرار قنوات للاتصالات بين السفراء على النحو الذي ذكرته أي . أن نقوم بممارسة أسلوب مزدوج لاتصالات ثنائي ثم مفاوضات عامة (في حالة إجراء المحادثات عن قرب) ولم تبق سوى مشكلة واحدة وهي أن المصريين . غائبون .

● المحادثات « عن قرب »

ولكنني لم أجد ما يدعو إلى العجلة .

ففي البداية كان على سيسكو ورايين في أوائل عام ١٩٧٢ تسوية الموضوع السنوي الخاص بالمونة العسكرية لإسرائيل

وذلك من أجل تفادى المشاحنات الدورية التي ترتبت على المحاولة غير المجدية لكبح جماح الطاقة العسكرية الاسرائيلية .

وكنا نخلص دائما الى منح اسرائيل ما تريد ولكن بعد منازعات سياسية في داخل أمريكا لا تساعد على تقدم المفاوضات وتحصل الحكومة تبدو عاجزة .

وفي النهاية . . بعد تسوية هذا الموضوع ، وافقت اسرائيل في أوائل فبراير على مشروع وزارة الخارجية الامريكية باجراء (محادثات عن قرب) . ورفضت مصر هذه الفكرة . وفي تلك الاثناء ، أردت أن أعرف ما يدور حقا في اذهان السوفيت . هل المفاوضات السوفيتية حول اتفاقية مرحلية تعبر عن خطوة لتغيير أسلوب التحرك الدبلوماسي القائم أو للبرهنة على تحيزنا المزعوم لاسرائيل ضد زبائنهم ؟

وقبل ذلك كله . . كانت حساباتي انه كلما طال أجل العملية . . سيطرنا على موقف مصر .

● نقطة القلب

وقد لخصت ورطة موسكو مرة أخرى في مذكرة للرئيس نيكسون قلت فيها ان زبونهم (يقصد مصر) لا يستطيع أن ينتصر في حرب مع الاسرائيليين . ولا مهرب بعد ذلك من موقفين : أما يقين العرب بأن تحالفهم مع الاتحاد السوفيتي غير كاف لتحقيق تسوية . . واما أن يشن المصريون حربا تفرض على السوفيت اتخاذ قرار بشأن الدعم العسكري وتشكل مجازفة - بالنسبة للسوفيت - لا تتناسب على الإطلاق مع أي شيء يمكن تحقيقه .

● محاولة عبور الفجوة

وقد اقترحت استراتيجية جديدة تقوم على محاولة عبور الفجوة بين اصرار اسرائيل على اجراء تغييرات في الحدود وبين مطالبات العرب بحدود عام ١٩٦٧ . وتقوم هذه المحاولة على فكرة الفصل بين موضوع الامن وموضوع السيادة . . ومعنى ذلك أن تستعيد مصر السيادة على سبئها كلها . . على أن يسمح لاسرائيل بالاحتفاظ بمراكز دفاعية معينة في حزام محدد على الارض المصرية . وقد ناقشت هذه الفكرة في القناة الخاصة مع الاسرائيليين . ووافق إسحق رابين وموشى ديان عليها . ومع بداية عام ١٩٧٢ كانت قد أقرت بعض المبادئ : فقد قالت اسرائيل أنها يمكن أن توافق على انسحاب الى الجانب الغربي من ممرات صميئيل مقابل وقف إطلاق نار متفق عليه يستمر حتى بداية عام ١٩٧٤ ، وتستطيع

مصر عبور قناة السويس برجال بوليس ولكن بدون قوات مسلحة
أما الربط بين هذه النقاط والتسوية النهائية فانه يظل غامضا .
ولا تتدخل اسرائيل فى إعادة فتح قناة السويس .

● موقف دوبرينين

فى تلك الاثناء ، كان الاتحاد السوفينى لا يزال يقف فى مكانه .
وفى فبراير عام ١٩٧٢ ، أشار دوبرينين الى ان موسكو قد ترغب
فى مناقشة فكرة الفصل بين الامن والسيادة . ولكن موسكو
تراجعت - كما فعل جروميكو قبل ذلك بأربعة أشهر - فور ان
أدرك أنها قد تكون مستعدين لبحث الموضوع بحديه . وأنا أعتقد
الآن أنه لم يكن هناك تعامل من أى نوع بينها وبين القاهرة .
وفى شهر مارس الح على دوبرينين لكى أضع صياغة لبرنامجنا
نحن - الأمريكين - للسلام يكون أكثر شمولا . وقال انه سيكون
من الأسهل على موسكو أن تستجيب لمقترحانا بدلا من أن تخرج
على الموقف العربى بمبادرة من جانبها هى . ومما لا شك فيه أن
هذا الذى قاله دوبرينين صحيح . وفى نفس الوقت ، كنا نعرف
بالفعل ما الذى سيكون عليه رد الفعل العربى لاية مقترحات مؤيدة
من جانب اسرائيل . فقد رفض العرب مثل هذه المقترحات علنا
بما فيه الكفاية . وإذا طرحنا موقفا يختلف عن موقف اسرائيل
فيما يسمى بالقناة الخاصة مع الاتحاد السوفيتى ، فإن موسكو
سوف تستخدم موقفنا لكى تبين مايمكن تحقيقه بمساعدتها وسوف
تعرض مرة أخرى لوابل من النيران تنصب علينا من كلا الجانبين
.. أما اذا تقدمنا عن طريق موسكو باقتراح مطابق لاقتراح
اسرائيل ، فإن موسكو سوف تستخدمه لكى تبين عدم جدوى
التعامل معنا .

● قطع المخابرات

وبعد أن بدأت هانوى هجوم عيد الفصح فى ٣٠ مارس ، قمت
بقطع المخابرات الخاصة عن الشرق الاوسط مع دوبرينين تمبرا
عن الاستياء ، ازاء شحنات الأسلحة السوفيتية التى جعلت الهجوم
الفيتنامى الشئامى ممكنا . ولم تستأنف الاتصالات بصدد الشرق
الاوسط الا عند زيارتى لموسكو فى الفترة من ٢٠ الى ٢٤ للاعداد
لمؤتمر القمة . وفى تلك المناسبة قدم جروميكو وثيقة تحتوى على
مشروع لتسوية شاملة يتضمن أكثر التفسيرات جمودا للتنازلات
التي قدمها فى نهاية العام السابق قال ان مفاوضات مصرية -
اسرائيلية منفصلة أمر مقبول ولكن اذا كانت ستلازمها تسوية

للقضايا الشاملة .. ومرة أخرى فانه بصرف النظر عن الوعود التي يقدمها السوفيت في هذه الوثيقة فانها لن توضع موضع التنفيذ ما لم يتم تنفيذ كل بند من بنود اتفاقية شاملة (وهي اتفاقية لن توقيعها اسرائيل أبدا بدون أقصى درجات الضغط الأمريكي) وواصل جروميكو اضعاف الاقتراح الذي سبق أن قدمه بانسحاب العسكريين السوفيت بحبح يجرده من قدر كبير من الاهمية .. فاولا .. لن ينفذ هذا الاقتراح لحين تحقيق تسوية شاملة (وبعبارة أخرى . بعد عملية ستكون في تقديرنا طويلة جدا بالتاكيد بحيث يكون الاتفاق على هذه الخطوة التي اقترحها لا معنى له تقريبا) .. وحتى في هذه الحالة فان القوات السوفيتية سستبقى في الدول العربية بنفس نسبة تواجد الامريكيين في ايران .

● تفاهم سري

ان الامر يتوقف على الكيفية التي احرثت بها هذه الحسابات أو جرى التفكير في نتائجها . غير أن معنى هذا الاقتراح في الواقع هو أنه لا يجب أن تحدث انسحابات على الإطلاق . وأبدى جروميكو روح المساعدة عندما عرض وسيلة تنخطى العقبسات المحنية في الولايات المتحدة . فقد اقترح أن نتفاوض عننا حول اتفاقية للفصل بين القوات على قناة السويس شريطة أن نوصل - هو وأنا - في نفس الوقت الى تفاهم سري حول بنود تسوية شاملة يكشف النقاب عنها وتنفذ على الفور عقب انتخابات الرئاسة الأمريكية في أواخر عام ١٩٧٢ .

ورغم ثقة أسطورية بالنفس وإخلاص للسرية .. فأنني لم أعتمد أن هذا الاقتراح يمكن تنفيذه .. وقوبل الاقتراح بالرفض . لقد تصرف الزعماء السوفيت كما لو كان وجودهم في العالم العربي .. دائما .. ويناور به الكرملين وفيما يشاء . وقبل ذلك (في ١٧ مارس) كنت قد أشرت لدوبرينين الى أن مركزهم ليس بهذا القدر من الروعة التي اعتاد أن يصوره بها .. فالسباسة الحالية للكرملين لا تكفل لزبائننا سوى الجمود أو الهزيمة في الحرب . ورد دوبرينين بقوله أن موسكو أيضا تملك اختيار زيادة وجودها العسكري في مصر زيادة كبيرة . ولكنني كنت أشك في ذلك ، لأنني كنت مقتنعا بأن موسكو لن تنصل الى حد اشارك قواتها فيما يمكن أن يتصاعد بسهولة الى مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة .

وفي فبراير عام ١٩٧٢ زار السادات موسكو .

كسينجر يخفي اعتذاراً أمام فلاح " ميت أبو الكوم "

(قيصر) البيت الابيض كسينجر . رسم كل
استراتيجيته لقتل كل مبادرات السلام . التي جاءت
من الرئيس السادات . أو من وزارة الخارجية
الامريكية على أساس واحد . وهو أن مصر ستجده
الى واشنطن متوسلة راکعة . لانها ليست أكثر من
(زبون) للاتحاد السوفيتي . (والقيصر) يريد
أن تحول الى (زبون) للولايات المتحدة الامريكية !
ومادامت مصر قد أصبحت « زبونا » لأمريكا . أي



مجرد طفل قاصر يبحث عن وصى عليه . فان فرضه للوصاية
على مصر . سيجعل السادات يقبل الشروط الاسرائيلية
وقد كانت شروط اسرائيل حينئذ ، انه لا شيء اسمه تسوية
شاملة ، وانه لا انسحاب على الاطلاق الى حدود ٦٧ (حدود مصر
الدولية) . وخفف كسينجر من هذا الشرط ، بان جعل الانسحاب
شكلياً الى حدود ٦٧ . مع ضرورة وجود عسكري اسرائيلي في سيناء .
يشكل حزاماً على مصر . أي بقاء القواعد العسكرية الاسرائيلية
. . . وبقاء المستوطنات . . . والزيادة عليها . . وهذا ما فجرته
عبقريته تحت اسم الفصل بين « الامن » و « السيادة » ! . أي
السيادة الشكلية لمصر على أرضها . . والاحتلال العسكري

الاسرائيلي لسيناء تحت ستار (الامن) ! ثم ليس هناك ما يدعو مصر الى ان تنجح الى الخيال ، وتطلب المستحيل ، وعلى مصر ان تكون واقعية .. بدلا من أن تسمح من البيت الابيض .. وعودا جوفاء يستحيل تحقيقها .. كما سمعت من روجرز وزير الخارجية من قبل . وقد نما الى علم كسينجر أن هناك خلافات بين أنور السادات والاتحاد السوفيتي .. وهذا سوف يعزز استراتيجيه كسينجر .. وفي الوقت نفسه لا مانع لديه من ان يقدم ، الطعم ، الى مصر ، باتصالات ومباحثات لا تجدى .. وذلك لقتل الوقت .. واستمرار تجميد الموقف في سنة الانتخابات الرئاسية في امريكا التي كانت تقلق نيكسون .. مع تذكير مصر بان ، العقل ، أجدى من طموحات ، والخيال ، التي لن تتحقق .. وهو يعزز موقفه المستأسد ، بمزبذ من الاسلحة لاسرائيل .. لكي يدعم موقفها .. ويدعم سياسته أيضا ، ويربح بالنيكسون ..

كسينجر يفهم الاتحاد السوفيتي تماما .. فهو القوة العظمى الثانية التي تجيد التراجع السريع أمام أمريكا اذا أظهرت أمريكا (العين الحمراء) .. ويؤيد ذلك تراجع السوفيت الكامل في مؤتمر قمة الوفاق في موسكو .. الذي وافقوا فيه دون أى ضغط أمريكي ، على تجميد الموقف في الشرق الاوسط والتعهد باستمرار حاله الاسترخاء العسكري .. كما أن الاتحاد السوفيتي لن يجروا على مواجهة عسكرية في الشرق الاوسط .. بعد أن دخلت أمريكا بكل قوة في حرب الهند وباكستان ، تأييدا لباكستان .. ولقنت الاتحاد السوفيتي درساً ، لابد أن يضعه في اعتباره اذا ما حاول أن يكرر الموقف في الشرق الاوسط تأييدا لمصر .. كما فعل تأييدا للهند ..

● السفيرة من خيبة السوفيت

وهو يقول ، ان السوفيت دفعوا الثمن غالبا في مصر وفي الشرق الاوسط .. بعد أن وافقوا على وضع الشرق الاوسط فوق الثلج في اجتماع قمة الوفاق ، .. كما يقول ساخرا من خيبة السوفيت .. انهم بنوا استراتيجيتهم على أن يكسبوا كل شيء .. تبعية مصر لهم .. مع الحد الأدنى من المخاطرة من جانبهم .. مع تحدثهم عن القضية العربية مطالبين بكل ما تطالب به مصر .. وكل هذه تناقضات في رأى كسينجر .. وهذا منطق سليم لأنه اذا كانت موسكو قد تصورت مصر تابعة

ذيلة تزمز فنتطبع .. فان ذلك لا يمكن ان يستمر اذا وجدت مصر
ان هذه القوة العظمى الامرة ، لا تريد ان تخاطر بشئ، من اجل
حقوق مصر .. حتى في مد مصر بالاسلحة الحديثة التي تدعم
مركزها التفاوضي .. ان لم تكن كافية لان تشن مصر حربا لتحرير
ارضها .. كما ان مجرد ترديد موسكو لمطالب مصر في الاتصالات
مع أمريكا ، لمجرد تسجيل المواقف فقط ، دون أى دعم حاسم من
الاتحاد السوفيتي .. هو لغو لا طائل منه ولا جدوى ..

ولكى يبرر كسينجر ان مصر ، سوف تتجه الى واشنطن ..
وهي عاقلة .. وهي تعرف انه لا جدوى من خرافات الانسحاب
الكامل .. والسيادة الكاملة على سيناء .. لكي يبرر كسينجر
نجاح سياسته ، فانه يقول ان مصر سمعت الى الاتصال بالبيت
الابيض ، عن طريق قناة سرية .. وان مصر اقترحت ان يزور
القاهرة اما كسينجر او ريتشارد هيلمز .. وفي المقابل يمكن ان
ياتي الى واشنطن حافظ اسماعيل مستشار الامن القومي للرئيس
السادات ..

ثم يقول كسينجر انه وافق على الفكرة .. وانه فضل ان ياتي
حافظ اسماعيل الى واشنطن معززا مكرما مرحبا به ..

● هذه الواقعة غير صحيحة

ونحن نسمح لانفسنا ان نقول لقيصر البيت الابيض ، ان هذه
الواقعة غير صحيحة جملة وتفصيلا .. ونقول ذلك استنادا الى اعلى
مصدر رسمي عليم بكل اسرار الاتصالات التي جرت في ذلك العام
(١٩٧٢) .. ان مصر لم تطلب ذلك .. وان العرض ، بان
يزور حافظ اسماعيل واشنطن .. ويجتمع بكسينجر جاء من البيت
الابيض الامريكي ، عن طريق قنوات الاتصال العادية .. وان مصر
وافقت على هذا العرض بتحتفظت بسجلها كسينجر في كتابه ..
لان مصر اشترطت ، ان يكون هناك جدوى من هذا الاجتماع .. وان
يكون لدى أمريكا شئ، جديد تقدمه .. فليس الامر هو مجرد
اجتماع ، جرى مثله من قبل اجتماعات عديدة .. مع روجرز
وسيسكو .. وممثل المصالح الامريكية في مصر .. وكلها انتهت
الى حلقة مفرغة من المراوغات الامريكية .. كما ان خطابات عديدة
رسمية تم تبادلها بين الرئيس السادات والرئيس نيكسون ..
فليس الاتصال اذن بجديد بين القاهرة وواشنطن .. وليس هو
سرا من الاسرار ، يحتاج الى قناة سرية جديدة ..

ولكن كسينجر يريد دائما كما هو ملحوظ في كل مسطوره ، ان يصور نفسه وكأنه محرك كل الخيوط ..
ثم هو تناقض مع نفسه حين يقول ان السادات لم يرد على رسالة البيت الابيض اليه في ٢٩ يوليو ١٩٧٢ عن المباحثات المقترحة مع حافظ اسماعيل .. الا في ٤ سبتمبر حين قال انه لا يزال يدرس الموقف ، وان كان قد وافق على اجراء المباحثات من حيث المبدأ .. وان السادات سيطلب ايضا حديدية بعد أيام .. بل ان كسينجر يعترف ايضا ان البيت الابيض تلقى من القاهرة في ٧ سبتمبر ١٩٧٢ رسالة مطولة تؤكد على حقائق أربع :
١ - ان طرد الخبراء والمستشارين السوفيت قرار وطني محض
٢ - ان هذا القرار لم يتخذ لارضاء اى أحد ، او لاثارة غضب اى أحد .

٣ - خيبة أمل مصر في موقف أمريكا من اسرائيل .. ومن النفوذ الاسرائيلي على أمريكا .
٤ - خيبة أمل مصر في كل الاتصالات التي جرت مع أمريكا .

● فصاحة كسينجر عن الامر الواقع

ان كسينجر في كل تقديراته ، لم يضع في اعتباره ، التقدير الاول الصحيح .. وهو ان السادات ، لن يكون لعبة في يد أمريكا .. كما انه ليس لعبة في يد السوفيت .. وان كل هذه المزاوغات اللغزية من كسينجر ، لم تكن تنطلق على رئيس مصر .. وان فصاحة كسينجر وبلاغته في رسائله حول « الواقعية » وانه لا جدوى من « ان تعطى أمريكا وعدا جوهيا » .. كل هذه الفصاحة والبلاغة ، التي بناها كسينجر على أساس واحد ، هو ان مصر جثة هامدة .. وانها لن تستطيع ان تحارب .. بسبب قصور الدعم العسكري السوفيتي .. وانها اذا حاربت فهي الخاسرة تماما بغير جدال .. كل هذه الفصاحة والبلاغة لم تكن بقيادة على خداع فلاح ميت أبو الكوم الذي طرد ١٥ ألف عسكري سوفيتي من مصر في ساعات !
وقبل ان استطرد في موضوع لقاء حافظ اسماعيل مع كسينجر .. أجد لزاما ان اتناول موضوع طرد العسكريين السوفيت من مصر .. الذي « دوخ » عقل كسينجر .

لقد كان السوفيت يتصورون ان السادات عقد صفقة سرية مع أمريكا ، نفذ أحد بنودها وهو انتهاء الوجود العسكري السوفيتي .. وكان البيت الابيض الأمريكي يتصور ان السادات « زبون » الاتحاد السوفيتي .. قد وقع في فخ « تجميد » الشرق الاوسط ،

كما تم الاتفاق على ذلك في مؤتمر الوفاق .. وليست خطابات السادات الملتزمة بالهجوم على أمريكا .. الا تعبيرا عن أن مصر زبون قلق من الجهة التي تتسولى حمايتها ، ! وهذا نص كلمات كسينجر ..

ثم تأكد السوفيت بعد ذلك تماما ، أن قرار السادات بطرد عسكرهم ، من مصر .. كان قرارا مصريا خالصا .. وكان مفاجأة لأمريكا .. ولذلك فإن موسكو - وبغض شديد - أرادت أن تصور لأمريكا ، أنهم نفذوا وعدهم السابق لواشنطن بأنهم على استعداد للانسحاب العسكرى من مصر ! .. هكذا كتب بريجنيف الى نيكسون بعد أن تأكد أن أمريكا لم تكن تعلم ! .. وسخر كسينجر من هذه الرسالة طبعاً .. لأن كلمات السوفيت للأمريكيين عن انسحابهم العسكرى من مصر .. كانت بشرط أن ينسحب الأمريكيون عسكريا من إيران .. بل كانت مشفوعة بتأكيدات من دو برينين السفير السوفيتى فى أمريكا .. بأن الاتحاد السوفيتى يستطيع زيادة وجوده العسكرى فى مصر كما يشاء !

● حملة ارهاب نفسى من موسكو

وبعد هذا التأكد من السوفيت .. بدأوا الاتصال بأنور السادات .. وكانت ، الوقفة ، مع الصديق كما وصفها أنور السادات حينئذ .. وكانت رحلات عزيز صدقى الى موسكو .. ثم المشير أحمد اسماعيل قبل حرب اكتوبر التى فاجأت الجميع .. وكان الاتفاق على قدر جديد من التسليح ، كان السوفيت متأكدين أنه لن يشجع مصر على المقاومة بالحرب .. ولكنه سوف يصحح موقف السوفيت فى الشرق الاوسط بعد فضيحة ، الاسترخاء العسكرى ، .. و ، التجميد ، فى مؤتمر قمة وفاقهم مع واشنطن .. وكان السوفيت قد شنوا قبل ذلك حملة ارهاب نفسى فى العواصم الشيوعية ، وغيرها ، بأن مصر لن تعارب ، ولا تريد الحرب ، وانها طلبت من الاتحاد السوفيتى أن يحارب معركتها .. وهذا هو السبب فى الموقف المصرى .. الى آخر هذه الترهات السوفيتية .. التى انتهت بحقيقة أدركوها ، وهى أنهم يجب أن يحسنوا صورتهم أمام مصر والعرب .. وأن السادات ليس هو ، التابع ، الذى تفرض عليه الوصاية .. وهكذا كانت تتطور العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى ، وخاصة بعد خطاب أنور السادات المشهور الى بريجنيف فى أغسطس ١٩٧٢ ، الذى وضع فيه كل النقط على كل الحروف ، عن قصور

السلاح السوفيتي وقتله ، وتخلفه عن السلاح الامريكى فى اسرائيل
.. وتعمد السوفيت امدادنا بالقليل الذى يجعلنا عشرين خطوة
وراء اسرائيل ..

● اعترافات .. واعتذارات .. وخيبة أمل

ولكن ماذا كان موقف امريكا من قرار طرد الوجود العسكري
السوفيتي من مصر ؟ ..
اولا .. يعترف كسينجر بأن امريكا فوجئت بهذا القرار مفاجأة
مذهلة .. ويسجل فى كتابه « وجاء القرار مفاجأة كاملة ل واشنطن .
فى ذلك اليوم كنت فى طريقى الى باريس لحضور اجتماع سرى
مع الفيتناميين الشماليين » ..
ثم يقول بفرور « ولاشك أن استراتيجيتى كانت تسمى لاقتناع
القاهرة بتخفيف اعتمادها على الاتحاد السوفيتي . وكنت أتوقع أنه
عند لحظة معينة على الطريق سيكون السادات مستعدا لأن يعرض
مقايضة الانسحاب السوفيتي باحراز تقدم معنا » ..
وهذا ليس بصحيح ، الصحيح ما رددته كسينجر حينئذ لاكثر
من شخصية عربية وأجنبية حين قال انه مندهش أن يتخذ
السادات هذه الخطوة التى لم تكن تتوقعها على الاطلاق .. دون
أن يساوم عليها معنا سرا .. مقابل احراز تقدم فى مباحثات
السلام تقدمه امريكا ، .

ولكن كسينجر يعود فى كتابه ليعترف بالحقيقة ويقول :
« ولكننى .. نظرا لأننى كنت من ناحيتى لا أزال معوقا بالتقليل
من تقدير شخصية الرئيس المصرى ، لم أتكهن أبدا أنه سوف يتخذ
مثل هذا القرار ، بخطوة واحدة ضخمة ومهينة ومن جانب واحد ،
وتصور كسينجر فى بادى الامر أنه قرار متسرع .. ثم عاد
اليه فكره بأن السادات بهذه الخطوة ، حسن من اختياراته
العسكرية فى السنة التالية (١٩٧٣) .. وأنه رد ردا سياسيا
على خيبة أمل المصريين فى الداخل من الاتحاد السوفيتي .. وأنه
أنقذ القضية من « التجديد » .. ثم يقول كسينجر ان السادات
قدم اغراءا للولايات المتحدة ، بأنه استطاع أن يقلم أطراف العلاقة
السوفيتية ..

وإذا كانت استنتاجات كسينجر الاولى فيها شيء من الصحة ..
فإن استنتاجه الاخير .. استنتاج خائب .. لأن كسينجر لم يكن
يستطيع أن يفهم أو يدرك ، أن السادات قد يشس من الروس ..
ومن الامريكان معا .. وان قراره بدخول الحرب قرار لا رجعة

فيه .. وان وجود عسكريين سوفيت على أرض مصر .. سيمنع من تنفيذ قرار الحرب .

هذا ما لم يحل على خاطر « قيصر » البيت الأبيض .. لأنه كان على يقين .. بأن مصر ستتلاشى في ساعات . وإذا أقدمت على مغامرة الحرب ضد الاحتلال الإسرائيلي .

ولذلك فقد استمر كسينجر يراوغ على أساسه السابق وهو أن السادات زبون قلبي .. من الجبهة التي تتولى حمايته ..

ويعتذر كسينجر عن خيبة تقديراته بقوله بالنص : « وفيما بعد عرفت السادات . كواحد من الزعماء البارزين القلائل بحق .. الذين التقيت بهم . انه يمتلك موهبة تجمع بين نفاذ البصيرة والشجاعة .. وهي الموهبة التي لا يتمتع بها سوى سياسى عظيم . لقد كانت لديه الجرأة لأن يدخل حربا لم يكن أحد يتصور أنه يمكن أن يقوى عليها .. كما أنه يتصف بالاعتدال الذي يجعله يتحرك نحو السلام بعد ذلك مباشرة .. كما أن لديه الحكمة التي تجعله ينحرك في الاتجاه المعاكس لمواقف جمدتها عشرات السنين . »
ثم يقول كسينجر « فى عام ١٩٧٢ لم يكن أى شئ من ذلك واضحا بالنسبة لى . »

ثم يعتذر كسينجر مرة أخرى . ليرز خيبة تقديراته . فيقول :
« لم يكن لدينا حوار منتظم مع السادات . ولم يحاول أحد من مبعوثينا أن ينفذ الى ما وراء الأسلوب الجذاب الذى يتحلى به لكى يكتشف .. كيف يفكر السادات حقا . »

● « الطعم » المخادع الذى القاه كسينجر

ولذلك وبفهمه الخاطي، الخائب لشخصية السادات .. استمر كسينجر فى مراوغاته .. وتصور أن الطعم الذى القاه بعرضه الاستعداد لاستقبال شخصية مصرية على مستوى عال .. سوف يخدع السادات .. ولم يرد السادات بسرعة .. وتباطأ .. وأخيرا وافق بشرط أن يكون لدى أمريكا جديد تقدمه فى هذه المباحثات .. ثم تحدد موعد اللقاء فى باريس بين كسينجر وحافظ اسماعيل فى فبراير عام ١٩٧٣ .. أى استغرق الاخذ والرد شهورا .. ويعلل كسينجر ذلك ، أنه بسبب انشغاله فى مباحثات فيتنام .. ولكن الحقيقة كما تبدو ، أنه كان يتصور أنه يقوض نفسية السادات الذى تأزمت علاقته مع الروس .. فليس أمامه الا أبواب واشنطن لحل سلمى جزئى ، دون تفكير فى اتفاق شامل يتضمن الانسحاب الكامل .. أى الانسلاخ لكل مطالب إسرائيل .

وتم اللقاء .. ولم يذكر كسينجر في كتابه شيئا عما جرى في هذا اللقاء مع حافظ اسماعيل في فبراير ١٩٧٣ ثم لقاء آخر في أبريل ٧٣ .. ولكن أنور السادات يوضح لنا الحقائق في كتابه ، البحث عن الذات ، حين يقول :

« طبعا أصيب الأمريكان بذهول يوم ١٦ يوليو ١٩٧٢ عندما اتخذت قرار الاستغناء عن الخبراء السوفيت ، ولكنهم حاولوا جهد طاقتهم ألا يأخذ القرار مكانه في أعلامهم .. فالوفاق بدأ .. وكان نيكسون قد زار موسكو في مايو ١٩٧٢ أى قبل شهرين فقط من قرارى بالاستغناء عن الخبراء السوفيت .. فكانما كانت مؤامرة صمت » ..

ونلاحظ هنا أن كسينجر لم يشر من قريب أو بعيد الى مؤامرة الصمت هذه التي فرضوها على الاعلام الأمريكى .. لأن اخراج « العسكر » السوفيت من مصر ، يسقط كل حلم اسرائيل . بأنها سوف تحارب الاتحاد السوفيتى .. ولذلك تدفق عليها السلاح .. ويسقط كل حجج كسينجر ، بأن أمريكا يجب أن تخيف الاتحاد السوفيتى .. بترسانة الاسلحة الأمريكية فى اسرائيل .. حتى لا يشجع مصر على الحرب .. وقد استجاب الاتحاد السوفيتى تماما . لهذا القرار الأمريكى .
ثم يقول السادات في كتابه :

« ولكن يخطئ من يظن انى اتخذت قرار طرد الخبراء السوفيت ، لارضاء أمريكا أو أية جهة أخرى .. لقد كان قرارا وطنيا سعد به شعب مصر كل السعادة ، فهو قرارى ، وقرار شعبى وحده ، وكان هجومى على روجرز وأمريكا لما لقيته من سلوك من جانبهم لا يقل عنفا عما وجهته للسوفيت وأنا اطرذ خبراءهم » ..

● الموقف فى الداخل والخارج

وهنا أسمح لنفسي أن أضيف صورة عاجلة عن هذه الفترة فأقول أن صحف الغرب الموالية للصهيونية ، استغفلت هذا القرار . وأكدت بأن هذا يعنى تماما أن أنور السادات فقد حليفه الوحيد .. وأنه لن يكون قادرا على الحرب .. وتوقعت مقالات عديدة من كتابهم ، انهيار حكم السادات من الداخل . وبعد أن كانت اسرائيل تصرخ ، بأنها سوف تحارب جيشا سوفيتيا فى مصر .. أصبحت تقول .. أن هذا يعنى أن مصر أصبحت عاجزة عن القتال تماما .. وأنطلقت اسرائيل فى سياسة المربدة ..



خالف اسماعيل
كتب كسينجر في مذكراته عن الاتصالات
التي سبقت لقاءه بخالف اسماعيل ..
ولكنه لم يذكر شيئا عما تم في هذا اللقاء.

كما ان اليسار المتطرف المحلي والعربي كان مقتنعا بأن هذه الخطوة
تمت بالاتفاق مع أمريكا .. وتضاعف التجهج على أنور السادات .

ثم بدأ - حينئذ - نقد غريب للقرار من العناصر اليسارية . اتخذ
أسلوبا ذكيا لا يكشف عن خلفياته .. النقد يقول .. كان يجب على
السادات قبل أن يتخذ القرار ، أن يعرف ماذا سيكون المقابل الذي
سيجنيه من أمريكا .. كانت هذه العناصر اليسارية تردّد وجهة نظر
كسينجر ! وكان موقف الصحفيين السوفيت الذين كنا نلتقي بهم
وكانوا طبعا يعبرون عن الرأي الرسمي - يتبلور في عدة أسئلة
يوجهونها ..

- أيهما أفضل للدفاع عن مصر . ضد أي عدوان إسرائيلي محتمل
.. أن تكون على أرضكم قوات سوفيتية .. أو بدونها ؟ ..

- أيهما أفضل اذا كنتم تستعدون للحرب فعلا .. أن تفيّدوا من
خبرة الخبراء .. أو تفقدوها ؟

- انكم تتحدّثون عن الحرب . ولكنكم لا تريدون الحرب . وأنتم
تريدون أن تبرروا ذلك بعدم حصولكم على الاسلحة من السوفيت ..
ان ما لديكم يكفي للقتال . اذا كنتم تريدون فعلا القتال ..

واذا كنتم تريدون القتال حقا . فيجب أولا أن تتحقق وحدة عربية

•• ويجب أن تكون لديكم قاعدة اقتصادية قادرة على الحرب •• ويجب أن تكملوا الاستعدادات الداخلية •• نقل الآثار •• تجهيز المستشفيات •• اعداد الدم •• التدريب على الدفاع المدني •• أن تميش أجهزة اعلامكم جو الاعداد للقتال •• ولكنكم لا تفعلون شيئا من كل هذا •• وتكتفون بالحديث عن الحرب •

● انتم مهزومون •• وحذار من الحرب

وأعود الى القول •• أن كل الاطراف •• فى موسكو وواشنطن وتل أبيب قد اقتنعوا تماما ، أن السادات لن يعارب • وهذه هى براعة السادات السياسية ••

وإذا سجلت كلماته بعد ذلك فى كتابه عن لقاءى كسينجر بحافظ اسماعيل •• فأننى متأكد أكثر وأكثر •• أن عبقري البيت الأبيض وقصره ومحرك خيوط سياساته ، كان أول الخائبيين فى استكشاف حقيقة الاستراتيجية المصرية ••

يقول السادات :

- كانت حصيلة كلام كسينجر أن الذى فعله روجرز كان بغير مساندة الرئيس الأمريكى ولذلك لم يتم شىء • ولكن الرئيس الأمريكى الآن مستعد للتعاون من أجل السلام • قال له حافظ اسماعيل أن مبادرتنا مازالت قائمة ، رغم تحدى روجرز وزير الخارجية الأمريكى لنا فى يناير ١٩٧٢ •

فرد كسينجر قائلا : - « قل للرئيس السادات رغم أننى لا أعرفه شخصيا أن تقديرنا له الذى بنى على تقرير مندوب أمريكا فى جنازة عبد الناصر كان خاطئا • بل أن الحقائق كلها تشير الى عكس ما جاء فى هذا التقرير • فقد رأيناه يتقدم بمبادرة سلام ، ثم رأيناه وهو يتخذ قرار طرد الخبراء السوفيت • وهذه مسائل لافتة للنظر • »

•• والى هنا والكلام جميل •• ولكنه مخادع •• لان كسينجر كشف عن أنيابه حين قال بعد ذلك لحافظ اسماعيل ، كما يسجل كتاب السادات •

- •• ولكن نصيحتى للسادات أن يكون واقميا •• فنحن نعيش فى عالم الواقع ولا نستطيع أن نبني شيئا على الامانى والتخيلات •• والواقع أنكم مهزومون ، فلا تطلبوا ما يطلبه المنتصر •• لا بد أن تكون هناك بعض التنازلات من جانبكم حتى تستطيع أمريكا أن تساعدكم •

ويستمر كسينجر في نصيحته :

- ٠٠ فكيف يتسنى وأنتم في موقف المهزوم أن تملوا شروطكم على الطرف الآخر ٠٠ أما أن تغربوا الواقع الذي تعيشونه ، فيتغير بالتبعية تناولنا للحل ، وأما أنكم لا تستطيعون ، وفي هذه الحالة لابد من إيجاد حلول تتناسب مع موقفكم غير الحلول التي تعرضونها . وأرجو أن يكون معنى ما أقول واضحا . فلست أدعو السادات إطلاقا الى تغيير الوضع العسكري ، فلو أنه حاول هذا فسوف تنتصر اسرائيل مرة أخرى بأشد مما انتصرت في سنة ١٩٦٧ ، وفي هذه الحالة يصعب علينا أن نفعل أى شئ ، وسوف تكون هذه خسارة كبيرة لمصر وللسادات شخصيا وهو رجل أحب أن أتعامل معه في يوم ما ٠٠ فأنا شديد الإعجاب به لمواقفه وشجاعته الواضحة ولأنه إنسان لأول مرة في هذه المنطقة يضع كل شئ في مكانه بأسلوب علمي سليم . ويتخذ خطأ جديدا لم يتخذه أى زعيم عربى من قبله .



وكلام كسينجر لحافظ اسماعيل واضح كل الوضوح لا يحتاج الى تعليق ٠٠ وهو يقدم دليلا جديدا ٠٠ على أن كسينجر كان يتصور أن السادات في مأزق الاستسلام ٠٠٠

وقد زاد اقتناع كسينجر بعد ذلك بنظرته الخائبة ، حينما التقى أبا ايابان وزير خارجية اسرائيل حينئذ قبيل حرب أكتوبر بيوم أو يومين اذا لم تخنى الذاكرة ٠٠ وتحدث معه في شأن بدء محاولات جديدة . مع مصر لانسحاب جزئى محدود وفقا لشروط اسرائيل ٠٠ حتى هذا لم يقبله أبا ايابان ٠٠

وقال كسينجر : اتركوا لنا مصر ٠٠ ولا شأن لكم بها ٠٠ ان مصر ستبقى هكذا جثة هامدة خمسين عاما ٠٠

ولعل كسينجر قد اسراح لهذا التقدير ، الذى يتفق مع حساباته ٠٠ فمصر هالكة اذا حاربت ٠٠ ومصر مغلوب على أمرها اذا لم تحارب ٠٠ وعليها اذن أن تجلس الى مائدة مفاوضات ، بمنطق المهزوم .



ولكن كسينجر أصيب بالذهول في اليوم الرابع لحرب أكتوبر ٠٠ عندما هزت أرجاء البيت الأبيض صرخات جولدا مائير ، أنقذوا اسرائيل ٠٠ وعندما تلقى البيت الأبيض أن اسرائيل خسرت في

ثلاثة أيام على الجبهة المصرية ٤٠٠ دبابة مطلوب ارسالها فوراً من أمريكا لإسرائيل !



ان اعتذرات كسينجر في كتابه المتكررة . بأنه لم يفهم شخصية أنور السادات وأبعاد زعامته .. لا تكفي . ان هذا الرجل هو المسئول أمام التاريخ .. مع التقاعس السوفيتي .. عن الدماء ، التي أهرقت في حرب أكتوبر .. ان سوء تقديراته هيات له ان الاستسلام هو طريقنا الوحيد . وسوء تقديرات زعماء الاتحاد السوفيتي هيات لهم .. ان مصر يجب ان تستمر « عزبة » من ضياع موسكو .. وأن تجميد الموقف يجب ان يفرض عليها .. كان طريق السلام الحقيقي مفتوحاً أمام الجميع ..

ولكن الفرور ، والغباء السياسي ، وأطماع القوى العظمى ، وصلافة إسرائيل .. كلها أدت الى قرار الحرب .. والى الزلزال في إسرائيل . ولكننا - وبكل الأسف - في عالم لا يقتنع الا بمنطق القوة .. ولكننا ايضاً - وبكل الفخار - عرفنا كيف نقع العالم بمنطق السلام .. من موقع القوة . وفي قمة انتصارنا في السادس عشر من أكتوبر .. فاجأت مصر المفطرة .. العالم كله .. بأنها تمد يد السلام .

● تحية عسكرية لقائد مصر

بقي خبر للتاريخ لا بد ان أسجله .. بعد ان أصدر الرئيس السادات قرار طرد « العسكر » السوفيت من مصر .. ألتقى قائد الجيش اليوغوسلافي بمسئول مصري في بلغراد .. وأدى هذا القائد التحية العسكرية ، وقال للمسئول المصري . - أرجوك ان تبلغ الرئيس السادات أنني أعظمه بالتحية العسكرية لهذا القرار الوطني الشجاع .



ونعود الى قولنا المكرر .. لولا طرد « العسكر » السوفيت .. لما كانت هناك حرب أكتوبر .. ولولا حرب أكتوبر لما كان هناك سلام .. ولولا السلام .. لما تكشفت أمام العالم كله . تفاحات . وهياقات ، وأمعات ، وأباطرة .. يفتصبون مقاعد الحكم . لغير الشعوب في بغداد ودمشق وطرابلس .. أفيقوا .. يا سكارى السلطة والسلطان .

كيف فوجئنا من السادات بقراره طرد الخبراء السوفيت من مصر ؟

● كل تقدير اثنى لشخصية السادات كانت خاطئة
لأننى لم أدرك عظمة هذا الزعيم العالمى .

● بريجنيف يبلغ نيكسون ان خروج الخبراء
السوفيت من مصر ، هو تنفيذ لوعده سابق من موسكو
للبيت الابيض ؟!

● خطابات من كسينجر للقاهرة قبل لقاء حافظ
اسماعيل .. للمراوغة والتأجيل وطلب النظرة
الواقعية .

● فلسفة السادات فى الاستراتيجية السياسية
.. هى نفس فلسفة الزعيم الصينى شواين لاي .

● الفصل الرابع عشر

كيف فوجئنا من الساراة بقرار طرده الخبز السوفيت من مصر ؟

كتب كسينجر :



الاسماء : لا يسر علي ما يرام بين مصر والاتحاد
السوفيتي . وهي . . . من إبريل . . .
كتاب عن المفع بعد . . . علي نيكسون . . .
العلاقة السوفيتية - المصرية اكبر بحفظ . . .
عنده في وقت عبدالناصر . . . وأن هذه صاعقة . . .
وقد فيها أن السادات طلب أسلحة . . .
ديبلوماسية وعسكريا سوفيتي بحجم يتسبب في قدمه
السوفيت إلى الهند أثناء نزاعها مع باكستان بما
في ذلك المساعدة في تمكين مصر من بناء صناعتها الحربية وقد
نلقي تأكيدات بشأن أسلحة ولكنه لم يلق شيكا على بياض فيما يتعلق
بالدعم الدبلوماسي أو العسكري .

وكانت مصر تضغط علي موسكو ، ولكن حسابات موسكو الواضحة
كانت - كما كنا نأمل - أنه بطرانا ولنا وصلنا إلى حافة الحرب بسبب
باكستان وأن نحدي بقاء إسرائيل سيخلق - للسوفيت - مخاطر
لا يحسن السيطرة عليها . كما أن الكرملين لم يكن يرى مفعلة من إقامة
صناعة حربية في مصر حكن أن يؤدي إلى تقليل اعتماد القاهرة على
الإمدادات السوفيتية بدرجة كبيرة .

● فن الممكن

وابلغت نيكسون أن اطاعى هو أن السوفيت ينجنبون انحاء

موقف ودى تجاه السادات خوفا من مخاطر دعم شامل له وترقباً لمعادناتى مع دوبرينين
وكما جرت العادة ٠٠ فقد أرادوا كل شيء : تبعية مصر - الحد الأدنى من المخاطرة - البرنامج العربى الكامل للتسوية ولكن ٠٠ نادراً ما تحقق الدبلوماسية شيئاً بهذه الطريقة ، هؤلاء الذين يشتهون انتزاع كل شيء ، والذين ينسون أن السياسة هي فن الممكن ٠٠ قد يخسرون فى النهاية كل شيء .
وثمة شيء أكثر تحديداً لثقتى ٠٠ فقد حدث فى شهر ابريل عام ١٩٧٢ أن مصر فتحت قناة اتصال سرية مع البيت الابيض .
واقترح المصريون أن يزور القاهرة اما ريتشارد هيلمز أو أنا . وفى المقابل يمكن أن يأتى الى واشنطن حافظ اسماعيل مستشار الرئيس السادات لشئون الامن القومى

● شرط للنجاح

وعندما جاني التقرير حول هذه الاتصالات كتبت عليه ملاحظة الى نائبى الكسندر هيج (٠٠ ماذا عن اسماعيل فى واشنطن) ؟ ومع ذلك فاننا لم نرد على الفور بسبب انشغالنا بالهجوم الفيتنامى ورحلتى التى كان يجرى الإعداد لها لموسكو وأردنا أن نرى ما يمكن أن تعرضه موسكو فى قناة الاتصال الخاصة بيننا . كذلك كنا قد سمعنا أن السادات سيزور موسكو مرة أخرى فى نهاية شهر ابريل ٠٠ وفضلنا الانتظار .

وأرسلنا ردنا يوم ٢٩ ابريل بأننا ننتظر حافظ اسماعيل واننا نشعر باهتمام لعقد اجتماع سرى على مستوى عال وأن ممثلاً للرئيس السادات سيكون موضع ترحيب فى الولايات المتحدة لهذا الغرض . ولكن لم يحدث أى لقاء الا بعد مؤتمر قمة موسكو الذى تحدثت عنه من قبل .

وكانت حساباتنا أن عقد اجتماع بعد قمة موسكو يمكن أن يؤدي الى المزيد من ضبط النفس لدى المصريين . ورد المصريون بأن اقترحنا موضع دراسة واننا ، فى واشنطن ، سنتلقى رداً رسمياً فى شهر يونيو بعد مؤتمر القمة .

وفى تلك الاثناء ، كانت هناك مؤشرات متزايدة على أن التوترات بين مصر والاتحاد السوفيتى تتصاعد ٠٠ ومن الواضح أن زيارة السادات لموسكو فى شهر ابريل زادت من قلقه تجاه احتمال أن يتفق الاتحاد السوفيتى على بقاء الامر الواقع فى المشرق الاوسط . ولم يقلل وصول شحنة بطريق الجو من المعدات السوفيتية المتقدمة من قلقه بالنسبة للموضوع الاساسى

وفي ٢٢ مايو أرسلت الى نيكسون تقريراً يتضمن تقديري لحالة العلاقات بين السادات والسوفيت . وقلت انها الآن علاقة زبون قلق من الجهة التي تتولى الحماية اكثر منها علاقة شركاء متساويين يتقون في بعضهم البعض .

● وعرفت شخصية السادات

وفيما بعد . . عرفت السادات كواحد من الزعماء البارزين القلائل بحق الذين التقيت بهم . انه يمتلك موهبة تجمع بين نفاذ البصيرة والشجاعة . . وهي الموهبة التي لا يتمتع بها سوى سياسي عظيم . لقد كانت لديه الجرأة لأن يدخل حرباً لم يكن أحد يتصور أنه يمكن أن يقوى عليها . . كما أنه يتصف بالاعتدال الذي يجعله يتحرك نحو السلام بعد ذلك مباشرة . . كما أن لديه الحكمة التي تجعله يتحرك في الاتجاه المعاكس لمواقف جملتها عشرات السنين .

ولكن . . في عام ١٩٧٢ لم يكن أي شيء من ذلك واضحاً بالنسبة لي . فقد وجه السادات تهديدات كثيرة في ذلك الوقت (١٩٧٢) لم ينفذها . وفي مفاوضات الوسيط الدولي جوناواريانج كان أكثر مرونة من سلفه ولكن بدا لي - حينئذ أنه لم ينبذ أو هام عبد الناصر التي كانت تجعله يتصور أنه يمكن أن يصر على مطالب (لا يمكن تحقيقها) بسبب مساندة الاسلحة السوفيتية .

ولم يكن لدينا حوار منتظم مع السادات . ولم يحاول أحد من مبعوثينا أن ينفذ الى ما وراء الاسلوب الجذاب الذي يتحلى به لكي يكتشف . . كيف يفكر السادات حقاً

والى أن افتتحت قناة الاتصال بين البيت الابيض والقاهرة في ابريل عام ١٩٧٢ . . كانت معظم تعاملاتنا الجديدة من خلال موسكو . ولذلك كان رد الفعل عندي لحطاته المتفتحة . . تكتيكياً الى حد كبير: مواصلة إقناع السادات بعدم جدوى الطريق الذي يسير فيه . . وفي الوقت نفسه فتح حوار تأمل من خلاله في تغيير هذا الطريق . وكان هذا الموقف أيضاً وراء مناقشاتنا في قمة موسكو حول الشرق الاوسط

● في نهاية المؤتمر

وبسبب هسيوم فيتنام ومعاودة الحد من الاسلحة الاستراتيجية (سولت) جاءت هذه المناقشات حول الشرق الاوسط في نهاية المؤتمر فقط . وقد حدث ذلك (كما رأينا فيما سبق أن ذكرته عن قمة موسكو) عندما وضع كل من جروميكو وأنا في جلسة ليلية بعض المبادئ العامة ، لتسوية شاملة

وكان لابد أن يتبر غموض هذه « المبادئ » المزيد من الاستئالة في ذهن السادات . فقد كانت هذه المبادئ أكثر هزلا من القرار رقم ٢٤٢ . وقد نصت هذه المبادئ على أنه من الممكن إجراء تعديلات في الحدود ، مع حذف الكلمة الملطفة « - طفيفة - » التي أصبحت جزءا من طقوس الوسائل الرسمية . وكانت الصيغ التي تحتوى عليها هذه المبادئ غامضة فيما يتعلق بمدى الانسحابات الاسرائيلية المرتقبة ولم افهم أبدا السبب الذي جعل جروميكو يقبل هذه الصيغ مالم يكن هذا السبب هو الارهاق ذلك أنه ، رغم كل شيء ، حضر عددا من الاجتماعات أكثر مما حضرت في موسكو وعمل لساعات أطول . وعلى أية حال . فقد وجدت هذه المبادئ طريقها بسرعة الى ركن النسيان أو سلة المهملات التي ازدحمت بالمشروعات المجهضة عن الشرق الاوسط

وكان ذلك هو ما أقصده

جروميكو وأنا اتفقنا على نص بيان ختامي لقمة موسكو لا يتضمن شيئا سوى الحث على تسوية سلمية وتأييد مهمة يارنج . ولم يضع البيان أية خطوط توجيهية محددة ترشد يارنج أو تهتدى بها أية مفاوضات أخرى . هذا البيان ، الناعم ، ستكون له نتائج تاريخية . فقد كان « صدمة عنيفة » لمصر .

(هذا البيان هو الذى نص على رضا أمريكا والاتحاد السوفيتي عن حالة الاسترخاء العسكري) .

ويقول السادات في مذكراته أن هذا البيان كان ضربة حاسمة لعلاقاته مع الاتحاد السوفيتي . وطوال ذلك الوقت . كان المصريون يتعاملون مع التجربة المثيرة للاعصاب لدبلوماسيتنا ذات الخطوط الثلاثة .

فقد كانوا يتبادلون الرسائل معنا وكانوا يتلقون الصيغة السوفيتية عن محادثاتنا في القمة ومحادثاتي مع السفير دوبرينين كما كانوا يتلقون العروض المنتظمة لوزلة الخارجية الأمريكية التي تستهدف كسب موافقة مصر على الدخول في المحادثات . عن قرب ،

● البيت الابيض آخر من يعلم

وبهذه المناسبة فإن السوفيت لم يعرضوا على السادات مضمون محادثات قمة موسكو الا بعد خمسة أسابيع من انتهاء المؤتمر . وقد ضاعف ذلك من خيبة أمله تجاه السياسة السوفيتية . ولابد أن تلك القنوات كانت بمثابة مجموعة مربكة من الاجراءات رغم انها

جعلت القاهرة من مركز أفضل (من ناحية معرفة الرسائل التي تمر) من البيت الابيض ووزارة الخارجية الامريكية على حد سواء .
ذلك لان البرقيات الهامة الخاصة بوزارة الخارجية لا تعرض على البيت الابيض لاعتمادها بل أننى أستطيع أن أقول الآن أن سجلات محادثات الوزارة مع شخصيات عربية بارزة لا يتم إرسالها الى البيت الابيض بعد وقوعها .

وهكذا مثلا لم نعرف شيئا عن العرض الذى قدم للقاهرة بشأن المحادثات عن قرب الا بعد تقديمه كذلك لم نعرف شيئا عن المحادثة التي دارت بين جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الامريكية والامير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع السعودي في شهر يونيو والتي سعى خلالها سيسكو الى الحصول على مساعدة سلطان في اقناع مصر بالموافقة على هذه المحادثات . وعرفنا عن هذه المحادثة فقط عندما جاء ذكرها في تقرير من الرياض في ١٨ يوليو . ومن جهة اخرى . فان وزارة الخارجية لم تعرف شيئا عن قناة الاتصال بين البيت الابيض وبين القاهرة . ورغم ان مصر رفضت في شهر يونيو اقتراح الخارجية الامريكية حول اجراء محادثات عن قرب فان ذلك لم يقلل من الاخلاص الاسطوري للوزارة نحو تحقيق ما لا يمكن تحقيقه .

● قبلة السادات

والآن يراهن السادات على ما هو اكبر . ففي ١٣ يوليو تلقينا رسالة غامضة من القاهرة تؤكد من جديد الرغبة في ايفاد ممثل لمصر على مستوى عال الى واشنطن بشرط ان يكون لدينا شيء جديد نقترحه . ففي ظل عدم وجود أية مبادرة مختلفة لم تجد القاهرة سبب لترتيب عقد هذا الاجتماع . وبطبيعة الحال ، فان النتيجة الطبيعية هي ان نحصل على ممثل مصرى على مستوى عال بوسيلة بسيطة هي ان نشير الى أننا راغبون في استطلاع محاولات جديدة . وقبل ان تتمكن من وضع تقييم كامل للمعنى الذى ورد في هذه الرسالة المبهمة جاءت في ١٨ يوليو عام ١٩٧٢ قبلة للاعلان المفاجئ . للسادات عن انتهاء مهمة اكثر من ١٥ الف مستشار وخبير عسكري سوفيتي في مصر . وعليهم ان ينسحبوا في خلال اسبوع أما المنشآت والمعدات العسكرية التي أقيمت في مصر منذ ١٩٦٧ فانها تصبح ممتلكات مصرية .

وجاء القرار مفاجأة كاملة لواشنطن . (في ذلك اليوم كنت في طريقى الى باريس لحضور اجتماع سرى مع الفيتناميين الشماليين ولاشك أن استراتيجيتي كانت تسعى لاقناع القاهرة بتخفيف

اعتمادها على الاتحاد السوفيتي . وكنت أتوقع أنه عند لحظة معينة على الطريق سيكون السادات مستعدا لأن يعرض مقايضة الانسحاب السوفيتي بأحراز تقدم معنا ولكنني - نظرا لأنني كنت من ناحيتي لا أزال معوقا بالتقليل من تقدير شخصية الرئيس المصري - لم أتكهن أبدا بأنه سوف يتخذ مثل هذا القرار بخطوة واحدة ضخمة ومهية ومن جانب واحد .

وكان رد الفعل الأول عندى لدى سماع الأنباء هو أنه تصرف بطريقة سريعة عنيفة وقام بتحسين ركيزة تعاوضية هامة على نحو لا رجعة فيه .

● مشاعر القاهرة

وبعد يومين أعددت تحليلا أكثر طولا وعمقا : « كان من الواضح في الشهرين الماضيين أن المصريين قد روضوا أنفسهم على أنه سيكون هناك تحرك دبلوماسي ضئيل في المشكلة العربية - الإسرائيلية هذا العام بسبب الانتخابات الأمريكية . وعلى الرغم من هذا التقدير العقلاني الواضح فإن السادات واجه معضلة . هي كيفية تجنب أن تؤدي حالة التوقف في الحركة إلى تعجيد دائم للموقف . أن للشعور بالاحباط (الناجم عن الافتقار إلى التحرك في قضية العرب وإسرائيل) بلغ درجة عالية في القاهرة .

وقد أكدت القمة الأمريكية - السوفيتية الشعور بأنه لا شيء سيحدث هذا العام ودفعت إلى المقدمة عملية نقد الدور السوفيتي وهو النقد الذي كان يوجه إلى هذا الدور حتى قبل انعقاد القمة . . . وعندئذ توصلت إلى الاقتناع بأن قرار السادات قد لا يكون ضربة متسرع كما ظننت في البداية . ولاحظت أن السادات رفض بوضوح تام أية قيود على استخدام الأسلحة التي يرسلها السوفيت . وتكهننت بأن هذا الموقف قد يكون إشارة إلى حقيقة محتملة وهي أن وجود المستشارين السوفيت في الوحدات العسكرية المصرية يمكن أن يكون بمثابة فرملة سوفيتية لتحركات هجومية مصرية . وكان تقديري الشامل للموقف يخلص إلى أن ثمة أربعة دوافع محتملة لدى السادات . أحد هذه الدوافع هو تحسين اختياراته العسكرية في السنة التالية (عام ١٩٧٣) :

١ - ضرورة الرد السياسي على خيبة أمل - المصريين - في الداخل - من الاتحاد السوفيتي -

ب - ضرورة أن يضمن أن مشكلة الشرق الأوسط لن تصبح

متجمدة تماما في تلك السنة ٠٠ سنة عدم الحسم ٠٠ وانه يبين انه لن يجعلها تتجمد ٠

ج - اتخاذ هذه الخطوات يتيح الفرصة لتقديم اغراء للولايات المتحدة عن طريق اظهار انه استطاع تقليص اظافر العلاقة السوفيتية ٠

● درس الصدمة

والقى السادات خطابين اخرين في ٢٤ و ٢٧ يوليو ٠ ورغم انه قال ان الولايات المتحدة كذبت عليه في عام ١٩٧١ فقد ركز اشد هجماته على الاتحاد السوفيتي ٠ وأوضح السادات انه كان قد حذر موسكو قبل القمة الامريكية - السوفيتية بان القاهرة لن تقبل استمرار حالة « الا حرب واللا سلم » ٠ وقال ان القمة كشفت ان التأييد السوفيتي لمصر اقل بكثير من التأييد الامريكي لاسرائيل ٠

وكان خطاب السادات الثاني نداه غير مباشر للسوفيت لكي يتعلموا من الصدمة وليمكنوا القاهرة من أن يتوافر لديها اختيار عسكري كاف لاستخدامه في المستقبل ٠ وأعلن السادات أن مصر لا تريد جنودا من السوفيت يحاربون معركتها وان مصر ليست لها مصلحة في التسبب في وقوع مواجهة بين الدولتين الكبيرتين ٠ ولكن على موسكو أن تفهم أنه بالنسبة لمصر ٠٠ فان مشكلة الشرق الاوسط هي التي لها الاولوية القصوى بصرف النظر عن ترتيب هذه المشكلة في جدول الاعمال السوفيتي ٠ وقال السادات أيضا : « يجب على صديقنا ان يعرف وان يقدر ذلك ٠ قد تكون المشكلة بالنسبة له هي للمشكلة رقم أربعة أو رقم خمسة ٠ ومن هنا لابد من وقفة مع الصديق حتى يقدر المعركة حق التقدير ٠ وربما عندما يتم تعاون سوفيتي - مصري في هذا المجال على النحو الذي يجري به في المجال التكنولوجي ٠٠ فان كل شيء سيكون رائعا » ٠

● موسكو دفعت الثمن غاليا

لقد كتب وقيل الكثير عن عدم التزام الاتحاد السوفيتي ببداي ضبط النفس التي تعهد بها في قمة موسكو ٠ ومعظم هذا النقد صحيح ٠٠ ولكن التاريخ لن يكون مكتملا ولا منصفًا بدون أن نوضح ان الاتحاد السوفيتي دفع الثمن غاليا في مصر وفي سائر انحاء الشرق الاوسط بسبب وضع الشرق الاوسط فوق الثلج في اجتماع القمة وما لا شك فيه أن الاتحاد السوفيتي لم يمارس ضبط النفس الا لاسباب محددة منها انه كان يعتبر ان اسرائيل قوية وراعدة كذلك كان تقدير الكرملين للامور أن قيام حرب ينطوي على مجازفة بمواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة وحيث ان الزعماء السوفيت يحتاجون

الى شحنات الحبوب الامريكية والى تأييدنا فى مجال التصديق على المعاهدات الالمانية فانهم لم يستطيعوا تحمل اثاره أزمة فى منطقة حساسة للغاية مثل الشرق الاوسط . بيد ان هذه بالتحديد هى الوسيلة التى يمكن افتراض ان استراتيجية الوفاق تمارس من خلالها . . وهى طرح مخاطر وحواجز على حد سواء لتشجيع ضبط النفس السوفيتى .

وفى عام ١٩٧٢ الذى كانت فيه الولايات المتحدة متورطة بشدة فى فيننام . امتنع الاتحاد السوفيتى عن تأييد مواقف زبائنه فى الشرق الاوسط . . وقد كلف هذا القرار . . موسكو غالبا .

ولا بد ان تكون مواقفنا الصلبة ازاء النزاع الهندى - الباكستانى وفيتنام (بالإضافة الى منازعات خريف عام ١٩٧٠) قد اقنعت الكرملين بان ازمة واحدة أخرى يمكن ان تؤدى الى انفجار . . والى جانب الموقف الحازم الذى اتخذناه فان نزوعنا الى المصالحة فى موسكو (قمة ١٩٧٢) واحتمالات اتخاذ خطوات أخرى فى مجال للتجارة . ساعد على ضبط النفس لدى الجانب السوفيتى .

● دوا، لدوبرينين

وبصرف النظر عن أسباب الارتباك السوفيتى . فقد صممنا على استغلال الفرصة .

وكان اهتمامى الاول يتركز على تهدئة السفير السوفيتى دوبرينين . . ففى يوم ٢٠ يوليو قلت له بصدق - وبقدر قليل من التظاهر بالتواضع فى نفس الوقت - اننا لم نكن نعلم ما الذى يجرى فى مصر وانه لم يكن لدينا اى علم مسبق . . واننا مستعدون لمواصلة بحث (المبادئ التى نوقشت فى قمة موسكو .)

ولا بد ان دوبرينين أدرك ان هذا الذى أقوله هو دوا، لمجرد ارضاء المريض ولكنه لا يشفى من اى علة . وفى مساء نفس اليوم جاء حاملا رسالة من بريجنيف الى نيكسون . .

وقدم بريجنيف فى رسالته تفسيراً محيراً لما حدث . . قال: ان رحيل السوفيت من مصر هو فى جانب منه تنفيذ للاقتراح الذى سبق أن قدمه جروميكو الى نيكسون فى سبتمبر عام ١٩٧١ حول انسحاب القوات . . وهكذا فان رحيل السوفيت من مصر يكون بمثابة الدفع نقداً للاقتراح الذى قدمه جروميكو بانسحاب القوات السوفيتية ! وهكذا - كما قيل - فان الولايات المتحدة يجب أن تنفذ نصيحتها الذى التزمت به المساومة اى أن تؤثر على اسرائيل فى اتجاه تسوية

- يجب ان يكون محورها تحرير كل الاراضى العربية التى احتلتها
فى عام ١٩٦٧ -

ولم أحد ما يدعو الى مناقشة هذا الطلب الذى ينم عن تفكير غير
متفكر . وكررت اقتراحى بان نبحث بمبادئ موسكو . وكانت هذه
هى أفضل وسيلة لكسب الوقت حتى نعرف كيف تفكر القاهرة .
ولم نضطر للانتظار طويلا . ففى نفس ذلك الوقت تلقيت تقريرا
من مصر يؤيد على ضرورة ان نأخذ بجدية دعوة القاهرة للولايات
المتحدة بطرح افكار جديدة تمهيدا لاجتماع سرى على مستوى عال
وكنتم لا ازال غير راغب فى التورط فى افكار - جديدة - قد
تؤدى الى نتيجة واحدة وهى خيبة أمل السادات او اجهاض أى اتصال
فى بدايته .

● رسالة الى القاهرة

وكنتم أفضل استطلاعنا عاما للاراء يساعدنا على تحديد ما هو
ملائم أو ما يمكن عمله قبل ان نلزم انفسنا بمسار نعمل فيه .
ولذلك بعث فى يوم ٢٩ يوليو برد الى القاهرة يعيد تأكيد رغبتنا
فى اجراء محادثات سرية وصفتها فى رسالتى بانها - تنطوى على
اهمية بالغة -

(فيما يتعلق بما اشارت اليه مصر من أن هذه المحادثات يمكن
أن تبدأ فقط على أساس مقترحات أمريكية جديدة فان وجهة النظر
الامريكية هى ما يلى : فى كل المفاوضات الناجحة السابقة التى
أجريت على مستوى البيت الابيض . . سمعت الاطراف أولا الى اجراء
مناقشة أولية وتوصلت الى تفاهم حول المبادئ، والاتجاه العام
للائقافية قبل اندخول فى مفاوضات عملية . . أما المقترحات الجديدة
التي نودى فقط الى جمود جديد فانها لن تحدم هدف أى جانب من
الجانبين . . ولذلك فان الجانب الأمريكى يقترح ان تركز الاتصالات
الاولية على مناقشة تفصيلية لما يمكن انجازه بشكل واقعى .
وهذا هو جوهر المسألة والمبرر الوحيد للاشتراك المباشر من جانب
رئيس الولايات المتحدة . فاذا أمكن التوصل الى اتفاق تفصيل حول
هذه المسألة . . فانه يمكن وضع مقترحات مفصلة) . .

● وسطاء متطوعون

ولم يسمع شئ هام من السادات خلال شهر أغسطس .
ثم تلقينا أن السادات لا يزال يدرس رده ولكنه سيصل إلينا فى
القريب العاجل . ثم قيل لنا ان ننتظر الرد بضعة أيام أخرى وفى

٤ سبتمبر علمنا ان السادات وافق من حيث المبدأ على المحادثات ولكنه سيطلب « ايضاحات » بعد ايام قلائل .
وفي النهاية .. تلقينا في ٧ سبتمبر رسالة مطولة ودقيقة للغاية من القاهرة . وابلغتنا الرسالة بان طرد المستشارين السوفيت كان قرارا وطنيا محضا . وبان هذا القرار لم يتخذ « لارضاء أى أحد او اثارة غضب أى أحد » . وبعبارة اخرى ، فان مصر طلبت منا الا نعلق أهمية خاصة على هذا القرار . وتضمنت الرسالة شكوى مصر من النفوذ غير المتكافئ الذى يبدو ان اسرائيل تمارسه على السياسة الامريكية . وتشرح الرسالة خيبة أمل مصر ازاء الاتصالات الدبلوماسية التى جرت فى السنوات السابقة ورغبة مصر فى إعادة فتح قناة السويس .

● عظماء الرجال

ان ذلك كله - كما سادرك فيما بعد - هو طبيعة السادات الاصيله ان تكتيكه فى التفاوض لا علاقة له أبدا بالمحاكمة حول التفاصيل وانما يقوم هذا التكتيك على أساس خلق مناخ يجعل الخلاف صعبا من الناحية السيكلوجية . فهو مثل الزعيم الصينى شواين لا يركز على التفاهم الفلسفى الذى يعترف بان تنفيذ الاتفاقيات بين الدول ذات السيادة لا يمكن فرضه . وانما يتطلب رغبة لدى الجانبين والاتفاق على المفاهيم او الافكار يكون فى بعض الاحيان أهم من الاتفاق على التفاصيل .

ولا أستطيع أن أقول اننى فهمت تماما نفاذ بصرية السادات فى ذلك الوقت . ان الرجال العظام نادرون جدا بحيث يحتاج الامر الى الاقتراب منهم والاعتياد عليهم .

وفى اليوم التالى ارسلت ردى بالترحيب بمقد الاجتماع المتفق عليه مع حافظ اسماعيل وبتقديم وعد برد أشمل عند عودتى من زيارة أخرى لموسكو .

وفى ردى المطول فى ١٨ سبتمبر تجنبت مرة اخرى القضايا المحددة التى اثارتها مصر لاننى أردت ان أذكر هذه المسائل للقاء مباشر . وطرحت بعض التفاصيل المتعلقة باحتمال - فتح طريق لمحادثات سرية واختتمت رسالتى بتوضيح عام لهدفنا :

« أن الولايات المتحدة ترغب فى طمأنة حكومة مصر الى تصميمها الثابت على السعى لانهاء دائرة العنف فى الشرق الاوسط وتؤكد على انها تعلق أهمية كبرى على المناقشات القادمة بين ممثل الحكومتين لتحقيق هذا الغرض . »

وفى ذلك الوقت ، بدأت الرسائل تتخذ مضمونا يتجاوز المسائل الاجرائية . وعلى سبيل المثال فان مصر عبرت عن استيائها من لهجتنا فى الادانة العلنية للهجوم الارهابى على الرياضيين الاسرائيليين فى دورة الالعاب الاولمبية . وفى ٣٠ سبتمبر تلقينا رسالة مصرية اخرى تشكو من أن الدعوة التى توجهها واشنطن الى اتخاذ مواقف واقعية تشبه الى حد كبير موقف اسرائيل .

● حوار معلق

واوضحت للقاهرة حينئذ اننا مستعدون للدخول فى مفاوضات بعقل مفتوح وان معنى كلمة واقعى هى ، أن هذه الحادثات تستهدف ايجاد طريق للعمل يمكن أن يؤدى الى تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . والقضية الرئيسية هى تحديد الاجراءات العملية لتحقيق هذا الهدف . وتقديم وعود جوفاء، لن نخدم مصلحة أى شخص . أن على الجانبين اللذين سيلتقيان بروح حسن النية أن يبحثا كل الامكانيات بفرض البدء فى تبادل الآراء الجدية والصريحة ، باستمرار ، وكان كل ما تبقى هو تحديد موعد لمحادثاتي السرية مع ممثل السادات .

ولم يتم اللقاء بينى وبين حافظ اسماعيل مستشار السادات لشئون الامن القومى الا فى فبراير عام ١٩٧٣ بسبب استغراقى تماما فى المرحلة النهائية لمفاوضات فينتنام .



هنا تتوقف مذكرات كسينجر عن الشرق الاوسط . لان كتاب « سنوات البيت الابيض » يغطى الفترة من نوفمبر ١٩٦٨ حتى يناير ١٩٧٣ وهى فترة رئاسة نيكسون الاولى التى عمل فيها كسينجر مستشارا للرئيس الأمريكى لشئون الامن القومى . وفى الكتاب القادم لكسينجر سوف يتناول الفترة من يناير ١٩٧٣ حتى يناير ١٩٧٧ التى تولى فى معظمها منصب وزير الخارجية فى فترة رئاسة نيكسون الثانية . وسيروى كسينجر فى كتابه (الذى لم يصدر بعد) قصة ووترجيت واستقالة نيكسون وحرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ودبلوماسية المكوك فى الشرق الاوسط .

رقم الاسراع بدار الكتب والوثائق القومية ٧٩/٥٢٦٩

الترقيم الدول - ٣ - ٩٩ - ٧٠٤١ - ٩٧٧ ISBN